الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية

قسم: الكتاب والسنة

دراسات عليا

تخصص: التفسير وعلوم القرآن

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

نداءات الله تعالى للنّبيﷺ في القرآن الكريم

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الكتاب والسنة

تخصص: التفسير وعلوم القرآن.

إعداد الطالب:

قريشي مدحت

إشراف الدكتور:

صونيا وافق

لجنة المناقشة

الاسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
د/ رمضان يخلف	أستاذ محاضر	رئيسا	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة-
د/ صونيا وافق	أستاذ محاضر	مشرفا ومقرّرا	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة-
د/ سكينة قدرو	أستاذ محاضر	مناقشا	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة-

السنة الجامعية:

1431-1432هـ/ 2010- 2011 م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

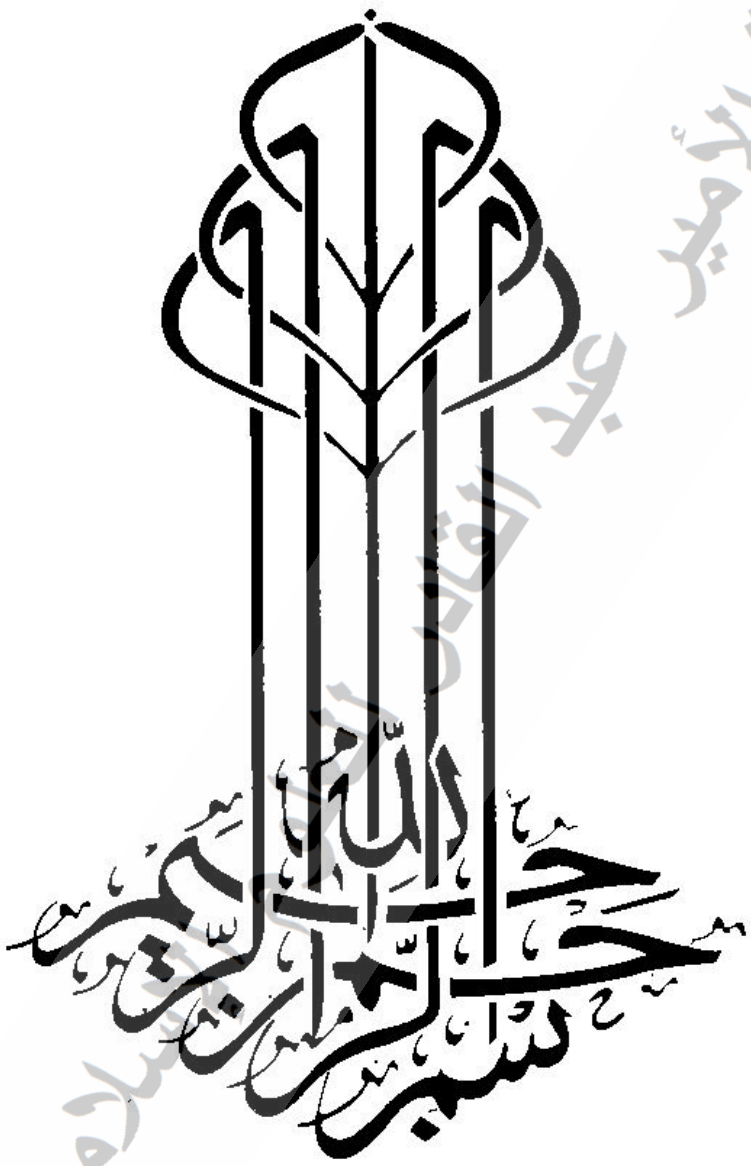

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى والديّ الكريمين ، الذَّيْن وُفِّقت برؤية لحظتهما ساعة ولادتي، وحَيَيْتُ بهما كل لحظة من عمري ، أتنفس ريحهما ، وأنطق مرادهما ، وأغدو وأروح بدعائهما : أبي البشير بن السعيد بن البشير، وأمي زينب بنت المختار بن غانم

أهدي عملي هذا ...

إلى إخوتي وأخواتي الذين هم سندي ومعتضدي : زينب وفتيحة وجميلة والسعيد والمسعود ومحمد وبشرى وخالد وخولة وأمينة.

إلى خالي أحمد بن غانم ، وعمّي رافع بن السعيد .

إلى رفيق الدرب الصّادق غمام عمارة .

إلى من يذكرهم فؤادي ولا يعزب عنهم

ويعتذر لهم قلمي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

الحمد لله أهل الثناء والحمد والمجد، والصلاة والسلام على رسوله محمد صاحب لواء الحمد، وعلى آله وصحبه وخلفائه والتابعين، وتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن من شكر الجميل، الاعتراف بالفضل لأهل الفضل، وإن ذلك لمن شكر الله جل وعلا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: " مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ"[1].

ولا أقل من الشكر والثناء، عند العجز عن المكافأة، لما رواه الترمذي من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ فَلْيَجْزِ بِهِ وَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَلْيُثْنِ فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ ..." [2]، وله من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ." [3].

لهذا أتقدم بكامل الثناء والشكر والدعاء لوالديَّ الكريمين، الذين مهما صنعت لهما، فلن أوفِّيهما حقهما العظيم عليَّ، فالله الجليل أسأل أن يحفظهما لي، وأن يبسط عليهما رداء الكرامة والصحة والعافية، وأن يتزلهما منزلة الأولياء المقربين، والشهداء والصالحين: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ الأحقاف: ١٥.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى عائلتي الثانية، المسعود وبشرى اللّذَيْن أحبهما حبي لنفسي، و اللّذَيْن لم يدخرا جهدا لإعانتي ومساندتي، فالله الكريم أسأل أن يديمهما لي، وأن يديمهما لبعضهما، وأن يرزقهما كل المنى وكل الخير ...

---

[1]- أخرجه أحمد: 858/2، دار إحياء التراث العربي –بيروت–، وأبو داود: 255/4، والترمذي: 339/4، وقال حديث حسن صحيح، دار إحياء التراث العربي –بيروت– (دت).

[2] _ أخرجه أبو داود: 255/4_256، أبو داود السجستاني، ت: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر –دمشق– (دت)، والترمذي: 379/4، وقال حديث حسن غريب.

[3]- أخرجه الترمذي: 280/4، وقال حديث حسن جيد غريب.

ثم إني أخص بالشكر مشرفي فضيلة الدكتور **صونيا وافق**، التي عاصرت أوائل البحث حين وضعتُ خطته، وإقراره من مجلس القسم، وعايشتْ مراحل البحث بعد ذلك حتى كمل واستوى على سوقه، ولقد رأيت منها جزيل العون وصدق المشورة، وحسن التوجيه وبذل المعونة، فجزاها الله عني خير الجزاء، وضاعف الحق سبحانه وتعالى لها الأجر والمثوبة.

والشكر موصول إلى الدكاترة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، الذين تفضلوا بمناقشة هذه الرسالة، فجزاهم الله تعالى خير الجزاء .

كما أنني أخص بالشكر جامعتنا الراقية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ممثلة في معالي مديرها، وفضيلة عميد كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، وفضيلة رئيس قسم الكتاب والسنة، وأعضاء هيئة التدريس على جهودهم المشكورة في خدمة العلم وطلابه.

وأخيرا فالشكر موصول للجميع مع جميل الثناء والعرفان، ومهما بالغت في شكري لهم فلن يبلغ مقدار معروفهم عليَّ وعونهم لي، فالله الجليل أسأل أن يمن على الجميع بالعفو والغفران، والزلفى والمكرمات، وأن يجعل أعمالنا جميعا صالحة، ولوجهه الكريم خالصة، وأن يتقبلها منَّا أحسن القبول، إنه سبحانه وتعالى أجود مجيب، وأكرم مسؤول .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مُقَدِّمَة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الله تعالى قد جعل نداءات القرآن هدى لمن استبصرها، وأمثاله عبرا لمن تدبرها، وشرح في هذا الكتاب واجبات الأحكام، وفرق فيه بين الحلال والحرام، وكرر فيه المواعظ والقصص للأفهام، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ الأنعام: ٣٨ .

فالواجب على من خصه الله تعالى بحفظ كتابه أن يتلوه حق تلاوته، ويتدبر حقائق عبارته، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ ص: ٢٩ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ محمد: ٢٤ ، جعلنا الله ممن يرعونه حق رعايته، ويتدبرونه حق تدبره.

وإنه مما لا يخفى أن نزول القرآن الكريم منوط به أغراض أساسية يريد الشارع الحكيم بذلك تحقيقها، وهذه بعض منها:

1 ـ ليكون معجزة خالدة شاهدة على صدق النبي محمد ﷺ ، وأنه مبعوث من الله الواحد الأحد الذي لا شريك له، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ الإسراء: ٨٨ .

2 ـ ليتعبد الناس بتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ البقرة: ١٢١ .

3 ـ ليكون دستورا للمسلمين ومنهج حياة لهم، يُفنِّد أسئلتهم واستفساراتهم الحالية والمآلية، ثم يطرح لهم الجواب الكافي، ويقدم لهم الحل الشافي، يصدرون عنه بتعاليم ثابتة، ومفاهيم مرنة، تكفل لهم صلاح أمورهم الدنيوية والأخروية على حد السواء... يحدوهم بلطف إلى حظائر الإنابة عندما يخضعون لمطالب الهوى، ويأخذ بأيديهم إلى آكام الرشد عندما يوشكون على الزيغ، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يونس: ٥٧ ، وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾ المائدة: ١٦ .

لذا فقد اهتم علماء الإسلام بتفسير هذا الكتاب العظيم، واستنباط أحكامه وفوائده، ففتح الله لهم من أسراره، ومكنهم من سبر بعض أغواره، واهتدوا في ذلك بهدي من سبقهم من علماء السلف الذين اهتدوا بهدي مدارس الصحابة من خلال مدرسة عبد الله بن عباس بمكة، ومدرسة أبي بن كعب بالمدينة، ومدرسة عبد الله بن مسعود بالكوفة، فكانت أساليب وأنواع التفسير المعروفة وهي:

1 ـ التفسير التحليلي: الذي يعمد فيه المفسر إلى آيات من القرآن الكريم، سواء كانت جملة من الآيات المتتابعة، أو سورة كاملة، أو القرآن كله، فيتتبعها بالتفسير كلمة كلمة، جملة جملة، متعرضا للمباحث اللغوية والبيانية والفقهية والعقدية، ونحو ذلك ...

2 ـ التفسير الإجمالي: وهو منهج يعمد فيه المفسر إلى الآيات القرآنية حسب الترتيب المصحفي، فيبين معاني الجمل فيها، موردا مقاصد الآية أو السورة، مركزا على أهم الأحكام، ويصوغ ذلك بتعبيره ليسهل على القارئ أو المستمع فهمها.

3 ـ التفسير المقارن: وفيه يتناول المفسر رأيين أو أكثر، لمفسرين أو أكثر، حول آية أو أكثر، ثم يقارن بين تلك الآراء، ويوازن بينها مستعرضا الأدلة، ومحاولا الترجيح بينها.

4 ـ التفسير الموضوعي: هو جمع الآيات المتفرقة في سور القرآن الكريم، المتعلقة بالموضوع الواحد لفظا أو حكما ثم تفسيرها حسب مقاصد القرآن الكريم، لأجل الحصول على نظرية في قضية من قضايا الحياة، أو تصور عن أمر من أمور الكون والملكوت.

وهذا النوع الأخير هو الذي يهمنا الآن، وهو الذي يجد اهتماما متزايدا من طرف الباحثين، والمشتغلين في مجال التفسير وعلوم القرآن على وجه الخصوص، وكذلك يلقى قبولا ورواجا ملحوظين في الوسط العام. ذلك أن التفسير الموضوعي يتمتع بالمميزات الآتية:

أ ـ في حين تنطلق أنواع التفاسير الأخرى من القرآن الكريم، تفسر آياته، وتستنبط الأحكام والفوائد؛ ينطلق التفسير الموضوعي من إشكالية في حياة الناس أو من قضية تشغلهم، ويستنطق القرآن بشأنها، ليعود بجواب شاف على شكل تصور قرآني. ولا شك أن هذا النوع من التفسير أكثر نفعا، وأحوج ما يكون الناس إليه.

ب ـ يعتبر المنظرون لهذا اللون من التفسير، أن هذا الأخير ثمرة الأنواع كلها، ومرحلة تخصصية متأخرة عن مراحل الأنواع السابقة.

ج ـ إن طريقة التأليف في التفسير الموضوعي خاضعة إلى حد بعيد لمنهجية البحث العلمي، فهي ملاذ الباحثين والمتخصصين، وتتماشى كذلك مع عقلية القارئ المعاصر، الذي يكتفي بالمقالات العلمية الخاطفة، والدراسات الممنهجة، ويؤثرها على الاسترسال والإطالة، فالمهم لديه أن يحصل على الحقائق النافذة، والتوجيهات المجدية.

من أجل هذه الأهمية البالغة التي يتمتع بها هذا اللون من التفسير، رغبت ومعظم زملائي في الدراسات العليا ـ ماجستير ـ قسم التفسير وعلوم القرآن، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، أن تكون موضوعات بحوثنا في التفسير الموضوعي. وبعد طول إمعان نظر، وإعمال فكر، واستشارة للمشيخة الأجلاء؛ كان عنوان موضوع بحثي كالآتي:

" نداءات الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم "

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

تجدر الإشارة إلى أن هناك أمورا كثيرة جعلت هذا الموضوع مهما، ورشحته لكي يكون جديرا بالدراسة من بينها:

1 – تعلقه بالذكر الحكيم، أجل كتاب على وجه البسيطة، وكما أن التابع يشرف بشرف المتبوع؛ فإن التابع نفسه يستمد أهميته من أهمية المتبوع، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦ ﴾ المائدة: ١٦، وهذا الموضوع يتناول قسطا مهما من آيات القرآن الكريم، والتي عنت بنداءات الله تعالى للنبي ﷺ .

2 – تعلقه من جهة أخرى بأشرف مخلوق، وأكرم مرسل، وأعز سيد على الإطلاق، صلوات ربي وسلامه عليه، إذ يلقي هذا الموضوع الضوء على جوانب مهمة من حياته، يجب على المسلم أن لا يغفل عنها، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ الأحزاب: ٢١ .

3 – يدرس هذا الموضوع نداءات الله تعالى لنبيه ﷺ من نواح شتى، من شأنها الكشف عن أحكام وأسرار وفوائد، تنير درب المسلم وتأخذ بيده إلى الإقتداء بنبيه، إذ أنه يحاول الإجابة على الإشكال التالي:

لماذا نادى الله تعالى نبيه ﷺ في القرآن الكريم مرة بوصف المدثر ومرة بوصف المزمل، ومرة بوصف النبي ومرة بوصف الرسول؟

هل هناك علاقة وحكمة بين نوع الوصف و بين الواقع العام والملابسات التي نزل الخطاب أثناءها والحامل لذلك الوصف؟

هل كان كل وصف يلائم الحالة النفسية التي كانت تكتنف النبي ﷺ – أو هو وأصحابه – حين نزول النّداء الرباني؟

وهل هناك علاقة بين نوع الوصف، وبين مقصود السورة التي نزل فيها؟

أما عن أسباب اختياري للموضوع، فقد دفعني لذلك جملة من الأسباب، أهمها:

أ – أهميته البالغة التي سبق ذكرها آنفا.

ب – خدمة كتاب الله تعالى، وطمع في دار الكرامة التي وعدها الله تعالى لمن تجشم ذلك؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ﴾ يونس: ٢٦ .

ج – خدمة لجناب رسول الله ﷺ ، وطمعا في أن يتفضل علي الحق سبحانه وتعالى برؤية طلعته المباركة في دار الكرامة.

د – ما كان من تحفيز وتشجيع من قبل المشايخ الأجلاء حول هذا الموضوع، إذ على أيديهم يفتح الله تعالى على الطالب بسعة العلم، وأخص بالذكر منهم: فضيلة الشيخ الدكتور حاتم باي، وفضيلة الشيخ الدكتور محمد بوركاب، وفضيلة الشيخ الدكتور محمد بن عمر سماعي، وفضيلة الشيخ الدكتور صالح عسكر، حفظهم الله تعالى.

هـــ – عدم اطلاعي على رسالة علمية جامعة لهذا الموضوع، مع كثرة البحث والتقصي.

و – افتقار المكتبة الإسلامية لدراسات في التفسير الموضوعي، الذي يلقب بتفسير العصر.

الدراسات السابقة :

استنادا للجهد الذي _ أحسب أنني قد _ بذلته في البحث والتقصي، عن رسائل علمية حول موضوع : " نداءات الله تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم في القرآن الكريم "؛ فإني لم أطلع على رسالة علمية جامعة في هذا الموضوع.

نعم، اطلعت على بحثين اثنتين _غير علميين _ حول هذا الموضوع، الأول لأبي يوسف محمد زايد، بعنوان : " نداءات رب العالمين للنبي خاتم المرسلين "، والثاني: لعلي بن عبد العزيز الراجحي، بعنوان :" نداءات الرحمـــن للنبي المختار في كلام العزيز الغفار "، لكن هذين البحثين، لا يشكلان _ على الإطلاق _ عقبة أمام أي باحث أكاديمي يريد أن يتناول هذا الموضوع بالدراسة الجادة وذلك للأسباب التالية:

1 _ البحثان ليسا رسالتين علميتين _ ليسا بحثين أكاديميين، أخذ عنهما المؤلفين درجة علمية _ بل هما بحثين مستقلين .

2 _ بالنسبة لبحث السيد أبي يوسف محمد زايد، فإني لما اطلعت عليه، وجدته جمعا لأقوال السادة المفسرين في الآيات موضوع الدراسة...، وقد صرح السيد محمد زايد بصنيعه هذا في أول بحثه فقال: (وهذا تفسير هذه الآيات المباركات من كتب نخبة من المفسرين رحمهم الله.)، ثم أخذ يحشد أقوال المفسرين تحت كل آية مبتدئا بالآيات التي صدرت بقوله تعالى: {يا أيها النبي ..}، ثم : { يا أيها الرسول ..} ، ثم عرج على سورتي المزمل والمدثر، فنقل تفسير ابن عطية لهما كاملتين، وختم المؤلف كتابه بتفسير الآيات التي ذكر فيها اسمه صلى الله عليه وسلم، ناقلا عن ابن كثير أو السعدي أو غيرهما ، رحمهم الله جميعا. إذن فهذا البحث عبارة عن جمع لأقوال المفسرين حول الآيات موضوع الدراسة ، وهو بعبارة أخرى " تفسير إجمالي " لهذه الآيات ..

أما منهجي في تناول هذه الآيات فهو مخالف تماما، إذ بحثي عبارة عن دراسة في التفسير الموضوعي، أتقيد فيه بضوابط التفسير الموضوعي وقواعده.

3 _ أما بالنسبة لبحث السيد علي بن عبد العزيز الراجحي؛ فهو _ حسب تقديري _ عبارة عن دراسة شكلية مبدئية مهمة للآيات المعنية، إذ بدأ المؤلف كتابه بمقدمة وجيزة أشار فيها إلى عمله في الكتاب فقال: (وهذا بحث متواضع يتضمن دراسة الآيات الكريمات التي جاء في القرآن الكريم ذكرها وما اشتملت عليه من معاني و أحكام و ذكر لأسباب النزول)، ثم تمهيد تحدث فيه عن مكانة النبي صلى الله عليه و سلم عند الله عز و جل ، وعن النداء في القرآن الكريم ، ثم ثلاثة

فصول رئيسية ، الأول : في أساليب نداءات الله تعالى للرسول عليه الصلاة و السلام ، و الثاني : في ما يكون بعد نداء الرسول عليه الصلاة و السلام ، و الثالث : في خصائص نداء النبي عليه الصلاة و السلام في القرآن .ثم خاتمة ختم بها كتابه ...

وكما ذكر آنفا ؛ فبالرغم من أن هذا البحث يعتبر دراسة شكلية مهمة للآيات المعنية، إلا أنه يعد _ حسب تقديري و استنادا للخطة التي انتهجتها في البحث_ خطوة أولية غير مكتملة ، ممهدة لدراسة الآيات دراسة موضوعية ، في ضوء المقاصد القرآنية .

في الأخير يجدر بالذكر أن هناك بعض الكتب و الدراسات التي طرقت موضوع النداء في القرآن الكريم على العموم ، من بينها :

أ _ النداء في القرآن الكريم _ دراسة لغوية نظرية _، لمبارك تريكي ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2006 م .ويتناول هذا البحث ، الجملة الندائية القرآنية من الوجهة النحوية و البلاغية و اللسانية و الأسلوبية و الدلالية .

ب _ تفصيل النداء في القرآن الكريم، لأبي إسلام أحمد بن علي، وهذا الكتاب عبارة عن سرد، فقط، للآيات القرآنية التي جاء فيها النداء.

ج _ نداءات الرحمـــن لأهل الإيمان ، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري ، وقد جاء هذا الكتاب على شكل نداءات مقسمة على النحو الآتي : النداء الأول : الأدب مع رسول الله ، النداء الثاني : الاستعانة بالصبر والصلاة ، و هكذا ..

خطة البحث :

وتتضمن الرسالة مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

فأما المقدمة؛ فذكرت فيها أهمية الموضوع المختار للبحث وأسباب اختياري له، معرجا على إشكالية الموضوع،كما سبق ذكره، وأما الفصل الأول؛ فأردته فصلا تمهيديا، وجعلته تحت عنوان: النّداء وأنواعه في القرآن الكريم، وضمنته ثلاثة مباحث، تحت كل مبحث ثلاثة مطالب، هذه المباحث هي:

_ المبحث الأول: تعريف النّداء وذكر فوائده البلاغية.

_ المبحث الثاني: أنواع النّداء في القرآن الكريم.

_ المبحث الثالث: خصائص نداء النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم.

وأما الفصل الثاني؛ فخصصته لنداءات الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم التي جاءت بوصفي المدثر والمزمل، وجعلته تحت عنوان: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصفي المدثر والمزمل، كما ضمنته ثلاثة مباحث، تحت كل مبحث ثلاثة مطالب، هذه المباحث هي:

_ المبحث الأول: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف المدثر.

_ المبحث الثاني: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف المزمل.

_ المبحث الثالث: الأحكام المستفادة مما وراء النّداءين.

وأما الفصل الثالث؛ فخصصته لنداءات الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بوصفي النبوة والرسالة، وجعلته تحت عنوان: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصفي النبوة والرسالة، وضمنته كذلك ثلاثة مباحث، تحت كل مبحث ثلاثة مطالب، هذه المباحث هي:

_ المبحث الأول: تعريف الرسول والنبي وبيان الفرق بينهما.

_ المبحث الثاني: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة.

_ المبحث الثالث: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف الرسالة.

ثم ختمت البحث بخاتمة سطرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا الموضوع.

أما منهج البحث فهو كالآتي:

1 – أعزو الآيات بأرقامها إلى سورها.

2 – أخرج الأحاديث والآثار الواردة في الرسالة، متبعا المسلك الآتي:

إذا كان الحديث أو الأثر في أحد الصحيحين أو في كليهما؛ أكتفي بتخريجه منهما، حيث أذكر الكتاب والباب ورقم الحديث.

وإذا كان في الكتب الستة؛ أخرجه منها بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث وطرف من الإسناد، ثم أذيل التخريج بما يفيد الحكم على الحديث،معتمدا على أحكام الأئمة من السلف رحمهم الله تعالى.

وإذا كان في باقي السنن، فإني أكتفي بالعزو إلى الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث.

3 – أشرح الألفاظ الغريبة الواردة في الأحاديث والآثار، معتمدا على كتب غريب الحديث، أو شروح الصحاح والسنن.

4 – أعرف بالأماكن والمواضع التي وقع ذكرها في المتن.

5 – النص المقتبس أضعه بين علامتي تنصيص، هكذا: " "، وعند حذف شيء من النص لا يقتضيه المقام، أضع مكانه نقاطا، هكذا: "..."، وعند إضافة توضيح داخل للنص أجعله بين قوسين: ( ).

6 – وعند نقل نص بالمعنى أو بالتلخيص، أكتب بمقابله في الحاشية كلمة: (أنظر).

7 – سرت في إنجاز هذا البحث على قواعد التفسير الموضوعي، وبصفة خاصة على قواعد التفسير الموضوعي التجميعي.

8 – ختمت البحث بخاتمة عرضت فيها أهم النتائج المتوصل إليها.

9 – عملت فهارس للآيات القرآنية، حسب الترتيب المصحفي، وفهرست كذلك الأحاديث والمصادر والمراجع كلها حسب الترتيب الأبجدي.

هذا ما قصدت إليه من هذا البحث، فإن أصبت فمن الحق جلَّ وعلا، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان، وأستغفر الله العظيم.

والله تعالى أسأل أن يبارك هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يثقل به الموازين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلى الله وبارك على خير البرية، وسيد البشرية، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

النداء وأنواعه في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف النداء وذكر فوائده البلاغية .

المبحث الثاني : أنواع النداء في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : خصائص نداء النبي ﷺ في القرآن الكريم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول: النّداء و أنواعه في القرآن الكريم:

المبحث الأول: تعريف النّداء و ذكر فوائده البلاغية:

المطلب الأول: تعريف النّداء لغة و اصطلاحا:

تمهيد:

لا شك أن وظيفة النّداء المؤثرة في التواصل البشري، لا يمكن إغفالها بحال؛ إذ لا يتصور حدوث عملية اتصال بين فردين أو أكثر، دون تخاطب بأحد أدوات هذا الأسلوب، سواء كان نسق التخاطب علويا، أي من أسفل إلى أعلى، أو سفليا، أو أفقيا، من جهة إلى مساوية لها، حقيقيا كان أو مجازيا.

وفي هذه الأحوال جميعا، يترتب على صيغ النّداء ضروب من التغير المعنوي، و البنيوي، التي تحتاج إلى دراسة جادّة، وتشريح وتعليل وفهم حقيقي لوظيفة النّداء، هذا الذي جعل النّداء موضوعا مهما من موضوعات النحو والبلاغة على حدّ السّواء.

وقبل أن نتطرق إلى تعريف النّداء عند النحاة والبلاغيين، لا بأس أن نعرج على تعريف المصطلح من الجانب اللغوي:

الفرع الأول: تعريف النّداء، لغة:

في النّداء ثلاث لغات: أشهرها كسر النون مع المد، ثم مع القصر، ثم ضمها مع المد[1]، ولا يكاد يخرج النداء في اللغة عن معاني الصوت والدعاء والصياح.

قال في لسان العرب: "النِداء والنَداء: الصوت، مثل الدعاء والرغاء. وقد ناداه، ونادى به وناداه مناداة ونداء، أي صاح به، وأندى الرجل، إذا حسن صوته. والندى: بعد الصوت، ورجل ندي الصوت بعيده"[2]، وقال في الأساس: "وأنا أنادي ولا أناجيك، و(نودي للصلاة)، وإذا سمعت النّداء فأجب"[3].

---

[1]- أنظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، ت: محي الدين عبد الحميد: 441/2، دار الكتاب العربي -بيروت- ط1، سنة 1955.

[2]– لسان العرب، لابن منظور أبو الفضل جمال الدين الإفريقي: 4388/49، دار المعارف –القاهرة- (دت).

[2]– لسان العرب، لابن منظور أبو الفضل جمال الدين الإفريقي: 4388/49، دار المعارف –القاهرة- (دت).

[3]– أساس البلاغة، الزمخشري أبو القاسم جار الله، ت: عبد الرحيم محمود، ص451، دار المعرفة للطباعة والنشر.

فالنّداء: رفع الصوت، والمناجاة عكس ذلك تماما، والنّداء للصلاة: رفع الصوت بالأذان ليسمعه البعيد كما القريب فيجيب.

وإلى هذا المعنى ذهب صاحب الصحاح، حيث قال: "النّداء الصوت، وهو أيضا بعد ذهاب الصوت، يقال فلان أندى صوتا من فلان إذا كان بعيد الصوت".[1]

ويرد النّداء بمعنى الدعاء كذلك، قال في الارتشاف: "النّداء لغة الدعاء"[2]، وقال صاحب الأساس: "تقول دعوت فلانا وبفلان: ناديته، وصحت به ... وأجيبوا داعية الخيل، وهي صريخهم".[3]

كما قد يرد النّداء بمعنى البيان والإظهار، ونادى بسره، أظهره، قال ابن الأعرابي:

غَرَاءُ بَلْهَاءُ لاَ يَشْقَى الضَجِيعُ بِهَا وَلاَ تُنَادِي بِمَا تُـــوشِي وَتَسْتَمِـــعُ[4]

الفرع الثاني: تعريف النّداء، اصطلاحا:

لا يتفق النحويون تماما على تحديد معنى النّداء في الاصطلاح؛ إذ يلجأ بعضهم إلى تعريفه وظيفيا، كما فعل أبو حيان الأندلسي حيث قال في الارتشاف: "واصطلاحا هو الدعاء بحروف مخصوصة"[5]، وكذا قال ابن الحاجب في الكافية: "والمنادى هو المطلوب إقباله بحرف نائب مناب أدعوا لفظا أو تقديرا."[6] وهو الذي ذهب إليه الزركشي، حيث قال في البرهان: "النّداء هو طلب إقبال المدعو على الداعي بحرف مخصوص"[7]، بينما يلجأ البعض الآخر إلى تعريفه انطلاقا من أحواله الإعرابية، كما صنع

---

[1] ـ مختار الصحاح، الرازي فخر الدين، ضبط وشرح وتعليق مصطفى ديب البغا، ص413، دار الهدى –الجزائر– ط4، سنة 1990م.

[2] ـ ارتشاف الضرب من لسان العرب، الأندلسي أبو حيان، تحقيق وشرح ودراسة رجب عثمان محمد: 2154/4، مكتبة الخانجي –القاهرة– ط1، سنة 1998م.

[3] ـ أساس البلاغة، الزمخشري، مصدر سابق، ص.131

[4] ـ البيت لابن الأعرابي، أنظر: لسان العرب، مصدر سابق: 4388/6.

[5] ـ الارتشاف، مصدر سابق: 2179/4.

[6] ـ شرح كافية ابن الحاجب، الأستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن، ت: عبد العال سالم مكرم، ص335، عالم الكتب –القاهرة– ط1، سنة 2000م.

[7] ـ البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين، ت: أبو الفضل محمد إبراهيم: 323/2، دار المعرفة –بيروت– ط2.

سيبويه في الكتاب، حين قال: "إنّ النّداء هو كل اسم مضاف فيه فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره والمفرد رفع وهو في موضع اسم منصوب".[1]

غير أن التعريف الذي يمكن إيثاره هنا لجمعه بين الأمرين، هو ما أورده ابن عقيل في شرحه على الألفية، قال: "النّداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب بواسطة أحد أحرف النّداء، ملفوظا كان حرف النداء أو ملحوظا"[2]، فمن أمثلة النّداء الملفوظ، قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ المائدة: ٤١، ومن أمثلة النّداء الملحوظ، قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧ ﴾ البقرة: ١٢٧، والأصل: يا ربنا، فجرى حذف حرف النّداء، لأنه تمكن ملاحظته.

أمّا بالنسبة للبلاغيين، فإنهم لاشك، استفادوا من مدارسة النحويين لموضوع النّداء، لذلك نلاحظ بأنهم متفقون حول تحديد معنى مُوحَّد للنّداء، ونجدهم يشاطرون رأي النحويين الذين جمعوا في تعريفهم له بين الجانب الوظيفي اللغوي، والجانب الإعرابي، قال القزويني في التلخيص:"النّداء هو طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف من حروف النّداء ينوب مناب (أدعو) و(أنادي)"[3]، وإلى مثل هذا ذهب أحمد الهاشمي في جواهر البلاغة[4]، ومصطفى المراغي في علوم البلاغة[5]، ويحي بن حمزة العلوي في الطراز[6]، وغيرهم.

---

[1] – الكتاب، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، ت: عبد السلام محمد هارون: 182/2، مكتبة الخانجي –القاهرة- ط3، سنة 1988م.

[2] – شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل: 16/3، نشر محي الدين عبد الحميد –القاهرة- سنة 1961م.

[3] – شرح التلخيص في علوم البلاغة، القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، شرح محمد هاشم دويدي، ص90، دار الجيل –بيروت- ط2، سنة 1982م.

[4] – أنظر: جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، الهاشمي أحمد، ص105، دار الفكر –بيروت- ط12، سنة 1987م.

[5] – أنظر:علوم البلاغة: البيان و المعاني و البديع، المراغي مصطفى، ص73، دار الآفاق العربية –القاهرة- ط1، سنة 2000م.

[6] – أنظر: الطراز، العلوي يحي بن حمزة: 293/3، طبعة المقتطف –مصر- سنة 1914م.

المطلب الثاني: قواعد النّداء في النحو العربي:

إذا رام الطالب تحصيل مسائل النحو، فإن ما ينشده لن يكون سهلا يسيرا على الإطلاق...
سوف يذهل بالكم الهائل من الآراء المختلفة والمتباينة، المبثوثة في كتب أهل الفن، على أنه لكل ناطق برأيٍ حججه وأسانيده وشواهده، كما سيحار الدارس إزاء هذه الآراء المتعددة، في أيِّ رأي يُصوِّب ويتبنى، وأيِّ مذهب يؤيد وينتصر.

لذلك سنحاول في هذا المطلب، وصف بنية الجملة النّدائية بأسلوب ميسَّر، خال من التزاعات المذهبية، والأقيسة والتعليلات التي حصر لها، ولا فائدة ترجى في تتبعها، وذلك من أجل سببين اثنين:

1 ـ تماشيا مع حركة الإصلاح التي تجتاح مختلف العلوم الإسلامية، بغية تيسيرها، وتوجيه قواعدها وجهة علمية، تحيي حركة التحصيل من جديد..،على غرار علم النحو، الذي شهد هو الآخر ابتداء من القرن السادس الهجري حملات إصلاحية هامة، أشعل فتيلها ابن مضاء الأندلسي، الذي مضى يهاجم في كتابه "الرد على النحاة"[1] كثيرا مما أثبتوه في كتبهم من آراء وعلل، واقترح أن يحذف من النحو كل ما يمكن للنحوي أن يستغنى عنه، متأثرا في ذلك بابن جني الذي كان يأخذ بظاهر النص، ويرفض ما وراءه، وينكر علة العلة[2]، وغير ذلك مما ينبغي أن يصفى منه علم النحو.[3]

2 ـ موضوع البحث لا يقتضي التفصيل في قواعد النّداء في النحو العربي، بل يجدر الحديث عما يفيد نفعا للموضوع فقط:

---

[1] – أنظر: الرد على النحاة، القرطبي ابن مضاء، ت: شوقي ضيف ، ص85، دار الفكر العربي–القاهرة– ط1، سنة 1947م.
[2] – أنظر: الخصائص، ابن جني أبو الفتح عثمان، ت: محمد علي النجار: 173/1 وما بعدها، القاهرة، ط1، سنة 1956م.
[3] – أنظر: النداء في اللغة والقرآن، فارس أحمد محمد، ص74، دار الفكر اللبناني –بيروت– ط1، سنة 1989م.

الفرع الأول: حروف النّداء:

للنداء حروف ثمانية هي: الهمزة الممدودة، والمقصورة (أ ، آ) ، وأي الممدودة، والمقصورة (أي، آي)، ويا، وأيا، وهيا، و"وا"، وأكثرها استعمالا في نداءات القرآن الكريم هو الحرف "يا".[1]

ـ فأما الهمزة المقصورة (أ)، و"أي": فينادى بهما القريب ومن في حكمه، كقولك: أي زيد أقبل، وكقول الشاعر:

أَفَاطِـــمُ مَهْـــلاً بَعْضُ هَذَا التَّدَلُّـــــلِ وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ فَأَجْمِـــلِي[2]

ـ وأما الحرف "وا": فيستعمل في الندبة لا غير، والندبة هي نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه، كقولك: واقلباه.

ـ وأما باقي الأدوات فينادى بها البعيد ومن في حكمه.

وقد يترل القريب مترلة البعيد لاعتبار عند المتكلم، فيستعمل له حرف النّداء الموضوع للبعيد، كما قد يترل البعيد مترلة القريب لدى المتكلم كذلك، فيستعمل له حرف النّداء الموضوع للقريب، غير أن الضابط لذلك غير واضح للنحويين، إذ لابد من مراعاة السياق والتدقيق فيه.[3]

وأعم هذه الحروف "يا"، إذ هي تدخل في كل أقسام النّداء، حتى في باب الندبة عند أمن اللبس، كقول الشاعر:

حَمَّلْتَ أَمْرًا عَظِيمًا فَاصْطَبَرْتَ لَهُ وَقُمْـــتَ فِـــيهِ بِأَمْرِ اللهِ يَا عُمَـــرَا[4]

إذ أن المقام هنا مقام رثاء، والنّداء للندبة غير ملبس فيه، فاستعمل الحرف "يا" بدل الحرف "وا" المتعين في الندبة عند خشية اللبس.

كما تختص "يا" دون سواها، بجواز حذفها، عندما لا يكون هناك مانع من الحذف، كقوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ﴾ يوسف: ٢٩، أي: يا يوسف.

---

[1] ـ أنظر: الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي الحسن بن القاسم، ت: فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، ص353، دار الكتب العلمية –بيروت- ط1، سنة 1992م. شرح ابن عقيل، مصدر سابق، ج3، ص255.

[2] ـ البيت لامرئ القيس، ديوانه، ضبط: محمد عبد الشافي، ص113، دار الكتب العلمية – بيروت- ط4، سنة 2004م.

[3] ـ أنظر: النداء في اللغة والقرآن، مرجع سابق، ص81.

[4] ـ البيت لجرير، ديوانه، ت: كرم البستاني، ص235، دار بيروت –بيروت- (دت).

وهي وحدها يتعين دخولها في نداء لفظ الجلالة، و" أي "، و" أية "، كقولك: "يا الله"، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يونس: ٥٧ ، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾ الفجر: ٢٧ – ٢٨، لأجل كل هذا سميت "يا" عند النحاة بأم الباب.[1]

الفرع الثاني: حذف حرف النّداء:

سبق وأن ذكرنا بأن حرف النداء "يا"، يصح عند النحاة حذفه، دون غيره من الأحرف الأخرى، غير أن هناك مواضع يمتنع فيها الحذف، وهذه المواضع هي:[2]

1 ـ لفظ الجلالة: إذا لم يُعوَّض حرف النداء بالميم المشددة، فإذا حصل العوض؛ وجب حذف حرف النداء، حتى لا يجمع بين العوض والمعوض عنه، فتقول: "يا الله" بدل "اللهم".

2 ـ المنادى المستغاث: كقولك: " يا لحمزة للمقادير ".

3 ـ المنادى البعيد: لأن أداة النّداء الممدودة، تساعد على إبلاغ الصوت إليه، وحذفها يتعارض معه، كقول الشاعر:

يَا ذَا الْمُخَـوِّفَنَا بِمَقْـتَلِ شَيْخِـهِ حَجَـرٌ تَمَنَّى صَاحِبُ الأَحْـلاَمِ[3]

4 ـ النكرة غير المقصودة: كقولك: يا صائما، إياك والغيبة. قال الرضي: "وإنما لا تحذفه من النكرة، لأن حرف التنبيه إنما يستغنى عنه إذا كان المنادى مقبلا عليك منتبها لما تقول له".[4]

5 ـ ضمير المخاطب عند من يجيز كونه منادى: كقول الشاعر:

يَا أَبْجَـرُ بْنُ أَبْجَـرٍ يَـا أَنْـتَ أَنْتَ الَّذِي طَلَّقْتَ عَامَ جُعْـتَ[5]

---

[1] ـ أنظر: الجني الداني، مرجع سابق، ص353. شرح المفصل، ابن يعيش موفق الدين: 49/5، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية –بيروت- ط1، سنة 2001م.

[2] ـ أنظر: شرح الأشموني على الألفية، مصدر سابق: 404/2. شرح السيرافي على كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، ت: رمضان عبد التواب ومحمود فهمي حجازي ومحمد هاشم عبد الدايم: 48/2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، سنة 1986م.

[3] ـ البيت لعبيد بن الأبرص، رواه صاحب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ت: محمد نبيل طريفي/اميل بديع اليعقوب: 186/2، دار الكتب العلمية –بيروت- سنة 1998م.

[4] ـ شرح الرضي على الكافية، مصدر سابق: 422/1.

[5] ـ لم أقف عليه.

6 _ المنادى المتعجب منه: كقولك: يا للماء، متعجبا من كثرته.

الفرع الثالث: حكم المنادى:

قد أشرنا فيما مضى إلى تعريف سيبويه للمنادى حيث قال: "أنه كل اسم مضاف فيه، فهو نصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره"[1]، وبالتالي فالمنادى منصوب دائما لفظا أو محلا لأنه في مكان المفعول به.

غير أن ناصب المنادى قد وقع فيه خلاف، الأكثر – وهو مذهب سيبويه والمبرد – على أن ناصبه هو فعل محذوف وجوبا تقديره (أنادي) ناب عنه حرف النّداء، وإنما وجب حذف الفعل حتى لا يجمع بين النائب والمنوب عنه.[2]

وذهب البعض إلى أن المنادى منصوب بأداة النداء التي حلت محل الفعل ودلت على معناه، فعملت عمله.[3]

ثم إن المنادى قد ينصب لفظا وقد ينصب محلا، وفيما يأتي تفصيل ذلك:[4]

أ _ ينصب المنادى لفظا في ثلاثة مواضع:

1 _ إذا كان مضافا، كقولك: يا رب العالمين، يا رسول الله.

2 _ إذا كان شبيها بالمضاف، وهو ما اتصل به شيء من تمام معناه، كقولك: يا طيبا فؤاده.

3 _ إذا كان نكرة غير مقصودة: أي التي بقيت بعد النداء على شيوعها، كقول الشاعر الأسير:

فَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ فَبَلِّغَنْ نَدَامَايَ مِن نَجْرَانَ أَلاَّ تَلاَقِيَا[5]

---

[1] _ راجع: ص18.

[2] _ أنظر: سيبويه، الكتاب، مصدر سابق: 182/2. والمقتضب، المبرد محمد بن يزيد أبو العباس، ت: محمد عبد الخالق عظيمة، 202/4، عالم الكتب –بيروت– (دت).

[3] _ أنظر: تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ت: محمد كامل بركات، ص76، (دت) –القاهرة– سنة 1967م. وشرح شذور الذهب، الأنصاري بن هشام، ت: محي الدين عبد الحميد، ص148، (دت) –القاهرة– سنة 1964م.

[4] _ أنظر: الواضح في علم العربية، الزبيدي، ت: أحمد علي السيد، ص127، (دت) –القاهرة– سنة 1971م. وشرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام عبد الله جمال الدين أبي محمد الأنصاري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ص302، دار الثقافة –القاهرة– (دت). وشرح الأشموني على الألفية، مصدر سابق: 138/3.

[5] _ البيت لعبد يغوث بن وقاص الحارثي، أنظر: خزانة الأدب للبغدادي، مرجع سابق: 396/1.

فإنه لم يرد راكبا معينا.

ب ـ وينصب المنادى محلا إذا كان مفردا، أي ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف، و ذلك في موضعين:

1 ـ إذا كان مفردا علمنا، مثل قولك: يا محمد.

2 ـ إذا كان نكرة مقصودة بالنّداء، وهي التي خرجت بالنّداء من الشيوع إلى التعيين، فاكتسبت به التعريف، كقولك الشاعر:

قَالَـــتْ هُرَيْـــرَةُ لَمَّا جِئْتُ زَائِـــــرَهَا وَيْلِي عَلَيْكَ وَوَيْلِي مَنْكَ يَا رَجُلُ[1]

الفرع الرابع: دخول "أل" على المنادى:

لا يُجوِّز النحاة الجمع بين حرف النداء و"أل"، إلا في مواضع محددة هي:[2]

1 ـ لفظ الجلالة: مثل قولك: يا اللهُ.

2 ـ الجمل المحكية، كما إذا سمي رجل: الماهرُ زيد، فينادى: يا الماهرُ زيد، لأن هذه الجملة أصبحت علما على مُسمَّى، وهو حينئذ مبني على الضم المقدر على آخره، مع ظهور حركة الحكاية.

3 ـ اسم الجنس المشبّه به: مثل قولك: يا الأديبُ كتابةً، لمن شابه الأديب في الكتابة.

4 ـ ضرورة الشعر كقول الشاعر:

فَيَـــا الغُلاَمَـــانِ اللَّـــذَانِ فَـــرَّا إِيَّاكُـــمَا أَنْ تَعْقِبَانَـــا شَـــــرَّا[3]

الفرع الخامس: تابع المنادى وأحكامه:[4]

أ ـ إذا كان المنادى معربا منصوبا: فتابعه أبدا منصوب معرب، نحو قولك: يا أبا الحسن صاحبنا، يا ذا الفضل وذا العلم، يا أبا محمد والضيفَ، إلا إذا كان التابع بدلا، أو معطوفا مجردا من "أل"، غير مضافين، فهما حينئذ مبنيان، نحو قولك: يا أبا الحسن عليُّ، يا عبد الله وخالدُ.

ب ـ وإذا كان المنادى مبنيا، فتابعه على أربعة أضرب:

---

[1] ـ البيت للأعشى، أنظر: خزانة الأدب للبغدادي:397/8.

[2] ـ أنظر: شرح شذور الذهب: ص144. وشرح الأشموني على الألفية: 337/3. والكتاب، لسيبويه: 195/2.

[3] ـ قال محقق توضيح المسالك: لم أقف على اسم قائله، أنظر: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، المرادي أبو محمد بدر الدين بن علي ، ت: عبد الرحمن علي سليمان: 1067/2 ، دار الفكر، ط1، سنة 2008م.

[4] ـ أنظر: الكتاب، لسيبويه: 185/2. و شرح الأشموني على الألفية: 411/3.

1 ـ ما يجب رفعه معربا تبعا للفظ المنادى: وهو تابع (أي، أية، واسم الإشارة)، نحو قولك: يا أيها الرجلُ، يا أيتها المرأةُ، يا هذا الرجلُ، يا أيهذا الرجلُ.

يمكن تأمّل أن تابع اسم الإشارة المنادى يُرفَع باعتبار أن اسم الإشارة مبني على ضمّ مقدّر، فتبعيته له مرفوعا؛ هي باعتبار هذا الضمّ المقدّر، كما يجدر الذّكر بأنه لا يُتبع اسم الإشارة أبدا إلا بما فيه "أل"، ولا تُتبع (أي وأية) في باب النّداء، إلا بما فيه "أل"، أو باسم الإشارة.

2 ـ ما يجب ضمه للبناء: وهو البدل، والمعطوف المجرد من "أل" اللذان لم يضافا، نحو قولك: يا حمزة محمدُ، يا حمزة ومحمدُ.

3 ـ ما يجب نصبه تبعا لمحل المنادى: وهو كل تابع أضيف مجردا من "أل"، نحو قولك: يا عليُّ أبا الحسن، يا حمزةُ صاحبَ خالد.

4 ـ ما يجوز فيه الوجهان: الرفع معربا تبعا للفظ المنادى، والنصب تبعا لمحله، وهو نوعان:

الأول: النعت المضاف المقترن بأل، و هو يكون في الصفات المشتقة المضافة إلى معمولها، نحو قولك: يا حمزة الحسنُ الخلق، أو يا حمزة الحسنَ الخلق.

الثاني: ما كان مفردا من نعت، أو توكيد، أو عطف بيان، أو معطوف مقترن بأل، نحو قولك: يا حمزة الكريمُ، أو الكريمَ، يا خالدُ خالدٌ، أو خالدًا، يا رجل سعيدٌ، أو سعيدًا، قال تعالى: ﴿ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ﴿١٠﴾ ﴾ سبأ: ١٠، وقرئ: (و الطيرُ)، بالرفع.

الفرع السادس: حذف المنادى:

لقد وقع الخلاف بين النحاة في مسألة حذف المنادى؛ فهناك من رأى جواز وقوعه، منهم سيبويه[1]، ومثلوا لذلك بأمثلة منها: قوله تعالى: ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ النساء: ٧٣، أي: يا قوم، وقوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ النمل: ٢٥، فقد قرأ الكسائي وحده من السبعة: ألا يااسجدوا بتخفيف اللام من قوله ألا، وعلى قراءة الكسائي هذه، فلفظة "ألا" حرف استفتاح وتنبيه، و"يا" حرف نداء، والمنادى

[1] ـ أنظر: الكتاب، سيبويه: 215/2.

محذوف تقديره ألا يا هؤلاء اسجدوا، قالوا ومعلوم أن حذف المنادى مع إثبات أداة النّداء، ودلالة القرينة على المنادى المحذوف مسموع في كلام العرب، منه قول الأخطل:

أَلاَ يَا اسْلَمِي يَا هِندُ هِندَ بَنِي بَكْرٍ وَإِنْ كَانَ حَيَّانَا عَدَى آخِرَ الدَّهْرِ[1]

أي: يا هذه اسلمي.[2]

ويذهب فريق آخر إلى نفي وقوعه، منهم ابن جني، وأبي حيان الأندلسي، وقالوا إن الذي يقتضيه النظر، أنه لا يجوز، لأن الجمع بين حذف الفعل والمنادى انتهاك وإجحاف، ولم يرد بذلك سماع من العرب، وخرجوا كل تلك الشواهد المسموعة على أن حرف النّداء الذي لم يذكر بعده المنادى؛ هو حرف يقصد به تنبيه السامع إلى ما بعده، وليس بحرف نداء.[3]

غير أن هناك من يذهب مذهبا وسطا، منهم ابن مالك، فيقول: إن جاء بعد "يا" فعل أمر أو دعاء؛ فهي حرف نداء، والمنادى محذوف، نحو: (ألا يا اسجدوا)، والتقدير: ألا يا قوم اسجدوا، ونحو: (ألا يا اسلمي)، والتقدير: ألا يا عبلة ... وإلا فهي حرف تنبيه، كقوله تعالى: ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يس: ٢٦[4]، ولعلّ الرأي الأخير أقرب إلى التّحقيق إن شاء الله تعالى.

المطلب الثالث: الأغراض البلاغية للنداء:

يقوم النّداء بدور جمالي بارز في الكلام العربي وفقا لمفهوم البلاغة العربية، فالنّداء في الحقيقة هو أسلوب إنشائي قوامه الطلب والخطاب، وبالتالي فإنه يتمتع بمزايا بلاغية متوافرة فيه توافرها في سائر ضروب الإنشاء. هذا وإن النّداء كما مر معنا في اللغة هو توجيه الدعوة للمنادى لإقامة علاقة معه إما

---

[1] ـ البيت للأخطل، ديوانه، ت:مهدي محمد ناصر الدين: ص110، دار الكتب العلمية –بيروت– ط2، سنة 1994م.

[2] ـ أنظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي محمد الأمين، إشراف: بكر أبو زيد: 445/6، دار عالم الفوائد –مكة المكرمة– ط1، سنة 1426هـ.

[3] ـ أنظر: الخصائص، لابن جني: 279/2. وارتشاف الضرب، لأبي حيان: 2181/4.

[4] ـ أنظر: تسهيل الفوائد، ابن مالك: ص179.

للحوار، أو لأغراض أخرى يجليها سياق الكلام؛ تتضمن هذه الدعوة وجوها بلاغية صريحة يقصد المتكلم إبلاغها، وأخرى خفية قد يعسُر عليه الإفصاح عنها، أو يرى أن إيصالها للمخاطب بغير الإفصاح، أشدّ وطأة في التّأثير، وأوسع دلالة في التعبير، فيلجأ حينئذ للتعبير عن مقصوده، إلى توظيف الأسلوب الناقص في النّداء، أو بالتصرف في أدوات الأخير، أو باختيار السياق الملائم وإعمال القرائن، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

الفرع الأول: الأغراض البلاغية المنوطة بالأسلوب الناقص في النّداء:

قد يرد التركيب الندائي ناقصا في الكلام العربي من أجل تحقيق معان بلاغية، ويكون ذلك على صورتين اثنتين: إما بحذف المنادى والإبقاء على حرف النّداء، وإما بحذف حرف النداء "يا" والإبقاء على المنادى:

أ – بالنسبة لحذف المنادى: يعمد المنادي إلى حذف اسم المنادى عند ندائه لتحقيق أغراض بلاغية منها:

ـ تنبيه من يعقِل بالتعجّب مما حل بالمنادي[1]، مثل قول الشّاعر:

يَـــا عَجَـــباً لِهَـــذِهِ الفَلْيَـــــــقَة فَيَا عَجَباً مِنْ رَحْلِهَا المتَّحَمِّـــــلِ[2]

أي: يا حاضرا اعجب عجبًا إلى آخره.

ـ تنبيه من يعقِل إلى ما يكتنف المنادي من أحزان وآلام وتحسر وندم: وذلك عند نداء الحسرة والويل والأسف وما شابهها، عند من يرى بأنها ليست المقصودة بالنّداء، ويرى جواز حذف المنادى مطلقا، نحو قوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ يوسف: ٨٤، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧ – ٢٨، وقوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الزمر: ٥٦، والمراد في كل ما سبق مَنْ

---

[1] ـ أنظر: تفسير البحر المحيط، الأندلسي أبو حيان محمد بن يوسف، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ج6، ص128، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1993م.

[2] ـ لم أقف على قائله.

بحضرتهم، فكأن يعقوب عليه الصلاة والسلام يقول: يا من بحضرتي، انظروا شدة أوجاعي، وآلامي، وأسفي على فَقْد يوسف، وفي المثالين الآخرين، كأنهم يقولون: يا من بحضرتنا انظروا هلكتنا.[1]

ـــ استعطاف المأمور لاستدعاء إقباله على ما يؤمر به: مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ النمل: ٢٥، فقد قرأ الكسائي، وبعض المدنيين، والكوفيين: "ألا" بالتخفيف، والتقدير: ألا يا هؤلاء اسجدوا.[2]

ب – بالنسبة لحذف حرف النّداء: وقد يعمد المنادي عند ندائه، إلى حذف حرف النداء لتحقيق أغراض بلاغية منها:

ـــ استعطاف المدعو واستلطافه، واستمالته ليكون إلى جانب الداعي: نحو قوله تعالى على لسان عزيز مصر: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف: ٢٩، أي: أعرض عن ذكر ما كان من امرأتي إليك فيما راودتك عليه، فلا تذكره لأحد، فهو يستعطفه ويرجوه بنداء القرب الخالي من حرف النّداء، أن يعرض عن ذكر هذه الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ولا يحصل العار العظيم بسببها.[3]

ـــ التعبير عن شعور الداعي بقربه الشّديد من المدعو: نحو قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف: ١٤٣، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ﴾ البقرة: ٢٦٠، وقوله تعالى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ يوسف: ١٠١، ونحو ذلك، حيث إن المنادَى هو في أقرب منازل القرب من المنادِي، حتى لم يحتج إلى ذكر أداة نداء له لشدة قربه، والتقدير في كل ما سبق: يا رب.

---

[1] ـ أنظر: تفسير البحر المحيط: 128/6.

[2] ـ أنظر: تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي: 41/18، دار هجر –الجيزة، مصر– ط1، سنة 2001م.

[3] ـ أنظر: المصدر نفسه: 113/13. وانظر: تفسير الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، الرازي محمد فخر الدين: 128/18، دار الفكر –بيروت– ط1، سنة 1981م.

الفرع الثاني: الأغراض البلاغية المنوطة بتصرف البليغ في أدوات النّداء:

أ – قد يترل المنادي البعيد مترلة القريب، فيناديه بالهمزة، و" أي"، لغرض بلاغي، هو الإشعار بأن المنادى قريب حاضر في القلب، لا يغيب عن الخاطر، حتى صار كأنه حاضر شاهد.

كأن تقرأ رسالة والد إلى ولده أرسلها له من مكان بعيد، فتراه يقول: " أي بني عليك بالاستقامة... " فعلى الرغم من تباعدهما، فقد عبر له بأي الموضوعة لنداء القريب، ليعبر له عما يضمره له من حب وشوق، فهو حاضر في قلبه لا يغيب عن خاطره، وكأنه ماثل أمامه.[1]

ب ــ وقد يترل المنادي القريب مترلة البعيد فيناديه بغير الهمزة، و"أي"، لأغراض بلاغية أهمها:

1 ــ الإشعار ببعد مترلته، وعُلوِّ مكانته، فيترل ذلك مترلة البعد المكاني، كما في قوله تعالى على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ يوسف: ٤، فيوسف عليه السلام ينادي أباه وهو قريب منه، وقد استخدم "يا" الموضوعة لنداء البعيد، ليعبِّر عن عظم مكانته، وسموِّ مترلته، وهذا من أدب الابن مع أبيه.[2]

2 ــ الإشعار بأن المنادى وضيع المترلة، منحطّ المكانة، وكأنه بعيد عن القلب، فيترل هذا البعد النفسي مترلة البعد المكاني[3]، كما في قول الفرزدق يهجو جريرا:

أُولَـــئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِـــــــــم إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيــرُ المَجَامِـــــــعُ[4]

3 ــ الانتقاص من حظّ النفس تأدّبا مع الله حال الدعاء، كقول الدّاعِي: يا الله اغفر لي ذنوبي، يا ربِّ أرزقني، فكان الأجدر به أن يحذف أداة النّداء لأن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق: ١٦، لكنه أثبتها استبعادا لنفسه من مظان الزُّلفَى وما يقربه إلى منازل المقربين هضما لنفسه وإقرارا عليها بالتنقيص، حتى تتحقق الإجابة[5].

---

[1] ــ أنظر: علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، ص331، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع –القاهرة- ط2، سنة 2004م.

[2] ــ أنظر: المرجع نفسه، ص332.

[3] ــ أنظر: المرجع نفسه.

[4] ــ البيت للفرزدق، ديوانه، ص360، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1987م.

[5] ــ أنظر: تفسير الرازي، مصدر سابق: 91/2.

4 ــ التنبيه على أهمية الأمر المدعو له، وعظم شأنه، حتى كأن المنادى ساهم عنه، مُقَصّر فيه، مع شدة حرصه على الامتثال[1]، كما في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ المائدة: ٦٧، ويحمل على ذلك كل النّداءات الموجهة من الله تعالى إلى أنبيائه وعباده: يا نوح اهبط بسلام، يا أيها الذين آمنوا، يا أيها الناس .... ومن ذلك أيضا قوله تعالى على لسان لقمان يوصي ابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ ﴾ لقمان: ١٣.

5 ــ الإشعار بغفلة المنادى وسهوه عن الأمر الجلل، الذي يقتضي اليقظة والانتباه[2]، كقول مرة بن كحلان التميمي، يخاطب ربة بيته ويناديها:

يَا رَبَّةَ البَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِـــــرَةً ضُمِّي إِلَيْكِ رِحَالَ القَوْمِ وَالقِرَبَـــا[3].

6 ــ التعبير عن شدة حاجة الداعي إلى المدعو، أو الكشف له عن استغاثته به، أو عن ألمه وضيق صدره، أو نحو ذلك من المعاني: وهذا يليق بمقام دعاء الرب عز وجل، إذا ورد متحليا بأداة النّداء "يا"، وفي الحقيقة لم يرد في القرآن الكريم نداء بهذا الشكل، إلا في موضعين اثنين نادى فيهما رسول الله محمّد صلى الله عليه وسلم ربه جل اسمه، بذكر أداة النداء "يا"، تعبيرا عن حالة نفسه الحزينة من أجل قومه، الذين اتخذوا القرآن مهجورا، بعد أن بذل الجهد كله في تبليغ ما أنزل عليه منه، وأسمعهم آياته، وأعادها عليهم المرّة تلوى المرّة، ليدركوا معانيها؛ فلم يزدهم ذلك إلا إصرارا على الكفر والعناد.

ــ فالموضع الأول في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠ ﴾ الفرقان: ٣٠ فذكر الرسول صلوات ربي وسلامه عليه، حرف النّداء "يا" مع أنه ينادي ربه الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد، ليعبّر بمدّ صوته، بأداة النداء، عن حزنه من أجل قومه، وحرصه على هدايتهم الصراط المستقيم.

ــ والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ٨٨ ﴾ الزخرف: ٨٨، أي: وقال محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا شكواه إلى ربه: يا رب إن هؤلاء الذين أمرتني بإنذارهم وأرسلتني

---

[1] ــ أنظر: علم المعاني: ص332.

[2] ــ أنظر: المرجع نفسه، ص333.

[3] ــ البيت لمرة بن كحلان التميمي، أنظر: ديوان الحماسة (شرح التبريزي): 60/4.

إليهم لدعائهم إليك، متصلبون على العناد والكفر فهم لا يؤمنون، فعبّر بأداة النداء عن تلهفه لإيمانهم ونجاتهم، وتوجع قلبه من أجلهم.[1]

الفرع الثالث: الأغراض البلاغية المفهومة من السياق وقرائن الأحوال:

يأتي أسلوب النّداء في الكلام العربي مفيدا لمعان بلاغية كثيرة، تفهم من السياق، وقرائن الأحوال، أهمها:

1 ــ الإغراء: وهو الحث على طلب الأمر الذي ينادى له[2]، ومنه قول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ المائدة: ١٠٥، فالحق سبحانه وتعالى يريد من عباده المؤمنين بهذا النّداء إغراءهم وحثهم على إصلاح أنفسهم، والعمل في خلاصها من عقاب الله تعالى ذكره، والنظر لها فيما يقربها من ربها[3].

2 ــ الاختصاص: وهو تخصيص حكم علق بضمير باسم ظاهر صورته صورة المنادى، والغرض من الاختصاص؛ إمّا تأكيد مدلول الضمير، وزيادة إيضاحه، كما في قول العرب: أما أنا فأفعل كذا أيّها الرجل، ونحن نفعل كذا أيّها القوم، اللهم اغفر لنا أيّتها العصابة. فقد جعلوا "أيٌّ" مع صفته دليلا على الاختصاص والتوضيح، ولم يعنوا بالرجل والقوم والعصابة إلا أنفسهم، كأنه قيل أما أنا فأفعل كذا متخصصا بذلك من بين الرجال، ونحن نفعل متخصصين من بين الأقوام، واغفر لنا مخصوصين من العصائب. وإما إظهار المسكنة والتواضع، مثل قولك: أنا أيّها المسكين أطلب المعروف. وإما الافتخار، كقولك: نحن أقرى للضيف أيّتها العرب.[4]

3 ــ الاستغاثة: ويكون ذلك عند نداء من له قوة على دفع بلاء أو شدة، ولا يستعمل للاستغاثة من أحرف النّداء إلا "يا".[5]

---

[1] ــ أنظر: البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها، الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة: 242/1، دار القلم –دمشق- ط1، سنة 1996م.

[2] ــ أنظر: علم المعاني، مرجع سابق، ص333.

[3] ــ أنظر: تفسير الطبري، مصدر سابق: 43/9.

[4] ــ أنظر: علم المعاني، مرجع سابق، ص333، 334. والمفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري جار الله، ت: علي بوملجم: 8/1، دار ومكتبة الهلال -بيروت- ط1، سنة 1993م.

[5] ــ أنظر: جامع الدروس العربية، الغلاييني مصطفى، ص548، دار الكتب العلمية –بيروت- ط1، سنة 2000م.

ومنه قول جرير:

قَدْ كَانَ حَقُّكَ أَنْ تَقُولَ لِبَارِقٍ يَا آلَ بَارِقَ فِيمَ سُبَّ جَرِيرُ[1]

أراد الاستغاثة بجماعة نسبت إلى بارق.

4 ــ الندبة: ويكون ذلك عند نداء المتفجع عليه أو المتوجع منه[2]، كقولك: واقلباه.

5 ــ الزجر: كما في قول الشاعر:

يَا قَلْبُ وَيْحَكَ مَا سَمِعْتَ لِنَاصِحٍ أَمَا ارْعَوَيْتَ وَلاَ اتَّقَيْتَ كَلاَمَـــا[3]

فهو يريد بالنّداء زجر قلبه، وتأنيبه لعدم استجابته للنصائح، وارعوائه عن هواه وصبابته.

6 ــ الوعيد والتهديد: كما في قول المهلهل متوعدا آل بكر:

يَا لَبَكْرٍ أُنْشُرُوا لِـــي كُلَيْبـــًا يَـــا لَبَكْـــرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِـــــرَارُ[4]

فاستغاث بهم لينشروا له كليبا، وهذا منه وعيد وتهدد، وأما قوله يا لبكر أين أين الفرار، فإنما استغاث بهم لهم، أي لم تفرون؟ استطالة عليهم ووعيدا.[5]

---

[1] ــ البيت لجرير، ديوانه، ص233.

[2] ــ أنظر: علم المعاني، مرجع سابق، ص334.

[3] ــ لم أقف على قائله.

[4] ــ البيت للمهلهل بن ربيعة، أنظر: خزانة الأدب، مرجع سابق: 143/2.

[5] ــ أنظر: علم المعاني، مرجع سابق، ص335.

المبحث الثاني: أنواع النّداء في القرآن الكريم:

المطلب الأول: أنواع النّداء في القرآن الكريم باعتبار موقعه الجملي:

تتمتّع الجملة النّدائية في القرآن الكريم، باعتبارها بنية خطابية محاطة ببنى خطابية أخرى، بحرية تموقع واضحة، فقد استعملت في أول الكلام، وفي وسط الكلام، وفي آخره، ولا شك أن وراء كل استعمال؛ أغراضا ومعان بلاغية، سواء علمناها أم جهلناها، يريد الشارع الحكيم تمريرها بشكل متقن وسلس. و فيما يأتي بيان ذلك:

الفرع الأول: ما كان من النّداء مفتتحا به السور، أو الكلام:

لقد تمّ تسجيل افتتاح عشرة سور قرآنية بالنّداء، وهي على الترتيب المصحفي:

1 ــ قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ النساء: ١، والغرض البلاغي من الاستفتاح بالنداء ههنا؛ تحذير جميع أمة الدعوة الذين يسمعون القرآن يومئذ، وفيما يأتي من الزمان، من أن يخالفوا ربهم فيما أمرهم به، وفيما نهاهم عنه، فيحل عليهم من عقوبته ما لا قبل لهم به، وتنبيههم على أن أصلهم واحد، إذ قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾ النساء: ١، وهذا تنبيه فيه المناسبة بين وحدة النوع، ووحدة الاعتقاد، وفي هذه الصلة براعة استهلال، مناسبة لما اشتملت عليه السورة من الأغراض الأصلية التي أكثرها تشريع معاملات الأقرباء وحقوقهم.[1]

2 ــ قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ المائدة: ١، وقد صدرت السورة هنا بالنّداء الذي وقع بعده الأمر بالإيفاء بالعقود، تنبيها على أنه سترد فيما بعد أحكام وعقود كانت عقدت من الله على المؤمنين إجمالا وتفصيلا، ذكرهم بها لأن عليهم الإيفاء بما عاقدوا الله عليه.[2]

3 ــ قوله تعالى في سورة الحج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ الحج: ١، والنداء هنا موجه للناس كلهم من المؤمنين وأهل الكتاب والمشركين الذين يسمعون هذه

---

[1] ــ أنظر: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر: 214/4، الدار التونسية للنشر –تونس- ط1، سنة 1984م. وتفسير الطبري: 339/6.

[2] ــ أنظر: تفسير التحرير والتنوير، مصدر سابق: 74/6.

الآية، الموجودين يوم نزولها ومن يأتون بعدهم إلى يوم القيامة، حثا لهم على تقوى الله وخشيته، معللا ذلك بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ الحج: ١.

4 ــ قوله تعالى في سورة الأحزاب﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ الأحزاب: ١.

5 ــ قوله تعالى في سورة الحجرات: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ الحجرات: ١.

6 ــ قوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ الممتحنة: ١.

7 ــ قوله تعالى في سورة الطلاق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ ﴾ الطلاق: ١.

8 ــ قوله تعالى في سورة التحريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ التحريم: ١.

9 ــ قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ المزمل: ١ – ٢.

10 ــ قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ المدثر: ١ – ٢.

فهذه عشرة سور وقع افتتاحها بالنّداء، بلا خلاف طبعا، غير أن هناك سورتين اثنتين حصل فيهما الخلاف بين العلماء، هل كان افتتاحهما بالنداء أم لا ؟ وهما سورتا "طه"، و"يس":

أ – يرى الفريق الأول أن "طه" و"يس" منادين، وأن السورتين مفتتحتان بالنداء، ثم اختلفوا في المراد بـــ"طه" و"يس":

ــ فعن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وعطاء وسفيان الثوري وابن عيينة ومحمد بن كعب وأبي مالك وعطية العوفي والسدي وابن أبزى[1]، أن المعنى: يا رجل، أو يا

[1] ــ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، ت: جماعة من الأساتذة: 310/9، مؤسسة قرطبة –الجيزة، مصر– ط1، سنة 2000م. وانظر: تفسير الطبري: 5/16، 398/19، وتفسير البحر المحيط: 210/6، 310/7.

إنسان، أو يا حبيبي، والمقصود به محمد صلى الله عليه وسلم، فقالوا بالنبطية أو بالعبرية أو بالسريانية أو بالحبشية، وأنها لغة يمنية في عك وطيء وعكل أيضا. وهو قول أكثر المفسرين[1]، واحتجوا لذلك بما يلي:

1 ــ أن كلمة "طه" وإن وجدت في لغة أخرى، فإنها معروفة في لغة العرب وأن معناها: يا رجل، قال ابن جرير: "وهذا هو الأولى بالصواب"[2]، ثم أنشد ليزيد بن المهلهل:

إِنَّ السَّفَاهَةَ طَهَ مِنْ خَلاَئِقِكُمْ لاَ بَارَكَ اللهُ في القَوْمِ الملاَعِينِ[3]

قال الكلبي: "لو قلت في عك لرجل يا رجل، لم يجب حتى تقول: يا طه"[4]، وقال ابن الأنباري: "ولغة قريش وافقت تلك اللغة في هذا المعنى"[5]، فإذا كان ذلك معروفا فيهم على ما ذكر، فالواجب أن يوجه تأويل هذه الكلمة إلى المعروف فيهم من معناه، ولا سيما إذا وافق ذلك تأويل أهل العلم من الصحابة والتابعين.[6]

2 ــ أن "يس" معناه يا إنسان بلغة الحبشة، قاله عكرمة، وقال الكلبي: سرياني تكلمت به العرب[7] كـــ"فاطر": جبل بالسريانية، و"طفقا" قصدا بالرومية، وغيرها مما استعملتها العرب في أشعارها ومحاوراتها، حتى جرت مجرى العربي الفصيح، ووقع بها البيان، وعلى هذا الحد نزل بها القرآن[8]. وقال الزمخشري: "عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى "يس"، يا إنسان في لغة طيء والله أعلم بصحته،

---

[1] ــ أنظر: تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني محمد بن علي بن محمد، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام: 440/3، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1994م.

[2] ــ تفسير الطبري، 8/16.

[3] ــ لم أعثر عليه.

[4] ــ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي: 8/14، مؤسسة الرسالة –بيروت– ط1، سنة 2006م. وانظر: تفسير البحر المحيط: 212/6.

[5] ــ تفسير فتح القدير: 441/3.

[6] ــ أنظر: تفسير الطبري، 8/16.

[7] ــ أنظر: تفسير فتح القدير:440/3.

[8] ــ أنظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، المقدمة: 51/1، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 2001م.

وإن صح فوجهه أن يكون أصله يا أنيسين، فكثر النّداء به على ألسنتهم حتى اقتصروا على شطره، كما قالوا في القسم: م الله في أيمن الله."[1]

ـــ وذهب البعض الآخر إلى أن "طه" و"يس" اسمان للنبي صلى الله عليه وسلم، قال سعيد بن جبير في رواية أخرى عنه: "يس" هو اسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم، واستدل بقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ يس: ٣، وقال أبو بكر بن الوراق: "يس" معناه يا سيد البشر، ومثله عن جعفر الصادق[2]، وعن سيف بن وهب، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الليثي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لي عند ربي عشرة أسماء) ذكر منها "طه" و"يس" اسمان له[3]، وقال الزجاج: قيل معناه يا محمد، وقيل يا رجل، وقيل يا إنسان، وقد رجح الأول[4].

ب – ويرى الفريق الثاني، أن السورتين غير مفتتحتين بالنّداء، واختلفوا كذلك في المراد بـــ"طه" و"يس":

ـــ فمنهم من ذهب إلى أن القول فيهما كالقول في الحروف المقطعة في أوائل السور، والتي استأثر الله بعلمها، اختاره ابن كثير وابن عاشور[5].

---

[1] ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض: 164/5، مكتبة العبيكان –الرياض– ط1، سنة 1998م.

[2] ـ أنظر: تفسير القرطبي: 408/17.

[3] ـ أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة، عن محمد بن الحسن عن محمد بن أبي شيبة عن عبد الله بن أبان عن إسماعيل بن إبراهيم عن ابن وهب، برقم: 20، ص11، دار النفائس –بيروت– (دت). والحديث: ضعيف، فيه إسماعيل بن إبراهيم التيمي، قال فيه أبو زرعة: يعد في الكوفيين، سألت أبي عنه فقال: ضعيف الحديث، قال وسألت أبي عنه ثانيا، فقال: قال ابن نمير: ضعيف جدا، أنظر: كتاب الجرح والتعديل، الرازي أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم: 155/2، دار الكتب العلمية – بيروت– ط1، سنة 1952م. وضعفه ابن حجر في تقريب التهذيب، ت: مصطفى عبد القادر عطا: 91/1، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1993م. و كذا فيه سيف بن وهب، قال فيه ابن حجر في التقريب: لين الحديث، المرجع السابق: 409/2، وروى أبو زرعة عن عبد الرحمن عن صالح بن أحمد بن حنبل عن علي بن المديني قال: سألت يحي بن سعيد عن سيف بن وهب، فحمض يحي وجهه وقال: كان سيف هالكا من الهالكين. وقال أحمد بن حنبل: سيف بن وهب الذي حدث عنه شعبة، ضعيف الحديث. أنظر: كتاب الجرح والتعديل: 275/4.

[4] ـ أنظر: فتح القدير: 449/4.

[5] ـ أنظر: تفسير ابن كثير:310/9، 344/11. التحرير والتنوير: 182/16.

واستظهره أبو حيان في البحر المحيط[1]، وصححه ابن عادل في اللباب[2]، وارتضاه سيد قطب في الظلال[3]، قال محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان: "أظهر الأقوال في "طه" – عندي – أنه من الحروف المقطعة في أوائل السور ويدل لذلك أن الطاء والهاء المذكورتين في فاتحة هذه السورة جاءتا في مواضع أخر لا نزاع فيها في أنهما من الحروف المقطعة أما الطاء ففي فاتحة "الشعراء": ﴿ طسٓمٓ ۝١ ﴾ الشعراء: ١، وفاتحة "النمل": ﴿ طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ۝١ ﴾ النمل: ١، وفاتحة "القصص": ﴿ طسٓمٓ ۝١ ﴾ القصص: ١، وأما الهاء ففي فاتحة "مريم" في قوله تعالى: ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾ مريم: ١.

والتحقيق، أن "يس" هي أيضا من جملة الحروف المقطعة في أوائل السور، والياء المذكورة فيه ذكرت في فاتحة سورة "مريم" في قوله تعالى : ﴿ كٓهيعٓصٓ ۝١ ﴾، والسين المذكورة فيه ذكرت في أول الشعراء والقصص، في قوله : ﴿ طسٓمٓ ۝١ ﴾، وفي أول النمل في قوله : ﴿ طسٓ ﴾، وهذا هو الصواب إن شاء الله تعالى، لأن خير ما يفسر القرآن هو القرآن".[4] ويقول فيها ابن القيم: "...إنما هذه الحروف مثل : ألم، وحم، والر، ونحوها".[5]

ـــ ويرى مقاتل بن حيان أن معنى "طه": طإ الأرض، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم في تهجده ويتحمل مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورمان، فيحتاج إلى الترويح بين قدميه فقيل له: طإ الأرض بقدميك ولا تتعب حتى تحتاج إلى الترويح، فـــ "طه" إذن فعل أمر وأصله طأها، فخففت الهمزة بإبدالها ألفا ثم حذفت، و"ها" مفعول وهو ضمير الأرض.[6]

---

[1] ـــ أنظر: تفسير البحر المحيط: 212/6.

[2] ـــ أنظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي أبو حفص عمر بن علي، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض: 165/13، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1998م.

[3] ـــ أنظر: في ظلال القرآن، سيد قطب: 2327/16، دار الشروق –بيروت– ط12، سنة 1986م.

[4] ـــ أضواء البيان: 399/4.

[5] ـــ تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، ص100، دار الكتاب العربي – بيروت– ط2، سنة 1983م.

[6] ـــ أنظر: تفسير البحر المحيط: 212/6. وزاد المسير في علم التفسير، الجوزي أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد، 188/5، دار الفكر –بيروت– ط1، سنة 1987م.

المذهب المختار:

يبدو أن مذهب القائلين باستفتاح السورتين بالنّداء، لا يسلم من مآخذ وتعقبات، تدفعنا على الأقل إلى عدم القول به، خاصّة إذا انضاف إلى ذلك؛ متانة الرأي الأوّل من المذهب الثاني، القاضي بأن السورتين غير مفتتحتين بالنّداء. من بين تلك المآخذ ما يأتي:

1 ــ ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى "طه": معناه يا رجل، ضعيف، فلا يحتج به.

2 ــ إن من ذهب إلى القول بأن "طه" و"يس" معناه: يا رجل، قد اختلفوا في أصل ذلك اختلافا كبيرا؛ فمنهم من قال إنها عربية، ثم اختلفوا كذلك، أهي من عك أم من طيء أم من عكل، ومنهم من قال إنها أعجمية، ثم اختلفوا كذلك، أهي بالنبطية أم بالعبرية أم بالسريانية أم بالحبشية ... فاختلافهم هذا ــ بلا شك ــ يفقد مذهبهم، على الأقل، متانته.

3 ــ إن ما نقله الزمخشري عن ابن عباس رضي الله عنهما، من أن "يس" معناه: يا إنسان، وإن شك في صحته، فإن توجيهه له بأن أصله يا أنيسين، فيه نظر؛ فقد تعقبه ابن حيان، بأن المنقول عن العرب في تصغير إنسان هو أنيسيان بياء قبل الألف، وهو دليل على أن الإنسان من النسيان وأصله أنسيان، فلما صغر رده التصغير إلى أصله، ولا نعلمهم قالوا في تصغيره أنيسين، وعلى تقدير أنه بقية أنيسين؛ فلا يجوز ذلك إلا أن يبنى على الضم ولا يبقى موقوفا، لأنه منادى مقبل عليه، ومع ذلك لا يجوز التصغير في أسماء الأنبياء عليهم السلام كما لا يجوز في أسماء الله عز وجل، وما ذكره في "م" من أنه شطر أيمن قول؛ ومن النحويين من يقول "م" حرف قسم وليس شطر أيمن.[1]

4 ــ وأما ما ورد ذكره في الآثار المرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، من أن "طه" و"يس" اسمان له صلى الله عليه وسلم؛ فلا شيء من ذلك يثبت حجة، كما قال ابن القيم: "وأما ما يذكره العوام[2] أن يس وطه من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا

---

[1] ــ أنظر: تفسير البحر المحيط: 310/7.

[2] ــ من العلماء الذين رأوا أن "طه" و"يس"، اسمان للنبي صلى الله عليه وسلم: سعيد بن جبير في رواية عنه، وأبو بكر بن الوراق، وجعفر الصادق، وغيرهم، كما بيناه سابقا، ولا يخفى أن هؤلاء السادة ليسوا من العوام بحال، فلعل وصف ابن القيم فيه نظر.

مرسل، ولا أثر عن صحابي ... "[1]، وما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لي عند ربي عشرة أسماء)، فقد تقدم بيان ضعفه.

إذن فالقول بأن السورتين: "طه" و"يس"، مفتتحتين بالنّداء، يبدو بأنه قول مرجوح .. إذ أن الأدلة المصاحبة -كما مر بيانه - لا تسعف أنصار هذا المذهب. وعليه فلا بد أن تكون السورتين غير مفتتحتين بالنّداء.

غير أن أصحاب هذا المذهب - القائلين بأن السورتين غير مفتتحتين بالنداء - أيضا لا يتفقون تماما في المعنى المراد من "طه " و"يس" كما سبق ذكره، وفي حقيقة الأمر، لا يهمنا كثيرا تحديد أي الرأيين أرجح، ولا أيهما أصوب، بقدر ما أهمتنا النتيجة التي توصلنا إليها، وهي أن السورتين غير مفتتحتين بالنداء، وبالتالي: تبقى السور التي سجل افتتاحها بالنداء، عشر سور فقط، والله أعلم.

تجدر الإشارة الآن، إلى الجمل الندائية التي تصدرت الكلام، داخل السورة القرآنية: فهي على كل حال مستأنف بها الكلام، وإن لم تفتتح بها السورة القرآنية، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١، فهي استئناف ابتدائي، قصد به تقديم الموعظة لكل فريق من الفرق التي سبق ذكرها في صدر السورة، وهم المؤمنون وأضدادهم من المشركين والمنافقين، فلما استوفى الحق سبحانه وتعالى وصف أحوالهم فيما مضى؛ لا جرم تهيأ المقام لخطاب عمومهم بما ينفعهم، إرشادا لهم ورحمة بهم، لأنه لا يرضى لهم الضلال.[2]

ـــ ومثله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٨، فإنه لما اشتملت الآيات السابقة لهذه الآية على تقسيم الناس تجاه الدين مراتب، أعلاها: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٧، لأن النفس أغلى ما يبذل، وأقلها: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٤، أي يضمر الكيد ويفسد على الناس ما فيه نفع الجميع وهو خيرات الأرض، وذلك يشتمل على أنه اعتدى

[1] ـ تحفة المودود: ص100.

[2] ـ أنظر: التحرير والتنوير: 323/1.

على قوم مسالمين فناسب بعد ذلك أن يدعى الناس إلى الدخول فيما يطلق عليه اسم السلم، لذلك استأنف بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ البقرة: ٢٠٨، على طريقة الاعتراض انتهازا للفرصة بالدعوة إلى الدخول في السلم.[1]

ـــ ومثله قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ ﴾ آل عمران: ١٣٠، فالظاهر أن هذه الآية استئناف منقطع عما قبله، إذ لا مناسبة قوية يمكن التعويل عليها، والتشبث بها، قال فخر الدين: من الناس من قال: إنه تعالى لما شرح عظيم نعمه على المؤمنين فيما يتعلق بإرشادهم إلى الأصلح لهم في أمر الدين وفي أمر الجهاد، أتبع ذلك بما يدخل في الأمر والنهي والترغيب والتحذير فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ ، وعلى هذا التقدير تكون هذه الآية ابتداء كلام ولا تعلق لها بما قبلها[2]، بل يبدو أنه لا حاجة إلى التكلف في إيجاد المناسبة ههنا، خاصة إذا علمنا أن مدة نزول السورة، يتيح لنا إمكانية احتمال حدوث حوادث يتزل فيها قرآن فيكون من جملة تلك السورة، فتكون هذه الآية قد نزلت عقب ما نزل قبلها، فكتبت هنا ولا تكون بينهما مناسبة.

الفرع الثاني: ما كان من النّداء متوسطا الكلام:

لقد أحصي قرابة 270 موقعا، وردت فيه الجملة النّدائية متوسطة الكلام، في السياق القرآني داخل السورة القرآنية[3]، وبالتالي يعد هذا الموقع هو الأكثر شيوعا وورودا من الموقعين الآخرين، إذ أنه يستحوذ على أكثر من نصف الجمل النّدائية المحصاة في القرآن كله والبالغ عددها 477 آية، هذه على سبيل المثال، جملة من الآيات وردت فيها البنية النّدائية متوسطة الكلام:

ـــ قال تعالى: ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١١٢ ﴾ المائدة: ١١٢.

---

[1] ـ أنظر: التحرير والتنوير: 275/2.

[2] ـ أنظر: تفسير الرازي: 2/9.

[3] ـ أنظر: النداء في القرآن الكريم، مبارك تريكي، إشراف: محمد الحباس، ص159، رسالة دكتوراه، جامعة ابن يوسف بن خدة.

ـــ وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ المائدة: ١١٦.

ـــ وقال تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ مريم: ٤١ – ٤٢.

ـــ و قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ٤٥.

ـــ و قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ يوسف: ٤.

ـــ و قال تعالى: ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ٧٩.

ـــ و قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الصافات: ١٠٢.

الفرع الثالث: ما ورد من النداء متذيلا الكلام:

أما هذا الضرب؛ فهو قليل الوقوع في السياق القرآني مقارنة بالقسيمين السابقين، والمقصود بورود الجملة الندائية في آخر الكلام، أنه بعد ذكرها يتم الكلام إعرابا ومعنى، بحيث يجمل الوقوف عليه، دون خلل أو قبح، والملاحظ أن هذه البنى الندائية التي تذيلت الكلام في السياق القرآني؛ إما أن تكون محل وقف أثناء القراءة، وإما أن تمثل فواصل قرآنية ضمن السورة الواردة فيها، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

ـــ قوله تعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧.

ـــ وقوله تعالى: ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ الطلاق: ١٠

ـــ وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ طه: ١٧.

ـــ وقوله تعالى: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ طه: ١٩ – ٢٠.

ـــ وقوله تعالى: ﴿ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ ﴾ الحشر: ٢.

المطلب الثاني: أنواع النداء في القرآن الكريم باعتبار البنى النحوية التي أعقبته:

يتعدد النداء في القرآن الكريم ، بتعدد الجمل الجوابية التي تعقبه؛ فكانت أمرا، وكانت نهيا، واستفهاما وتوكيدا وشرطا .. وغير ذلك، وسوف يحدث هذا التعدد في البنى النحوية التي تلي النداء؛ تنوعا واضحا في وظائف النداء. يخلق ذلك التنوع الوظيفي؛ معان جديدة، وأغراضا بلاغية مقصودة، يريد الشارع الحكيم إيصالها للقارئ أو السامع:

الفرع الأول: النداء الذي أعقبه فعل أمر:

الأمر كما يعرفه البلاغيون، هو طلب فعل شيء ما على جهة الاستعلاء[1]، لكن حين ننظر إلى ظروف التركيب في بعض الآيات التي ورد فيها مثل هذا النوع، نجد أن الأمر قد يصدر من الكبير إلى الصغير منزلة أو حكما، أو من الصغير إلى الكبير كذلك، وبالتالي فإن وظائف النداء ودلالاته ههنا تتعدد باختلاف الجهة الآمرة:

ففي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ البقرة: ٢١، وفي قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ البقرة: ٣٣، ومثله قوله تعالى: ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ البقرة: ٤٠، نجد أن النداء هنا كان صادرا من الله تعالى، إلى عباده المؤمنين، وعليه كان الجواب فيها أمرا على حقيقته من الإلزام.

وإذا كان النداء صادرا من العبد إلى مولاه، كنداء إبراهيم عليه السلام ربه عز وجل في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ ﴾ البقرة: ١٢٦، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ البقرة: ١٢٧، وكنداء المؤمنين ربهم في الآية الكريمة: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ البقرة: ٢٠١، فجواب النداء فيها

[1] ـــ أنظر: شرح التلخيص في علوم البلاغة: ص88.

ليس أمرا على حقيقته من الإلزام، إذ لا يخفى فساد ذلك، وإنما هو محمول على الدعاء، ويصف حالة الفقر والاحتياج التي يكون عليها العباد أمام خالقهم.

ومثله ما كان صادرا من الابن لأبيه، كنداء بنت شعيب أباها عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦، وكنداء إسماعيل أباه إبراهيم عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الصافات: ١٠٢، أو ما كان صادرا من الأخ الأصغر إلى الأخ الأكبر، مثل قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ طه: ٩٤، فجواب النداء في كل هذا، ليس أمرا على حقيقته من الإلزام، وإنما هو يدل على الرغبة الجامحة في سرعة إنفاذ فعل ما، أو الرغبة القوية في سرعة الامتثال، إظهارا لكمال البر وتمام الطاعة.[1]

أما ما كان من نداء الأنبياء عليهم السلام لأقوامهم؛ فإن جواب النداء، إذا كان أمرا، تختلف دلالته، بحسب السياق، والقرائن المحتفة، فتارة يحمل الأمر على الإلزام، وتارة على الندب والحث، وتارة على إباحة الفعل، وهكذا ...

الفرع الثاني: النداء الذي أعقبه نهي:

والنهي هو: "طلب الكف عن شيء ما، مادي أو معنوي، على جهة الاستعلاء والإلزام"[2]، هكذا يعرفه البلاغيون، غير أنه قد يرد النهي ولا يكون على سبيل الاستعلاء والإلزام، كما سيأتي معنا لاحقا، وتدل على النهي صيغة كلامية واحدة هي: الفعل المضارع الذي دخلت عليه "لا" الناهية.[3] وفيما يأتي بعض الوظائف، والأغراض البلاغية، التي يفيدها أسلوب النداء المقترن بالنهي:

1 ــ الدعاء:

وذلك عندما يكون النداء صادرا من العباد إلى معبودهم جل في علاه، كقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٦،

---

[1] ــ أنظر: علم المعاني، البسيوني: ص280.

[2] ــ شرح التلخيص في علوم البلاغة: ص89.

[3] ــ أنظر: البلاغة العربية: 228/1. علم المعاني: ص299.

وقوله تعـــالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران: ٨، فلا شك أن حال المؤمنين في هذا المقام هو حال الفقير المستكين، الطامع في عفو مولاه، وعدم مؤاخذته له على سوء أفعاله وتقصيره، فالمقصود من النداء هنا هو الدعاء والتذلل والابتهال.

2 ــ **الالتماس**:[1]

ولما لا يكون في أسلوب النهي معنى الاستعلاء والإلزام، ومعنى الخضوع والتذلل، بل يكون من الند والمساوي، على الأقل وقت الخطاب، فالنداء في هذه الحال يوظف لاجتلاب غرض الالتماس، ومنه قوله تعالى، على لسان هارون يخاطب أخاه موسى عليهما السلام: ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ طه: ٩٤، فالنهي في هذا المقام، لم يصدر من جهة علوية ملزمة، ولا من جهة خاضعة متذللة، بل من جهة ترى نفسها بما تملكه من حجة تتقوى بها، غير محل للاتهام، وقادرة على مراجعة رأي الطرف الآخر، مع الحفظ لكل من موسى وهارون عليهما أفضل الصلاة والسلام مقامهما ومنزلتهما .. فهارون إذن، يلتمس من أخيه موسى عليهما السلام، بهذا النداء المقترن بالنهي، عدم إنزال العقوبة به، والظفر منه بالعفو والصفح، لأنه معذور، وقد صرح بعذره.

3 ــ **الإلزام بالترك والتحذير من الارتكاب**:

وذلك عندما يكون النداء المقترن بالنهي، صادر من جهة علوية على معنى الإلزام، الذي يفهم من السياق والقرائن المرافقة، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ ﴾ البقرة: ١٠٤، فهذا النهي من الله تعالى لعباده المؤمنين محمول على الإلزام، ووجوب الترك، حتى لا يقعوا في مثل ما وقعت فيه اليهود؛ إذ كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه و سلم: "راعنا" ويظهرون أنهم يريدون المراعاة، إكبارا له، ويبطنون أنهم يريدون الرعوية التي هي الجهل، فنهى الله تعالى المؤمنين عن القول المباح سدّا للذريعة، لئلا يتطرق منه اليهود إلى المحظور.[2]

4 ــ **النّصح والإرشاد**: وهذا في مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ المائدة: ١٠١، فليس المراد

[1] ــ أنظر: البلاغة العربية: 232/1.

[2] ــ أنظر: المحرر الوجيز: 188/1.

بالنداء المقترن بالنهي هاهنا، الإلزام وطلب الكف عن السؤال، كلا، وإنما أريد بهذا الأسلوب النصح والإرشاد، وجيء به رغبة في الاستجابة والامتثال.[1]

5 ــ التيئيس:

كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧ ﴾ التحريم: ٧، فلا معنى لنهيهم عن الاعتذار في ذلك اليوم وقد تواترت الآيات الكريمات التي تذكر حال الكافرين يوم الحساب، وهم يختلقون الأعذار، وينشدون الصفح، وإنما نهاهم الحق سبحانه وتعالى عن الاعتذار ههنا تيئيسا لهم، وإعلاما لهم بأنه لن يتقبل منهم، ولن يلتفت إليهم، فليس أمامهم غير الجزاء على كفرهم وضلالهم.[2]

الفرع الثالث: النداء الذي أعقبه استفهام:

أما النوع الثالث من أنواع النداء في القرآن الكريم باعتبار البنى النحوية التي أعقبته؛ فهو أن يلي أسلوب النداء؛ أسلوب استفهام، والاستفهام كما يعرفه البلاغيون، هو طلب الإفهام والإعلام لتحصيل فائدة علمية مجهولة لدى المستفهم، بأدوات خاصة.[3] وفيما يأتي، بعض الوظائف الدلالية، والأغراض البلاغية، التي يفيدها هذا النوع من النداء:

1 ــ التعجب:

كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ ﴾ هود: ٧٢، والمعنى: كيف ألد بعد هذه السنين، وأنا الآن عجوز قد عشت حياتي كلها عقيما، وهذا بعلي أمامي، أراه شيخا كبيرا طاعنا في السن، فكيف تبشروني بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب؟.

2 ــ النفي والإنكار:

ومنه قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨ ﴾ هود: ٢٨، أي: لا نجبركم بالإكراه على اتباع ما جئتكم به، فإتباع الدين لا يكون إلا بإرادة اختيارية، إذ لا إكراه في الدين.[4]

---

[1] ــ أنظر: علم المعاني: ص301.

[2] ــ أنظر: المرجع نفسه: ص303.

[3] ــ أنظر: البلاغة العربية: 258/1، علم المعاني: ص305.

[4] ــ أنظر: البلاغة العربية: 273/1.

3 ــ التّوبيخ والتّقريع:

مثل الذي في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾ ﴾ طه: ٩٢ – ٩٣، فهذا توبيخ فيه شدة من سيدنا موسى عليه السلام، لأخيه هارون عليه السلام، على معصيته لأمره، حين قال له: اتبعني ولا تتبع سبيل المفسدين: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٢، غير أن هارون عليه السلام لم يعص أخاه عليه السلام، ولكنه اجتهد رأيه والتزم في الحقيقة أمره، حيث خلفه في قومه، وبذل الوسع في إصلاح حالهم بعدما أصابهم الزيغ: ﴿ وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ طه: ٩٠، لذلك احتج هارون عليه السلام على أخيه موسى عليه السلام حين وبخه، قائلا له: يا ابن أم، إني خشيت أن تقول لي حين أتركهم وأتبعك، لم تركتهم متفرقين و لم ترقب قولي الذي قلته لك: (أخلفني في قومي و أصلح ...).

4 ــ التّقرير:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۖ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف: ٥١، فإنّ فرعون أراد أن ينتزع إقرار قومه في جماهيرية غوغائية، بتفوقه على موسى عليه السلام، حين خاف على قومه أن يتأثروا بدعوته ويتبعوه، بعد أن جاءهم بآيات بينات، فأراد أن يقنع قومه بتفوقه على موسى عليه السلام بأن له ملك مصر، وأنه لاشيء يملكه موسى عليه السلام.[1]

الفرع الرابع: النّداء الذي أعقبه توكيد:

والنّوع الرابع، هو أن يلي أسلوب النداء في القرآن الكريم، جملة اسمية أو فعلية مؤكدتين، والتوكيد يأخذ به المنادي لتقوية صدق الكلام الخبري، سواء ظهرت أمارات الشك عند المخاطب أم لم تظهر، وقد أحصي 116 موقعا ورد فيه النداء مقرونا بأسلوب التوكيد[2]،كما تنوعت مؤكدات الأخير بين "إن"، و"أن"، و"إما"، و"أما"، و"لام التوكيد"، بالنسبة للجملة الاسمية، وبين "نون التوكيد"، و"قد"،

[1] ــ أنظر: البلاغة العربية: 289/1.

[2] ــ أنظر: النداء في القرآن الكريم: ص141.

بالنسبة للجملة الفعلية، ومن أمثلة هذا النوع، قوله تعالى﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٤، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يونس: ٥٧، فالخبر في الآية الأولى حمل إلى المنادى في ظروف صعبة عليه، لهذا جيء بالتأكيد، لتقوية الخطاب، وتأكيد المعنى المراد، وحث المخاطب على الثبات والتماسك. أما في الآية الثانية، فإن المخاطب كان جميع العالم، و"الموعظة" هي القرآن الكريم، لأن الوعظ إنما هو بقول يأمر بالمعروف، ويزجر ويرقق ويوعد ويعد، وهذه صفة الكتاب العزيز[1]، وقد جيء في هذه الآية بالتأكيد بجملة فعلية بعد النداء مباشرة؛ لحث الناس على التمسك بهذا الكتاب، وجعله مرشدا وإماما لهم، فإن مواعظه لا تخلق ولا تفنى، بل تتجدد في كل عصر ومصر.

الفرع الخامس: النداء الذي أعقبه أسلوب الشرط:

لقد ورد أسلوب الشرط تابعا للنداء في القرآن الكريم في 28 موضعا[2]، وتنوعت أدواته بين الاسمية والحرفية منحصرة في: "من" و"إذ" و"إذا" و"لو"، من أمثلة هذا النوع، قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الحجرات: ٦، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤، ففي الآية الأولى أوثر أن يوظف للشرط حرف "إن"، الذي الأصل فيه أن يكون للشرط المشكوك في وقوعه، للتنبيه على أن شأن فعل الشرط – الذي هو تزوير الخبر وتحريفه – أن يكون نادر الوقوع، لا يقدم عليه المسلمون، وليس من خصال المسلم الكذب في الخبر على الإطلاق.[3]

وفي الآية الثانية تنبيه للمؤمنين، بأنه لو ارتد منهم فريق أو نفر، فإنه لن يضر الله شيئا، وسيكون لهذا الدين أتباع وأنصار، وإن صد عنه من صد، وجملة: ﴿ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ ﴾ الخ، جواب شرط، وقد

---

[1] ـ أنظر: المحرر الوجيز: 126/3.

[2] ـ أنظر: النداء في القرآن الكريم: ص 142.

[3] ـ أنظر: التحرير والتنوير: 228/26.

حذف منها العائد على الشرط الاسمي الذي تقديره، "فسوف يأتي الله بقوم مكانهم"، أو "بقوم غيرهم"، أو ما أشبه ذلك، فهو وعد بأن هذا الدين لن يعدم أتباعا بررة مخلصين، والغرض وراء هذا التركيب المتمثل في نداء المؤمنين متبوعا بأسلوب الشرط المذكور بيانه آنفا، هو إظهار الاستغناء عن الذين في قلوبهم مرض والمنافقين، وتطمين الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين المخلصين، بأن الله تعالى يعوضهم بالمرتدين خيرا منهم.[1]

الفرع السادس: النداء الذي أعقبه أسلوب التمني:

وقد يأتي النداء في القرآن الكريم متبوعا بأسلوب التمني، وذلك حين يلي حرف النداء (يا)؛ الأداة الموضوعة للتمني (ليت)، والتمني كما هو عند البلاغيين: طلب أمر تحبه النفس، وتميل إليه، وترغب فيه، ولكنه لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلا، أو لأنه بعيد لا يطمح في نيله.[2] ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ مريم: ٢٣، وكقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنعام: ٢٧، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧، فمريم عليها السلام تتمنى أن تكون قد ماتت قبل ذلك ...، والكفرة يتمنون عند معاينة الحساب أن يردوا إلى الدنيا فيؤمنوا ولا يكذبوا ...، والظالم يعض على يديه ندما، ويتمنى أنه لو كان اتخذ مع الرسول سبيلا، وتلك الأمور كلها متمناة، ولا يرجى حصولها أبدا لكونها مستحيلة الوقوع.

المطلب الثالث: أنواع النداء في القرآن الكريم باعتبار نوع المنادى:

للمنادى في النحو العربي خمسة أقسام هي: المفرد العلم، والنكرة المقصودة، والنكرة غير المقصودة، والمضاف، والشبيه بالمضاف، وبالتالي فإن النداء في القرآن الكريم ينقسم باعتبار أقسام المنادى إلى خمسة أنواع هي:

---

[1] _ أنظر: التحرير والتنوير: 234/6. والكشاف: 252/2، وما بعدها.

[2] _ أنظر: علم المعاني: ص337.

1 ــ النوع الأول: **ورود المنادى في النداء القرآني مفردا علما:**

يراد بالمفرد العلم في الجملة الندائية، ما ليس مضافا، ولا شبيها بالمضاف، فيشمل المفرد الحقيقي بنوعيه؛ المذكر والمؤنث، ويشمل مثناه وجمعه، نحو: محمد، والمحمدان، والمحمدون، ويشمل كذلك الأعلام المركبة قبل النداء، سواء كان تركيبها مزجيا: كسيبويه، أم إسناديا: كنصر الله، وخمسة عشر ...، ويلحق بالمفرد العلم هنا؛ أسماء الإشارة نحو: هذا، وهؤلاء ...، وأسماء الموصولات غير المبدوءة بأل نحو: من، وما ...، وضمير المخاطب نحو: أنت، وإياك ...[1]

ومن أمثلة هذا النوع، قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ البقرة: ٣٣، وقوله تعالى: ﴿ ۞ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لَنُخۡرِجَنَّكَ يَٰشُعَيۡبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرۡيَتِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوۡ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ٨٨، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ النساء: ٥٩، وقوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ آل عمران: ٦٦، على أن حرف النداء "يا" محذوف، والتقدير: "يا هؤلاء".

2 ــ **النوع الثاني: ورود المنادى في النداء القرآني نكرة مقصودة:**

ويراد بالنكرة المقصودة في الأسلوب الندائي، النكرة التي لا يزول إبهامها وشيوعها بسبب ندائها، مع قصد فرد من أفرادها، والاتجاه إليه وحده بالخطاب، فتصير معرفة دالة على واحد معين، ولولا هذا النداء، لبقيت على حالتها الأولى من غير تعريف، دالة على واحد غير معين.

ويبدو أن النكرة المقصودة هي القسم الوحيد الذي يستفيد التعريف من النداء، دون بقية أقسام المنادى.[2]

---

[1] ــ أنظر: النحو الوافي، عباس حسن: 9/4، دار المعارف –مصر- ط3، (دت).

[2] ــ أنظر: شرح المكودي على ألفية بن مالك، المكودي عبد الرحمن، ص150، دار الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر- (دت). النحو الوافي: 25/4.

ومن أمثلة هذا النوع، قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود: ٤٤، وقوله تعالى: ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٩.

3 ــ النوع الثالث: ورود المنادى في النداء القرآني نكرة غير مقصودة:

والنكرة غير المقصودة في النداء هي الباقية على إبهامها وشيوعها كما كانت قبل النداء، ولا تدل معه على فرد معين مقصود بالمناداة، ولهذا فهي لا تستفيد التعريف منه[1]. ومن أمثلة هذا النوع، قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ الانفطار: ٦.

4 ــ النوع الرابع: ورود المنادى في النداء القرآني مضافا:

والنوع الرابع من أنواع النداء القرآني باعتبار أقسام المنادى، هو ورود المنادى مضافا وهذا بشرط أن تكون إضافة المنادى لغير ضمير المخاطب، حتى لا يجمع في الجملة الندائية الواحدة، التي ليست للندبة، خطابين لشخصين مختلفين، فلا يصح مثلا أن يقال: يا خادمك، لأن النداء خطاب للمضاف؛ مع أن المضاف إليه هنا ضمير لمخاطب آخر غير المضاف.[2]

ويعتبر هذا النوع من النداء، الأكثر وقوعا في القرآن الكريم، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ آل عمران: ٦٤، وقوله تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ ﴾ الأنعام: ١٢٨.

5 ــ النوع الخامس: ورود المنادى في النداء القرآني شبيها بالمضاف:

أما المنادى الشبيه بالمضاف فيراد به كل منادى جاء بعده معمول يتمم معناه سواء كان هذا المعمول مرفوعا بالمنادى، أم منصوبا به، أم مجرورا بالحرف – و الجار و المجرور متعلقان بالمنادى – أم معطوفا على المنادى قبل النداء، أم نعتا له كذلك ...[3]

---

[1] ــ أنظر: شرح قطر الندى لابن هشام: ص220. النحو الوافي: 31/4.

[2] ــ أنظر: النحو الوافي: 31/4.

[3] ــ أنظر: شرح قطر الندى لابن هشام: ص220. النحو الوافي: 32/4.

ولم يرد، في الحقيقة، نداء الشبيه بالمضاف، في القرآن الكريم، إلا في موضع واحد على الاحتمال، وهو في قوله تعالى: ﴿ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ ﴾ يس: ٣٠.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: خصائص نداء النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم:

المطلب الأول: رصد الآيات القرآنية التي تضمنت نداء النبي صلى الله عليه وسلم.

لقد أحصيت 17 موضعا في القرآن الكريم، جاء فيها نداء الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم، اثنان منها بوصف الرسالة، و13 موضعا بوصف النبوة، وواحد ب "يا أيها المدثر" ، وآخر ب "يا أيها المزمل"، يأتي ذكرها الآن وفق الترتيب المصحفي:

1 ــ قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ المائدة: ٤١.

2 ــ وقال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧.

3 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنفال: ٦٤.

4 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأنفال: ٦٥.

5 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنفال: ٧٠.

6 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ التوبة: ٧٣.

7 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ الأحزاب: ١ – ٣.

8 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٨ – ٢٩.

9 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥ – ٤٨.

10 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٠.

11 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٩.

12 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١٢.

13 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرٗا ١ ﴾ الطلاق: ١.

14 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾ التحريم: ١.

15 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٩ ﴾ التحريم: ٩.

16 ــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلٗا ثَقِيلًا ٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئٗا وَأَقْوَمُ قِيلٗا ٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحٗا طَوِيلٗا ٧ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلٗا ٨ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلٗا ٩ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرٗا جَمِيلٗا ١٠ ﴾ المزمل: ١ – ١٠.

17 ــ و قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ٧ ﴾ المدثر: ١ – ٧.

على أنه قد تبين لنا فيما سبق، أن "طه" و"يس"، ليسا باسمين للنبي صلى الله عليه وسلم، والسورتين غير مفتتحتين بالنداء كما تقدم، وتجدر الإشارة كذلك، إلى أنه قد وقع في القرآن الكريم نداء عام لجميع الرسل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم، بما فيهم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الذي في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ٥٢ ﴾ المؤمنون: ٥١ – ٥٢. فقد روى الحاكم في مستدركه، عن ضَمْرَة بن حبيب، أن أم عبد الله، أخت شداد بن أوس بعثت إلى النبي صلى الله عليه وسلم بقدح لبن عند فطره وهو صائم، وذلك في أول النهار وشدة الحر، فرد إليها رسولها: أنّى كانت لك الشاة؟ فقالت: اشتريتها من مالي، فشرب منه، فلما كان الغد أتته أم عبد الله أخت شداد فقالت: يا رسول الله، بعثت إليك بلبن

مَرثيةً لك من طول النهار وشدة الحر، فرددت إليَّ الرسول فيه؟. فقال لها: (بذلك أمرت الرسل، ألا تأكل إلا طيبا، ولا تعمل إلا صالحا)[1]

غير أن هذا النداء خارج موضوع بحثنا، وليس من صلب دراستنا؛ إذ أن هذه الدراسة تشمل فقط، جميع الآيات التي قصدت النبي محمد صلى الله عليه وسلم وحده بالنداء، وهذا النداء الوارد في الآية الكريمة عام لجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم كما هو واضح.

المطلب الثاني: الخاصية الأولى: نداؤه صلى الله عليه وسلم بالوصف لا بالاسم:

لقد أمر الحق عز اسمه أن يُهاب نبيه صلى الله عليه وآله سلم، وأن يُبَجَّل، وأن يُعظَّم، وأن يُسُود...، فقال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ النور: ٦٣، أي: لا تسموه إذا دعوتموه: يا محمد، ولا تقولوا يا ابن عبد الله، ولكن شرِّفوه فقولوا: يا نبي الله، ويا رسول الله، في لين وتواضع بالغين.[2]

وعليه؛ فإنه يحرم على الغير أن يناديه صلى الله عليه وسلم باسمه العلم: "يا محمد" أو "يا أحمد"، حيا أو ميتا، في زمانه، أو خارج زمانه، إلا أن يقترن بما يشعر بالتّعظيم، كأن يقول: صلى الله عليك يا محمد.[3]

---

[1] _ حديث حسن، أخرجه أحمد في كتاب الزهد، ت: محمد جلال شرف: ص398، دار النهضة العربية –بيروت– ط1، سنة 1981م. والحاكم أبو عبد الله النيسابوري في مستدركه، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ورده الذهبي بقوله: ابن أبي مريم واه، أنظر: المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي: 125/4-126، دار الكتاب العربي –بيروت– (دت)، لكن يشهد له حديث أبي هريرة مرفوعا بلفظ: (أيها الناس، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ..) الحديث: أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم:1015. أنظر: السلسة الصحيحة، الألباني محمد ناصر الدين: 128/3، مكتبة المعارف –الرياض– (دت).

[2] _ أنظر: تفسير ابن كثير: 279/10.

[3] _ أنظر: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الحطاب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي: 400/3، دار الفكر – بيروت– ط3، سنة 1992م. والمجموع شرح المهذب، النووي أبو زكريا محيي الدين: 142/16 وما بعدها.

وإن القدير الذي أمر عباده المؤمنين بإجلال النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه حين النداء؛ لم يناده في القرآن الكريم، باسمه العلم على الإطلاق... وهذا التصرف الجليل مع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لهو منقطع النظير في سنة نداء الله تعالى لباقي الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم في القرآن الكريم.

فإنه لم يناد نبي ولا رسول في القرآن إلا باسمه، وهذه النداءات الآتية، أمثلة لذلك:

ـــ قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ ﴾ البقرة: ٣٣.

ـــ وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ هود: ٤٦.

ـــ وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ هود: ٥٣.

ـــ وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ هود: ٦٢.

ـــ وقال تعالى: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ هود: ٧٦.

ـــ وقال تعالى﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الصافات: ١٠٤ – ١٠٥.

ـــ وقال تعالى﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾ ﴾ هود: ٨١.

ـــ وقال تعالى:﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف: ٢٩.

ـــ وقال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ هود: ٨٧.

ـــ وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٤.

ـــ وقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ ﴾ طه: ٩٢ – ٩٣.

ـــ وقال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص: ٢٦.

ـــ وقال تعالى: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ مريم: ٧.

ـــ وقال تعالى: ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ مريم: ١٢.

ـــ وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ آل عمران: ٥٥.

بينما نادى الحق سبحانه وتعالى محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى سائر الأنبياء بالوصف الشريف من الإرسال والإنباء وغيرهما، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾، فانظر تفاوت ما بين هذا النداء، وتلك النداءات ...

لا شك أن الحق سبحانه وتعالى جعل نداءه صلى الله عليه وسلم بتلك الأوصاف، كرامة له وتشريفا، وربئا بمحله، وتنويها بفضله على سائر الرسل والأنبياء.

ولا يَرِدُ عليه أنه وإن لم يُوقِع اسمه في النداء، فقد أوقعه في الإخبار عنه في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ آل عمران: ١٤٤، وقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ ﴾ الفتح: ٢٩، لأنّ ذكر اسمه هنا هو من باب تعليم الناس بأنه رسول من الله، وتلقين لهم أن يُسمّوه بذلك ويدعوه به، فلا تفاوت في الحقيقة بين النداء والإخبار، وإلا فقد ذكره في الأخبار

بنحو ما ذكره في النداء، حين لم يقصد به التّعليم والتّلقين[1]، كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة: ١٢٨، وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الفرقان: ٣٠، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١، وقال تعالى: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ التوبة: ٦٢، وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ الأحزاب: ٦، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦، وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ المائدة: ٨١.

المطلب الثالث: الخاصية الثانية: تقييد ندائه صلى الله عليه وسلم بـــ " يا أيها ":

قد كَثُرَ في كتاب الله تعالى النداء بـــ "يا أيها"، ما لم يكثر بغيرها، لاستقلالها بأوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة، نذكر منها:

1 ــ ما في "يا" من التأكيد والتنبيه.

2 ــ وما في "ها" من التنبيه.

3 ــ وما في التدرج من الإبهام في "أي" إلى التوضيح.

[1] – أنظر: البحر المحيط: 248/1، تفسير الرازي: 41/30، الكشاف: 42/5.

أضف إلى ذلك أن كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده، واقتصاص أخبار الأمم الدارجة عليهم، وغير ذلك مما أنطق به كتابه؛ أمور عظام، وخطوب جسام، ومعان عليهم أن يتيقظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الأبلغ.[1]

والنبي محمد صلى الله عليه وسلم أحق الخلق بخشية الله تعالى وطاعته، وأولى الناس بالتيقظ لدين الله تعالى، وبذل الوُسع في الذّود عنه، وتبليغه للعالمين. قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾ الأحزاب: ٢١، فاقتضت حكمته تعالى أن يُقيِّد نداءه صلَّى الله عليه وسلّم بـــ "يا أيّها"، فلم يخلُ نداء له صلّى الله عليه وسلّم منها – كما هو واضح في النّداءات المرصودة سابقا – تحميلا لتلك المعاني، وتنويها بمقام النبي صلّى الله عليه وسلّم أمام الخطاب الشرعي، وبمنزلته في المخاطبين المكلّفين، بكونه أوّل متلقٍ للحكم الشرعيِّ، وأوّلَ مُنفِّذٍ له.

[1] – أنظر: الكشاف: 211/1. البلاغة العربية: 243/1.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

نداؤه ﷺ في القرآن الكريم بوصفي المدّثّر والمزّمّل

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : نداؤه ﷺ بوصف المدثر .

المبحث الثاني : نداؤه ﷺ بوصف المزمل.

المبحث الثالث : الأحكام المستفادة مما وراء النداءين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني: نداؤه صلى الله عليه و سلم في القرآن بوصفي المدّثر والمزّمل:

تمهيد:

يَنطبقُ على سورة المدثر من ناحية سبب نزولها، ووقت نزولها، ما ينطبق على سورة المزّمل ..فهناك روايات صحيحة تنصُّ على أنها أوّلُ ما نزل بعد صدر سورة العلق[1]، ورواية أخرى على أنّ سورة المزّمل سابقة لها، وأنها نزلت بعد الجهر بالدعوة، وإيذاء المشركين للنبي صلّى الله عليه وسلّم، فقد روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه أنّ الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما، فلما أكلوا؛ قال: ما تقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر، وقال بعضهم: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، وقال بعضهم: ليس بكاهن، وقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر، وقال بعضهم: سحر يؤثر، فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر، فبلغ ذلِك النبي صلى الله عليه وسلم فحزن وقنع رأسه، وتدثر، فأنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾ المدثر: ١ – ٧ .[2]

وتكاد تكون هذه الرواية، هي ذاتها التي رويت في سبب نزول مطلع سورة المزمل، مما يجعلنا لا نستطيع الجزم بشيء عن أيتهما هي التي نزلت أولا، والتي نزلت بهذه المناسبة أو تلك.[3]

غير أنه يمكن الجنوح إلى أن آيات المدثر سابقة في النزول من آيات المزمل لأجل سببين اثنين:

1 ــ صريح الصحيح: فما ثبت في الصحيحين صريح في أن أول ما نزل بعد العلق، هو آيات المدثر، كما سيأتي بيانه، وما روي في الصحيح مقدم على ما سواه.[4]

---

[1] – أنظر: الصفحة الموالية.

[2] ــ رواه الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد في المعجم الكبير: 125/11-126، رقم: 11250، ت: حمدي عبد المجيد (دت)، ط1، سنة 1980م. وفيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو متروك، أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر: 131/7، مكتبة القدسي – القاهرة- (دت).

[3] ــ في ظلال القرآن: 3752/29.

[4] ــ الإقتراح في بيان الإصطلاح، ابن دقيق العيد أبو الفتح محمد بن علي، ت: عامر حسن صبري، ص315 وما بعدها، دار البشائر الإسلامية –بيروت- ط1، سنة 1996م.

2 ــ النظر في النصين القرآنيين: إن التدقيق في النصين القرآنيين لسورتي المدثر والمزمل يجعلنا نتصور الترتيب التالي: بعد فترة الوحي، ولما كان صلى الله عليه وسلم نازلا من غار حراء قابله ملك الوحي، ففزع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، و أسرع إلى أهله طالبا منهم أن يدثروه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ الآيات، آمرا له أن ينذر الناس ويدعوهم إلى دين الحق، ثم إنه لما قام صلى الله عليه وسلم بإنذار بطون قريش؛ اجتمعوا في دار الندوة فقالوا: سموا هذا الرجل اسما تصدر الناس عنه، فاجتمع رأيهم على أنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه، وبين الأخ وأخيه، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فحزن وتزمل في ثيابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ المزمل: ١ – ٢، وفيها: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ ﴾ المزمل: ١٠[1]

وبالتالي، فإن أول نداء نودي به النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم هو: يا أيها المدثر.

[1] ــ المعجم الأوسط، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد: 136/5، رقم:2177، ت: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن ابراهيم، دار الحرمين –القاهرة– (دت).

المبحث الأول: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف المدثر:

المطلب الأول: الموضوع العام لسورة المدثر:

سورة المدثر سورةٌ مكّية في قول الجميع، وهي ستٌّ وخمسون آية.[1]

وتعدّ من أوّل ما نزل من القرآن الكريم، بل يرى جابرُ بن عبد الله، وأبو سلمة بن عبد الرحمان رضي الله عنهما أنها أوّل شيء نزل من القرآن الكريم، فعن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾، قلت: يقولون:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ ﴾ العلق: ١؟ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله عن ذلك، وقلت له مثل ما قلت لي، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا، ونظرت أمامي فلم أر شيئا، ونظرت خلفي فلم أر شيئا. فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت: دثروني. وصبوا علي ماء باردا. قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا قال: فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾، هكذا ساقه البخاري من هذا الوجه. وقد رواه مسلم من طريق عُقَيل، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة قال: أخبرني جابر بن عبد الله: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث عن فترة الوحي: "... فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت بصري قبَل السماء، فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئت منه حتى هويت إلى الأرض، فجئت إلى أهلي، فقلت: زملوني زملوني. فزملوني، فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ إلى: ﴿ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾، قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان – ثم حمي الوحي وتتابع."[2]

---

[1] ـ أنظر: تفسير القرطبي: 354/21، المحرر الوجيز: 392/5، زاد المسير: 398/8.

[2] ـ صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم: 4. صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 255.

وخالفهما الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١، واحتجوا بحديث بدء الوحي: عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن يترع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ. قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ العلق: ١ – ٣. [1]

غير أنه يمكن الجمع بين الرأيين بأن رواية جابر بن عبد الله تقتضي أنه قد نزل الوحي قبل سورة المدثر، لقوله: "فإذا الملك الذي جاءني بحراء"، وهو جبريل حين أتاه بقوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾، ثم إنه حصل بعد هذا الوحي فترة، ثم نزل الملك بعد هذا. فوجه الجمع هنا؛ أن أول شيء نزل بعد فترة الوحي هو هذه سورة.[2]

وتقع سورة المدثر في الترتيب المصحفي في المرتبة الرابعة والسبعين "74"، بعد سورة "المزمل" وقبل سورة "القيامة"، فأما وقوعها عقب سورة المزمل، ففي ذلك ملاءمة واضحة، وتناسب بديع، يكشف عنه جملة من الموافقات:

ـــ استفتاح السورتين من نمط واحد، وما ابتدأت به كل واحدة منهما من جليل خطابه عليه الصلاة والسلام، وعظيم تكريمه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾.

ـــ جاء الأمر في كليهما بما يخصه، فقال في الأولى: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ الآيات، وقال في الأخرى: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ ﴾، وأتبعت في الأولى بقوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ المزمل: ١٠، وفي الثانية بقوله:

---

[1] ـــ البخاري، كتاب بدء الوحي، رقم: 3. ومسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم: 252.

[2] ـــ تفسير ابن كثير: 176/14.

﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾ المدثر: ٧، ولكل ذلك قصد واحد، وأتبع أمره بالصبر في المزّمل، بتهديد الكفار ووعيدهم: ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١ ﴾ المزمل: ١١، وكذلك في الأخرى: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ۝١١ ﴾ المدثر: ١١. [1]

ـــ ولما ختمت "المزّمل" بالبشارة للمؤمنين الطائعين: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٠ ﴾ المزمل: ٢٠، بعدما بدئت بالاجتهاد في الخدمة المهيىء للقيام بأعباء الدعوة؛ افتتحت هذه بمحط حكمة الرسالة، وهي النذارة لأصحاب الخسارة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ المدثر: ١ – ٢. [2]

وأما مناسبتها لسورة القيامة التي هي بعدها في الترتيب المصحفي، فلأنه لما ذكر سبحانه الآخرة أول سورة المدثر وخوف منها بالتعبير بالناقور وما تبعه، وكان الكفار يكذبون بها، ثم أعاد أمرها آخرها؛ أقام عليها من الأدلة والوصف في سورة القيامة ما صيرها أمرا محتوما. [3]

مقصود سورة المدثر:

شرعت السورة أول شيء بتكليف محمد صلى الله عليه وسلم بإنذار الناس والاستعداد لهذا الأمر، ثم أخذت تكشف لنا من أعماق نفوس المشركين عن أثر القرآن فيهم، وترسم لنا بالصورة والكلمة محاولات الهروب من الواقع، ومغالبة النفس والحقيقة على حد السواء، حين يهجم القرآن على نفوسهم بالإنذار بلا هوادة، ويأخذ بمجامع قلوبهم بلا استئذان، فلا يستطيعون التفلت من أسره؛ وهذا ما تحدثت به قصة الوليد بن المغيرة بكل صدق، حين وصفت استجابة فطرته للقيمة البلاغية المتألقة في ثنايا النص القرآني.. فقال مقولته المشهورة:" والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني لا برجزه ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله وإنه ليعلو ولا يعلى، وإنه ليحطم ما تحته". [4]

---

[1] ـ نظم الدرر في تناسب الآي والسور، البقاعي برهان الدين أبو الحسن: 222/8، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1995م.

[2] ـ المصدر نفسه: 221/8.

[3] ـ المصدر نفسه: 242/8.

[4] ـ صحيح السيرة النبوية، الألباني محمد ناصر الدين، ص158، المكتبة الإسلامية –عمان، الأردن– ط1 (دت).

وبالتالي فالموضوع العام الذي تستهدفه سورة المدثر هو: إنذار محمد صلى الله عليه وسلم، الناس بالمعجزة القرآنية القاهرة.

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية لسورة المدثر:

إنّ سورة المدثر واحدة من النصوص التي صافحت آذان القوم في بدايات عهد التّنزيل... وهي في سياقها العام، حملت جملةً من القيم الفنية متمثلة في نسقها التعبيري وتصويرها الفني، لتضرب من خلال ذلك كله أنموذجا فريدا في منهج التعبير البياني لهذا الكتاب المعجز البليغ.

تأتي هذه السورة كغيرها من سور القرآن ردا على بعض المستشرقين الذين حاولوا النيل من القرآن بالطعن في وحدته الموضوعية، زعما منهم بأن سوره متعددة الموضوعات، منعدمة الروابط لا تنتظمها وحدة مكانية أو زمانية... ولو تأملنا سورة المدثر، لألفيناها تمثل وحدة تكاملية منسجمة، بدأت بقصة الإنذار والحديث عن صاحب الرسالة المنذر محمد صلى الله عليه وسلم في أولها، ثم موقف القوم المنذرين من الكلام المنذر به، ثم اختتمت السورة بوعيد عام يشمل كل مكذب برسالة المنذر صلى الله عليه وسلم.

ولو تتبعنا هذه المحاور الثلاثة في نسقها التعبيري لوجدنا انسجاما نفسيا وموسيقيا في ملائمة اللفظ للمعنى، وبناء الجملة الفنية بناء فنيا ساحرا:

ففي المحور الأول الذي تضمن تكليف الله لنبيه صلى الله عليه وسلم بالإنذار، تجلت سمات نفسية وخلقية مطلوبة على وجه الكمال للنبي المرسل صلى الله عليه وسلم، من مثل قوله :﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ ﴾ المدثر: ٢ – ٥، حيث عكست هذه الجملة القرآنية، صيغة الخطاب المباشر من الله المبني على الحب والملاطفة والرفق من خلال الأسلوب الإنشائي الذي تنوع بين النداء القائم على الإيناس والملاطفة، والأمر المعين على تحمل التكاليف ومتطلباتها، والنهي الذي ينم عن كمال الرسول وتنزيهه من النقائص.

أما في المحور الثاني، فقد عدل النظم القرآني عن أسلوب الإنشاء إلى الأسلوب الخبري لكي يتناسب مع طبيعة النص الحكائي في قصة الوليد بن المغيرة، والذي يمثل موقف المشركين من الرسول صلى الله

عليه وسلم ومن القرآن الكريم ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المدثر: ١١ – ٣٠.

ثم تحوَّل السياق في المحور الثالث، إلى لغة التهديد واستبدال ضمير المخاطب بضمير الغائب، كي يشمل الوعيد كل من يقع عليه القول، وتوظيف الأفعال بصيغة المضارع يجسد حالة الاستحضار الدائم والاستمرارية المستغرقة للزمن:﴿ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ۖ وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ﴿٣١﴾ ﴾ المدثر: ٣١.

المطلب الثالث: مناسبة هذا النداء لمقصود السورة، ولواقع التنزيل:

الفرع الأول: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف المدثر لمقصود السورة:

تجدر الإشارة أولا، إلى أن المدّثر أصله المتدثّر: وهو الذي يتدثّر بثيابه ليدفأ لينام، أو ليدفئ فرائسه المرتعشة من شيء ما، ثم أدغمت التاء في الدال لتقارب مخرجهما، وقد أجمع المفسرون على أن المدثر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم اختلفوا في سبب تسميته بالمدثر:

ـــ فمنهم من قال هذا مجاز، وإنه ليس المراد من المدثر؛ المتدثر بالثياب، بل كونه متدثرا بدثار النبوة والرسالة[1].

[1] ـــ أنظر: تفسير الطبري: 404/23.

قال ابن العربي: "وهذا مجاز بعيد؛ لأنه لم يكن نبيا إلاّ بعدُ، على أنها أوّل القرآن، و لم يكن تمكّن منه أمر النبوة بعد أن كانت ثاني ما نزل، بعد مطلع العلق." [1]

ـــ وأجراه معظم المفسرين على ظاهره[2]، وهو أنه صلى الله عليه وسلم كان متدثرا بثوبه عند مخاطبته بهذا النداء، كما تبينه الرواية الصحيحة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئا ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت أمامي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبا حتى هويت إلى الأرض، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء باردا، قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا، قال فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾ المدثر: ١ – ٣ .[3]

وبالتالي سمي النبي صلى الله عليه وسلم بالمدثر، لأنه تدثر بثيابه ليدفئ فرائسه المرتعشة من رؤية ملك الوحي، جبريل عليه السلام.

ولا شك أن التناسب وثيق بين ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف المدثر، وبين الموضوع العام للسورة الذي أشرنا إليه آنفا، والمتمثل في أن سورة المدثر تقصد الحديث عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم الناس إلى دين الحق، متسلحا بالقرآن المعجز:

إن النبي صلى الله عليه و سلم عندما نزل من غار حراء، وقابل ملك الوحي، فزعت نفسه وأتى أهله مسرعا طالبا منهم أن يدثروه لتدفأ فرائسه المرتعشة ويذهب عنه ذلك الروع؛ فأتاه الأمر بالإنذار، لينتزعه صلى الله عليه وسلم من دفء الفراش، في البيت الهادئ والحضن الدافئ. ويدفع به في الخضم،

---

[1] ـ أحكام القرآن، ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله، مراجعة وتعليق: محمد عبد القادر عطا: 338/4، دار الكتب العلمية –بيروت– ط3، سنة 2003م.

[2] ـ أنظر: أحكام القرآن لابن العربي: 339/4. البحر المحيط: 361/8. تفسير ابن كثير: 176/14-177. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي أحمد بن يوسف، ت: أحمد محمد الخراط: 533/10، دار القلم –دمشق– (دت). التسهيل لتأويل التنزيل، العدوي أبو عبد الله مصطفى، تفسير جزء تبارك، ص318، مكتبة مكة –طنطا، مصر– ط1، سنة 2002م. تفسير المراغي، المراغي أحمد مصطفى: 124/29، مكتبة مصطفى البابي وأولاده –مصر– ط1، سنة 1946م.

[3] ـ رواه الشيخان، سبق تخريجه.

بين الزعازع والأنواء، وبين الشد والجذب في ضمائر الناس وفي واقع الحياة سواء، أتاه ذلك الأمر مستفتحا بهذا النداء العلوي:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾بثوبه، مالك والنوم ؟ ومالك والراحة ؟ ومالك والفراش الدافئ، والعيش الهادئ ؟ والمتاع المريح ؟ ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ ﴾ قم للأمر العظيم الذي ينتظرك، والعبء الثقيل المهيأ لك، قم للجهد والنصب والكد والتعب. قم فقد مضى وقت النوم والراحة..

فقام صلى الله عليه وسلم، وظل قائما على دعوة الله، وإنذار الناس بمعجزة القرآن القاهرة أكثر من عشرين عاما، يحمل على عاتقه العبء الثقيل الباهظ ولا ينوء به، عبء الأمانة الكبرى في هذه الأرض، عبء البشرية كلها، وعبء العقيدة كلها، وعبء الكفاح والجهاد في ميادين شتى.[1]

الفرع الثاني: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف المدثر لواقع التنزيل(لحاله عليه السلام):

الأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفا عند المتكلم، فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء من تعظيم وتكريم، نحو:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾، أو تلطف وتقرب، نحو: يا بني ويا أبت، أو قصد التهكم، نحو: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ ﴾ الحجر: ٦...

فإذا نودي المنادى بوصف هيئة من لبسة أو جلسة أو ضجعة، كان المقصود في الغالب التلطف به والتحبب إليه ولهيئته، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب، وقد وجده مضطجعا في المسجد، وقد علق تراب المسجد بجنبه: (قم يا أبا تراب) تطييبا لنفسه، وتلطيفا لمزاجه، وكان خرج مغاضبا لفاطمة رضي الله عنها[2]، وقوله لعبد الرحمان بن صخر الدوسي، وقد رآه حاملا هرة صغيرة في كمه: (يا أبا هريرة).[3]

---

[1] ـ في ظلال القرآن: 3744/29.

[2] ـ صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب، رقم: 3703.

[3] ـ التحرير والتنوير:255/29-256.

ففي نداء النبي صلى الله عليه وسلم بـــ: "يا أيها المدثر"، ملاطفة في الخطاب من الكريم إلى الحبيب إذ ناداه بحاله، وعبر عنه بصفته، ليستشعر اللين والرفق من ربه.

ولكن ما سبب هذا التلطف والارتفاق المقصودين من هذا النداء؟

إن الآيات التي كانت تتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كانت من حين لآخر تسليه نفسيا، وترشده عاطفيا، إذ لا يمكن أن يكون هناك بشر معتدل كل الاعتدال في جانبه العاطفي.. وسيد الكونين صلى الله عليه وسلم بشر.

وإمعان النظر في جزء من النصوص الثابتة، يدفعنا إلى الإقرار بهذه الحقيقة:

1 ــ كقوله تعالى﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ الكهف: ١١٠، ونظير هذه الآية كثير.

2 ــ عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذن منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار.[1]

3 ــ وفي الصحيحين من حديث عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني).[2]

4 ــ وروى مسلم من حديث رافع بن خديج قال: قدم نبي الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل، يقولون يلقحون النخل، فقال: (ما تصنعون)، قالوا: كنا نصنعه، قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا، فتركوه فنفضت أو فنقصت، قال: فذكروا ذلك له فقال: (إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر).[3]

---

[1] ــ موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، كتاب الأقضية، باب الترغيب في القضاء بالحق، رقم: 1391. صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أقام البينة بعد الدليل، رقم: 2680. صحيح مسلم،كتاب الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، رقم: 1713.

[2] ــ البخاري، كتاب الصلاة، باب: التوجه نحو القبلة حيث كان، رقم: 401. صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: السهو في الصلاة والسجود له، رقم:89.

[3] ــ صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: وجوب امتثال ما قاله شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأي، رقم: 139.

5 ــ وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلان، فكلماه بشيء لا أدري ما هو، فأغضباه، فلعنهما وسبهما فلما خرجا، قلت: يا رسول الله من أصاب من الخير شيئا ما أصابه هذان، قال: (وما ذاكِ؟)، قالت، قلت: لعنتهما وسببتهما، قال: (أو ما علمت ما شارطت عليه ربي، قلت: اللهم إنما أنا بشر، فأي المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجرا).[1]

6 ــ ولمسلم أيضا من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إنما أنا بشر، أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر، فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة).[2]

7 ــ ولأحمد من حديث أبي بكرة رضي الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استفتح الصلاة فكبر ثم أومأ إليهم أن مكانكم ثم دخل فخرج ورأسه يقطر، فصلى بهم، فلمّا قضى الصلاة قال: (إنما أنا بشر وإني كنت جنبا).[3]

بيد أن تلك العوارض البشرية الجائزة على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى سائر إخوانه من الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، لا تخل بتبليغ، ولا توقع في المعصية بأي حال.

وصحيح كذلك أن الحق سبحانه وتعالى اختار محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خاتما للأنبياء والمرسلين، وآدم عليه السلام لا يزال منجدلا بين الطّين والماء[4]...، و لم يبعثه رحمة للعالمين إلا بعد أن بلغ سن الأربعين وتهيأ لتحمل هذا الأمر العظيم ..

غير أن الجانب العاطفي يبقى فقيرا للنصح والتقويم مع مرور الوقت وتنزل الآيات، ولقد شاهدنا الآيات تتنزل كذلك:

---

[1] ــ مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرا ورحمة، رقم: 88.

[2] ــ المصدر نفسه، برقم: 91.

[3] ــ رواه أبو داود في سننه، باب: في الجنب يصلي بالقوم وهو ناس، رقم: 234، قال الهيثمي في المجمع: ورجاله رجال الصحيح: 273/1.

[4] ــ مستدرك الحاكم، تفسير سورة الأحزاب: 418/4، وقال: صحيح الإسناد و لم يخرجاه.

1 ــ لا شك أن الحزن على كفر الكافر طاعة، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يفرط أحيانا في الحزن على كفر قومه، فنهاه الحق سبحانه وتعالى عن ذلك[1] فقال: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦ ﴾ الكهف: ٦، وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨ ﴾ فاطر: ٨.

2 ــ وعن سعد – بن أبي وقاص الليثي – قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ فَتَطۡرُدَهُمۡ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢ ﴾ الأنعام: ٥٢. [2]

3 ــ وقال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ٤ ﴾ عبس: ١ – ٤، فافتتاح هذه السورة بفعلين متحملين لضمير لا معاد له في الكلام، تشويق لما سيورد بعدهما، والفعلان يشعران بأن المحكي حادث عظيم، وهذا الحادث سبب نزول هذه الآيات من أولها إلى قوله: ﴿ كِرَامِۭ بَرَرَةِۭ ١٦ ﴾ عبس: ١٦، [3] وهو ما رواه مالك في الموطأ[4]، مرسلا عن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال: أنزلت "عبس وتولى" في عبد الله بن أم مكتوم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا محمد استدنيني وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول يا أبا فلان هل ترى بما أقول بأسا فيقول لا والدماء ما أرى بما تقول بأسا فأنزلت: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ٢ ﴾.

---

[1] ــ تفسير القرطبي: 200/13.

[2] ــ صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل سعد بن أبي وقاص، رقم: 46.

[3] ــ التحرير والتنوير: 103/30.

[4] ــ الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في القرآن، رقم: 477.

فهذا جزء من الآيات كانت تراعي حال الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ظرف، وتتنزل على قلبه صلى الله عليه وسلم في كل مناسبة يحتاج فيها إلى توجيه أو تقويم عاطفي، يلهب همته ليدفع الفتور عنه، أو ليجعل هواه وفق ما بعث به صلى الله عليه وسلم، وليحمله على التماسك والثبات على القيام بواجب الدعوة إلى دين الله تعالى ...

وكذلك نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف "المدثر" على الخصوص، كان مراعاة للحال التي كان عليها:

إذ تصف لنا كلمات النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يتحدث عما بعد فترة الوحي، حالة من الاضطراب والفزع كانت تختلج النبي صلى الله عليه وسلم، فلم تكن نفسه حينئذ هادئة مستكينة، قال: فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبا حتى هويت إلى الأرض، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء باردا قال: فدثروني وصبوا علي ماء باردا، فنزل الوحي بالنداء العلوي...

وبالتالي: أيُّ وصف يمكن أن يُنادى به صلى الله عليه وسلم، ويكون ملائما للحالة التي هو عليها؟

لا شك أن سيد الكونين صلى الله عليه وسلم لم يكن مهيأ ليخاطب بوصف الرسالة أو النبوة، في هذه المرحلة الحاسمة، رغم أنه أُعلِم بأنه اختير رسولا من الله إلى الناس في غار حراء... غير أن النداء المباشر له وقع شديد، وجرس ثقيل، ينوء به من هو في حيرة من أمره، لذلك قدر الله تعالى أن يكون أول نداء قرآني يصافح أذن النبي صلى الله عليه وسلم هو: "يا أيها المدثر"، لما يحمله هذا الوصف من معاني الأنس والرأفة، المشار إليها سابقا، ولأنه أدعى إلى تهدئة نفسه المضطربة، الساهمة فيما يحصل لها.

المبحث الثاني: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف المزمل:

المطلب الأول: الموضوع العام لسورة المزمل:

سورة المزمل عشرون آية مكية كلها في قول الجميع، وقال الثعلبي: إلا قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ المزمل: ٢٠، إلى آخر السورة، فإنه نزل بالمدينة.[1]

غير أن كلام الثعلبي فيه نظر، إذ أن الآيات الأولى من سورة المزمل يعد من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، كما سيأتي بيانه، وإن ما بين نزول صدر السورة وآخرها حولا كاملا، اثنا عشر شهرا، لما رواه مسلم من حديث سعيد بن هشام أنه قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: ألست تقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾، قلت: بلى، قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة.[2]

وبالتالي، فنزول آخر سورة المزمل، كان بعد عام ونيف من مبعثه صلى الله عليه وسلم على أقصى تقدير.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الشطر الأول من سورة المزمل لاحق في نزوله لآيات سورة المدثر، غير أنه يصعب تحديد سبب واضح لنزوله، وليس هذا في الحقيقة إشكال، فإن جزءا من القرآن الكريم لم يعرف له سبب نزول، بل إن منه ما نزل بلا سبب معين.

نعم، قد رويت بعض الآثار في سبب نزول آيات المزمل، بيد أنها لم تسلم جميعها من التعقب:

1 ــ روى ابن جرير في تفسيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أشتري لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا، فكان يقوم عليه من أول الليل، فتسمع الناس بصلاته، فاجتمعت جماعة من

---

[1] ــ أنظر: تفسير القرطبي: 313/21.

[2] ــ صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، رقم: 746.

الناس؛ فلما رأى اجتماعهم كره ذلك، فخشي أن يكتب عليهم، فدخل البيت كالمغضب، فجعلوا يتنحنحون ويتسعلون حتى خرج إليهم، فقال: (يا أيها الناس إن الله لا يمل حتى تملوا – يعنى من الثواب – فاكلفوا من العمل ما تطيقون فإن خير العمل أدومه وإن قل)،ونزلت عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ ﴾ السورة، قال: فكتبت عليهم، وأنزلت بمنزلة الفريضة حتى إن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به؛ فلما رأى الله ما يكلفون مما يبتغون به وجه الله ورضاه، وضع ذلك عنهم، فقال﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ﴾ إلى: ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ ﴾ ، فردهم إلى الفريضة، ووضع عنهم النافلة، إلا ما تطوّعوا به.[1]

والحديث أخرجه الشيخان في صحيحيهما، لكن بدون زيادة نزول هذه السورة،[2]وهذا السياق يوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة، فالنبي صلى الله عليه وسلم ما بنى بعائشة رضي الله عنها إلا في المدينة، وليس كذلك؛ فقد تقدم أن السورة مكية.

2 ــ وروى الطبراني في الأوسط، والبزار في مسنده من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: اجتمعت قريش في دار الندوة، فذكروا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم : ساحر، قالوا: ليس بساحر، وقال بعضهم: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، وقال بعضهم: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا: يفرق بين الحبيب وحبيبه، فصدر المشركون على ذلك، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم، فزمل في ثيابه و دثر، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾.

قال الطبراني: لم يرو هذا الحديث عن ابن عقيل إلا شريك، وتفرد به معلى بن عبد الرحمان[3]، وقال أبو بكر البزار: معلى بن عبد الرحمان قد حدث عن جماعة من أهل العلم، واحتملوا حديثه، لكن تفرد بأحاديث لا يتابع عليها. وكذا قد رماه الهيثمي بالكذب.[4]

---

[1] ــ أنظر: تفسير الطبري: 360/23.

[2] ــ البخاري، كتاب اللباس، باب: الجلوس على الحصير و نحوه، رقم: 5861. مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، رقم: 215.

[3] ــ المعجم الأوسط للطبراني: 136/5، رقم:2177.

[4] ــ البحر الزخار (مسند البزار)، البزار أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي، ت: محفوظ الرحمن زين الله: 113/2-114، برقم:1521، مكتبة العلوم والحكم -المدينة المنورة- ط1، سنة 2003م. وأنظر: مجمع الزوائد، مصدر سابق: 133/7.

3 ــ وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متزملا بمرط لعائشة رضي الله عنها يصلي، فنودي بذلك ثناء عليه وتحسينا لحاله التي كان عليها.. فقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها سئلت: ما كان تزميله صلى الله عليه وسلم. قالت: كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا، نصفه علي وأنا نائمة، ونصفه عليه صلى الله عليه وسلم وهو يصلي، وكان سداه شعرا ولحمته وبرا.[1]

لكنه يرد عليه ما ورد على حديث جابر رضي الله عنه، قال الألوسي: " وتكلف صاحب الكشف فقال: وجوابه أنه يمكن أن يكون قد بات صلى الله عليه وسلم في بيت الصديق رضي الله تعالى عنه ذات ليلة وكان المرط على عائشة وهي طفلة والباقي لطوله على النبي عليه الصلاة والسلام، فحكت ذلك أم المؤمنين إذ لا دلالة على أنها حكاية ما بعد البناء، فهذا ما يتكلف لصحة هذا القول اهـــ، قال: وهذا الحديث لم يقع في الكتب الصحيحة كما قاله ابن حجر، بل هو مخالف لها، ومثل هذه الاحتمالات لا يكتفى بها ".[2] بل قال أبو حيان: " وما رووا من أن عائشة رضي الله عنها سئلت: ما كان تزميله؟، قالت: كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا، نصفه علي وأنا نائمة، ونصفه عليه.. إلى آخر الرواية؛ كذب صراح، لأن نزول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾، كان بمكة في أوائل مبعثه صلى الله عليه وسلم، وتزويجه عائشة رضي الله عنها كان بالمدينة." [3]

ومع أنه يجوز أن يكون الشطر الأول من سورة المزمل قد نزل بغير سبب، إلا أن التدقيق في النص القرآني لهذا الشطر من السورة، يفرض علينا طرح بعض الاستفسارات:

أ ــ الجمهور على أنه صلى الله عليه وسلم لما جاءه الملك بغار حراء وحاوره بما حاوره، رجع إلى خديجة رضي الله عنها فقال: دثروني دثروني فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾، وعلى إثرها نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾،[4] فهل هناك أحداث جرت بين النزولين؟

---

[1] ــ أنظر: تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، الألوسي أبو الفضل شهاب الدين محمد، ضبط: علي عبد الباري عطية: 113/15، دار الكتب العلمية –بيروت- ط1، سنة 1994م.

[2] ــ المصدر نفسه: 114/15.

[3] ــ البحر المحيط: 352/8.

[4] ــ أنظر: التحرير والتنوير: 29/ 256.

ب ــ إن نداءه صلى الله عليه وسلم بـــ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾، لا يكون إلا باعتبار حالته التي كان عليها وقت ندائه[1]، وبالتالي، فما الذي حمله صلى الله عليه وسلم على التزمل؟

ج ــ إن الله تعالى أراد أن يدفع عن نبيه صلى الله عليه وسلم شيئا ما سمعه من المشركين بأمره بقيام الليل، وأتبع ذلك بما يشهد لهذا الغرض ويعضده، وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ ﴾ المزمل: ١٠، فما الذي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين حتى اغتم، ونزل الوحي ليسليه؟، وهل ما سمعه من المشركين، هو الذي دفعه إلى التزمل؟

المشهد المتكامل:

إن الإجابة على هذين التساؤلين، تحبك لنا مشهدا متكاملا يمكن تصوره بوضوح كالتالي:

رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غار حراء فزعا من رؤية جبريل عليه السلام إلى خديجة رضي الله عنها فقال: دثروني دثروني فنزل عليه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ ﴾ المدثر: ١ – ٣ الآيات، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى دين الله سبحانه وتعالى، وكان من الحكمة أن تكون الدعوة في بدء أمرها سرية؛ لئلا يفاجئ أهل مكة وحده بما يهيجهم، والحال أنهم كانوا جفاة لا دين لهم إلا عبادة الأصنام والأوثان.. فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم يعرض الإسلام أولا على ألصق الناس به من أهل بيته، وأصدقائه، ومن توسم فيه الخير ممن يعرفهم بإيثار الحق، ويعرفونه بالصدق والصلاح.

ولما تكونت جماعة من المؤمنين تتحمل عبء تبليغ الرسالة، وتدفع المهج نصرة لنبيها صلى الله عليه وسلم؛ نزل الوحي يكلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بإعلان الدعوة إلى الله جهرا، فقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾ الشعراء: ٢١٤، فلما نزلت عليه الآية، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك إلا صدقا قال فإني نذير لكم بين يدي

[1] ــ أنظر: التحرير والتنوير: 29/ 256.

عذاب شديد[1]، ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها.[2]

وقد كان قرب موسم الحج، وعرفت قريش أن وفود العرب ستقدم عليهم، فاجتمع الوليد بن المغيرة ونفر من قريش، وكان ذا سن فيهم، فقال: إن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا ولا تختلفوا، فيكذب بعضكم بعضا، ويرد قول بعضكم بعضا. فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس، فقل، وأقم لنا رأيا نقوم به، فقال: بل أنتم فقولوا أسمع، فقالوا: نقول كاهن، فقال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمزمة الكهان، فقالوا: نقول: مجنون، فقال: ما هو بمجنون ولقد رأينا الجنون، وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا : فنقول: شاعر، قال: ما هو بشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه، وهزجه، وقريضه، ومقبوضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: فنقول: ساحر قال : فما هو بساحر: قد رأينا السحار وسحرهم، فما هو بنفثه ولا عقده، فقالوا: ما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: والله، إن لقوله حلاوة، وإن أصله لغدق وإن فرعه لجنا، فما أنتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر، فتقولوا: هو ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وبين أخيه، وبين المرء وبين زوجته، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك،[3]فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، اغتم من وصف المشركين له بالجنون والسحر، وحزن وتزمل في ثيابه، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا

---

[1] ـ البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾ الشعراء: ٢١٤، رقم: 4770. مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾، رقم: 355.

[2] ـ مسلم، كتاب الإيمان، باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ ﴾،رقم: 348.

[3] ـ رواه البيهقي في دلائل النبوة، ت: عبد الرحمن محمد عثمان: 1/447-448، دار الفكر –بيروت- ط2، سنة 1983م.

﴿ ۝٧ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ۝٨ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلًا ۝٩ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ۝١١ ﴾ المزمل: ١ - ١١الآيات.

هكذا يبدو المشهد كاملا، وفي تناسق تام، تكون الظروف التي نزلت فيها آيات المزمل آخر مرحلة منه، وحتى وإن كانت تلك الظروف ما هي إلا رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه الضعيفة السند، إلا أن السياق القرآني يفرض علينا تصور تلك الأحداث على هذا النسق.

مناسبة سورة المزمل لما قبلها:

تقع سورة المزمل في الترتيب المصحفي، في المرتبة الثالثة والسبعين، بعد سورة الجن وقبل سورة المدثر..، فأما مناسبتها لسورة الجن فذلك لجملة من الموافقات:

1 ــ لما ذكر الله سبحانه وتعالى في آخر سورة الجن قوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ۝٢٨ ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٨، أتبعه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾، إعلاما بأنه صلى الله عليه وسلم ممن ارتضاه من الرسل، وخصه بخصائص، وكفاه شر أعدائه.[1]

2 ــ لما تقدم في آخر سورة الجن من تعظيم الوحي وأن من تعظيمه حفظ المرسل به من جميع الآفات المفترة عن إبلاغه بما له سبحانه من إحاطة العلم والقدرة..؛ ندب نبيه صلى الله عليه وسلم الذي ارتضاه لرسالته، والاطلاع على ما أراده من غيبه صلى الله عليه وسلم أول هذه السورة، إلى القيام بأعباء النبوة بالمناجاة بهذا الوحي في وقت الأنس والخلوة، والبسط والجلوة، المهيء لحمل أعباء الرسالة، والمقوي على أثقال المعالجة لأهل الضلالة.[2]

وأما مناسبتها لسورة المدثر فقد سبق بيانه.

مقصود سورة المزمل:

تبدأ سورة المزمل بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاشتغال بالعبادة في ظلمة الليل، الباعثة على الأنس والسكن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ

[1] ــ تفسير الألوسي (روح المعاني): 112/15.

[2] ــ نظم الدرر: 202/8.

﴿ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ المزمل: ١ – ٤، ثم يؤمر صلى الله عليه وسلم بالتوكل على الله وتفويض الأمر إليه، والصبر على قول المشركين، وعدم الاكتراث لاتهاماتهم: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ المزمل: ٨ – ١٠، لأن الله تعالى سيتولاهم، وما عليه هو صلى الله عليه وسلم إلا البلاغ: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾ المزمل: ١١، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ المزمل: ١٩، ثم عادت السورة لتصرف النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، إلى المداومة على العبادة والاستغفار﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ المزمل: ٢٠.

وكأن السورة بتمامها، جاءت لتسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيته ليقوم بأعباء الدعوة، وهو عين مقصود السورة.

المطلب الثاني: الوحدة الموضوعية لسورة المزمل:

تمثل سورة المزمل وحدة تكاملية منسجمة تقوم على محورين اثنين:

فأما المحور الأول، فيبدأ بالنداء العلوي الكريم بالتكليف العظيم، ويصور الإعداد والتهيؤ له بقيام الليل، والصلاة، وترتيل القرآن، والذكر الخاشع المتبتل، والاتكال على الله وحده، والصبر على الأذى، والهجر الجميل للمكذبين، والتخلية بينهم وبين الجبار القهار صاحب الدعوة، وصاحب المعركة بين الحق والباطل...

كل ذلك يمضي على إيقاع موسيقي واحد، ويكاد يكون على روي كذلك واحد، وهو اللام المطلقة الممدودة، وهو إيقاع رخي وقور جليل، يتماشى مع جلال التكليف، وجدية الأمر، ومع الأهوال المتتابعة التي يعرضها السياق.. هول القول الثقيل: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ المزمل: ٥، وهول التهديد المروع: ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ المزمل: ١١ - ١٣، وهول الموقف الذي يتجلى في مشاهد الكون وفي أغوار النفس: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ المزمل: ١٤،﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ المزمل: ١٧ - ١٩.

وأما المحور الثاني: فقد رجعت فيه الآية الأخيرة والطويلة، إلى التلطف بالنبي صلى الله عليه وسلم وبأصحابه رضي الله عنهم أجمعين، وكانت نزلت بعد عام من قيام الليل حتى ورمت أقدامه صلى الله عليه وسلم وطائفة من الذين معه، والله يعده ويعدهم بهذا القيام لما يعدهم له، فنزل التخفيف ومعه التطمين بأنه اختيار الله لهم وفق علمه وحكمته بأعبائهم وتكاليفهم التي قدرها في علمه عليهم.

وقد تميزت هذه الآية بنسق خاص، فهي طويلة وموسيقاها متموجة وعريضة، وفيها هدوء واستقرار، وقافية تناسب هذا الاستقرار، وهي الميم وقبلها مد الياء:﴿ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ المزمل: ٢٠، لتنتهي السورة بلمسة الرفق والرحمة والتخفيف والتيسير، والتوجيه للطاعات والقربات، والتلويح برحمة الله تعالى: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ المزمل: ٢٠.[1]

[1] ـ أنظر: في ظلال القرآن: 3743/29.

المطلب الثالث: مناسبة هذا النداء لمقصود السورة و لواقع التنزيل:

أولا: مناسبة ندائه صلى الله عليه و سلم بوصف المزمل لمقصود السورة:

ذكر الأخفش أن المزمل أصله المتزمل، فأدغمت التاء في الزاي، وفي أصل المتزمل قولان:

1 ــ أحدهما: أنه المحتمل، يقال زمل الشيء إذا حمله، ومنه الزاملة لأنها تحمل القماش.

2 ــ الثاني: أن المزمل هو المتلفف، يقال: تزمل وتدثر بثوبه إذا تغطى، وزمل غيره إذا غطاه، وكل شيء لفف فقد زمل ودثر.

قال امرؤ القيس: كَبِيرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ.[1]

وقد أجمع العلماء على أن المزمل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، واختلفوا في سبب تسميته بذلك على قولين:

1 ــ فمنهم من حمله على حقيقته، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾، أي: يا من تلفف في ثيابه، أو في قطيفته قم، قاله إبراهيم والنخعي وقتادة.

2 ــ ومنهم من حمله على المجاز، كأنه قيل له: يا من تزمل بالنبوة، والتزم الرسالة، قاله عكرمة، أو يا أيها المزمل بالقرآن، قاله ابن عباس[3].

قال ابن العربي: "وإنما يسوغ هذا التفسير – التفسير الثاني – لو كانت الميم مفتوحة مشددة بصيغة المفعول الذي لم يسم فاعله، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل".[4]

وبالتالي فحمل المصطلح على حقيقته أصوب، لأولوية الحقيقة، ولبطلان احتمال المجاز، ولاشك أن هناك تناسبا بين ندائه صلى الله عليه وسلم بوصفه متلففا في ثيابه، والموضوع العام الذي تستهدفه السورة، المتمثل في تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم بأعباء النذارة.

---

[1] ــ البيت لامرئ القيس، وتكملة شطره: كأن أبانا في أفانين ودقه ..، أنظر ديوانه، ص122.

[2] ــ أنظر: تفسير الرازي: 171/30.

[3] ــ أنظر: تفسير القرطبي: 314/21-315.

[4] ــ أحكام القرآن لابن العربي: 323/4.

وذلك أن الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بأجمل مكالمة، وألطف مخاطبة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾، الباعثة على الأنس وجبر الخاطر، وكان ذلك تسلية له صلى الله عليه وسلم، كما ورد: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ۝٨ ﴾ فاطر: ٨، إلى آخره، وتثبيتا له صلى الله عليه وسلم لما لقيه من المشركين، وأتبع ذلك بما يشهد لهذا الغرض ويعضده وهو قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠ ﴾ المزمل: ١٠.

ثانيا: مناسبة ندائه صلى الله عليه و سلم بوصف المزمل لواقع التنزيل(لحاله عليه السلام):

قد ذكرنا فيما سبق أن العرب إذا أرادت ملاطفة المخاطب، وإشعاره بترك المعاتبة، سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقوله صلى الله عليه و سلم لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه: (قم يا نومان)، وكان نائما، ملاطفة له وإشعارا لترك العتب والتأنيب.[1]

والنبي صلى الله عليه وسلم عندما سمع من المشركين اتهامهم له بالجنون والشعر والكهانة والسحر، وقد كانت أبغض الأوصاف إلى نفسه، اغتم وعاد إلى منزله محرجا صلى الله عليه وسلم، وتزمل في ثيابه حزنا ...

حزنا من تلك الأوصاف القاسية لرجل عرف بالصدق والشهامة، والأخلاق الفاضلة، والشمائل الكريمة، وحزنا على سير الدعوة في أول امتحان لها...

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الوقت الحرج، بحاجة إلى المواساة، وجبر الخاطر، وبعث الحماس للقيام بالإنذار من جديد، وقد نزل الوحي كذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾ المزمل: ١ – ٤، الآيات.

ولكن لماذا لم يناد صلى الله عليه وسلم بوصف "المدثر" الذي ألفه، والذي يحمل كذلك معاني الأنس والدعم العاطفي؛ ونودي بوصف جديد هو "المزمل"؟

[1] _ التحرير والتنوير: 256/29.

إن الإجابة على هذا السؤال، تؤكد بأن الوحي عندما كان يتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، كان يراعي حاله صلى الله عليه وسلم في كل ظرف، وتتنزل الآيات على قلبه صلى الله عليه وسلم في كل مناسبة يحتاج فيها إلى توجيه أو تقويم عاطفي، بما يتناسب وطبيعة ذلك التوجيه أو ذلك التقويم.

لقد ذكر العلماء أن هناك فرقا بين وصفي المزمل والمدثر، و الاختلاف يكمن في أصل الاشتقاق: فالتزمل مشتق من الزَمْل: بفتح فسكون، وهو الإخفاء والتواري، وأريد في إطلاقه معنى شدة التلبس، وبالتالي المبالغة في التخفي، بينما التدثر مشتق من معنى اتخاذ الدثار للتدفؤ.[1]

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يكن فزعا أو خائفا، ولم تكن فرائسه تختلج ارتعاشا ليحتاج إلى تدفئتها، لم يعتره كل ذلك حتى يوصف بوصف المدثر الباعث على معنى التدفؤ... ولكنه صلى الله عليه وسلم كان مغموما مهموما من وصف المشركين إياه بما تقدم ذكره، ساهما في مصير الدعوة وقد قوبلت بهذا الصد والتكذيب في أول ردة فعل من المنذرين... ثم لعله صلى الله عليه وسلم أدرك وهو متزمل في ثيابه كالمختفي من الواقع السيئ؛ أنه ما كان له أن يرجع إلى مترله ويتزمل، بل كان عليه البقاء في شوارع مكة، يجهر بدعوة الحق.

فناداه الحق سبحانه وتعالى بالوصف المناسب للحالة التي هو عليها صلى الله عليه وسلم، بـــ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١﴾، أي: المختفي في ثيابه، تأنيسا وملاطفة له، وليستشعر أنه غير عاتب عليه، ولا مؤنب له.

[1] ــ التحرير والتنوير: 256/29.

المبحث الثالث: الأحكام المستفادة مما وراء النّداءين:

المطلب الأول: هل الخطابان خاصّان به عليه الصلاة والسلام أم يعمّان:

اختلف العلماء في الخطاب الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ المدثر: ١، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ المزمل: ١، فذهب الشافعية ومن وافقهم إلى أن هذا الخطاب لا يعم الأمة. بينما يرى جمهور العلماء أن مثل هذا الخطاب عام للأمة، ولا يختص إلا بدليل يخصه.

مذهب الشافعية وبعض أصحاب أحمد:

إذا ورد الخطاب خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم كـــ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾، و ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ ﴾ الأحزاب: ١، فإنه لا يعم الأمة عند الشافعية إلا بدليل يوجب التشريك، إما مطلقا، وإما في ذلك الحكم بخصوصه من قياس أو غيره،[1] واحتجوا على ذلك بما يأتي:

1 ــ إن الخطاب الوارد نحو الواحد موضوع في أصل اللغة لذلك الواحد، فلا يكون متناولا لغيره بوضعه، ولهذا فإن السيد إذا أمر بعض عبيده بخطاب يخصه لا يكون أمرا للباقين، وكذلك في النهي والإخبار وسائر أنواع الخطاب.

2 ــ وإنه من المحتمل أن يكون الأمر للواحد المعين مصلحة له، وهو مفسدة في حق غيره، وذلك كما في أمر الطبيب لبعض الناس بشرب بعض الأدوية، فإنه لا يكون ذلك أمرا لغيره لاحتمال التفاوت بين الناس في الأمزجة والأحوال المقتضية لذلك الأمر، ولهذا خص النبي صلى الله عليه وسلم بأحكام لم يشاركه فيها أحد من أمته، من الواجبات والمندوبات والمحظورات والمباحات، ومع امتناع اتحاد الخطاب وجواز الاختلاف في الحكمة والمقصود، يمتنع التشريك في الحكم، اللهم إلا أن يقوم دليل من خارج

[1] ــ شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير، ابن النجار محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي، ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد: 219/3 وما بعدها، مكتبة العبيكان –الرياض– ط1، سنة 1993م.

يدل على الاشتراك في العلة الداعية إلى ذلك الحكم، فالاشتراك في الحكم يكون مستندا إلى نفس القياس، لا إلى نفس الخطاب الخاص بمحل التنصيص أو دليل آخر.[1]

مذهب الجمهور:

ويرى جمهور العلماء من المالكية والحنفية، وأكثر الحنابلة، والظاهرية[2]أن ذلك الخطاب، يكون خطابا للأمة، إلا ما دل الدليل فيه على الفرق،[3] واحتجوا بما يأتي:

1 ــ قالوا: عندما نقول بالشمول فإننا لا نقول إنه باللغة، بل للعرف الشرعي في مثله، حتى لو قام دليل على خروج النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك كان من باب العام المخصوص، ولا نقول : إنهم داخلون بدليل آخر، لأنه حينئذ ليس محل النزاع، فيتحد القولان.[4]

2 ــ قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ الطلاق: ١، فإنه لم يقل إذا طلقت النساء فطلقهن، وذلك يدل على أن خطابه خطاب لأمته، وأيضا قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٧، فإنه أخبره أنه إنما أباح له ذلك، ليكون مباحا لأمته، ولو كانت الإباحة خاصة به، لما انتفى الحرج عن الأمة،[5] وأيضا قوله تعالى: ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأحزاب: ٥٠، فلو كان اللفظ مختصا لم يحتج إلى التخصيص.

---

[1] ــ الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد: 379/2-380، في معنى العام والخاص – المسألة السادسة عشرة- دار الكتب العلمية –بيروت- ط1، سنة 1983م.

[2] ــ نثر الورود على مراقي السعود، الشنقيطي محمد الأمين بن المختار، ت: محمد ولد حبيب الشنقيطي، ج1، ص364، دار ابن حزم –بيروت- ط1، سنة 2002م. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم أبو محمد علي الأندلسي الظاهري، ت: لجنة من العلماء: 353/1 وما بعدها، دار الجيل –بيروت- ط2، سنة1987م.

[3] ــ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: 379/2.

[4] ــ شرح الكوكب المنير، لابن النجار: 219/3.

[5] ــ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: 381/2.

فإن قيل: إن الفائدة في التخصيص عدم الإلحاق بطريق القياس ولذلك رفع الحرج، قلنا ظاهر اللفظ مقتض للمشاركة، لأنه علل إباحة التزويج برفع الحرج عن المؤمنين، وكذلك قضاؤه بالخصوصية، فالقياس إذن بمعزل عن ذلك.[1]

3 ــ ولمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستفتيه وهي تسمع من وراء الباب، فقال: يا رسول الله تدركني الصلاة وأنا جنب أفأصوم؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب فأصوم)، فقال: لست مثلنا يا رسول الله قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: (والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي).[2] فدل الحديث على الشمول من وجهين:

أحدهما: أنه أجابهم بفعله، و لو اختص الحكم به لم يكن جوابا لهم.

والثاني: أنه أنكر عليهم مراجعتهم له باختصاصه بالحكم، فدل على أنه لا يجوز المصير إليه.[3]

4 ــ أن الصحابة كانوا يرجعون إلى أفعاله صلى الله عليه وسلم فيما يختلفون فيه من الأحكام، كرجوعهم في التقاء الختانين، وفي صحة صوم من أصبح جنبا، وغير ذلك.[4]

5 ــ قد ورد الخطاب بتخصيصه عليه السلام، بأحكام دون أمته كقوله تعالى: ﴿ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الأحزاب: ٥٠، وكقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ الإسراء: ٧٩، ولو لم يكن الخطاب المطلق له خطابا لأمته بل خاصا به، لما احتيج إلى بيان التخصيص به هاهنا.[5]

6 ــ وما ذكره الفريق الأول من احتمال التفاوت في المصلحة والمفسدة، فغير قادح مع ظهور المشاركة في الخطاب كما تقرر، ولهذا جاز تكليف الكل مع هذا الاحتمال لظهور الخطاب، وجاز تعدية الحكم

---

[1] ــ شرح الكوكب المنير، لابن النجار: 220/3.

[2] ــ مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، رقم: 79.

[3] ــ شرح الكوكب المنير، لابن النجار: 221/3.

[4] ــ المصدر نفسه.

[5] ــ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: 381/2.

من الأصل إلى الفرع عند ظن الاشتراك في الداعي مع احتمال التفاوت بين الأصل والفرع في المصلحة والمفسدة.[1]

وبالتالي فإن الخطاب الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم يعم الأمة استنادا إلى رأي الجمهور، المدعم بأدلة تبدو أقوى وأشد متانة.

غير أنه تجدر الإشارة إلى أن محل الخلاف فيما يمكن إرادة الأمة معه، أما ما لا يمكن إرادة الأمة معه فيه، كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ المدثر: ١ - ٢، وقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧، ونحوه، فلا تدخل الأمة فيه قطعا، ومنه ما قامت قرينة فيه على اختصاصه به من خارج نحو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ ﴾ المدثر: ٦. [2]

المطلب الثاني: الأحكام المستفادة مما وراء ندائه عليه السلام بالمدثر:

قد ذكرنا آنفا أنّ الخطاب الذي يختصُّ بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يقصد فيه إرادة الأمة معه، فإن الأحكام التي يتضمنها هذا الخطاب لا تتعلق إلا بالنبي صلى الله عليه وسلم، بدون خلاف.. ونداؤه صلى الله عليه و سلم بـــ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾ المدثر: ١، و﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ المزمل: ١، هو من ذلك الخطاب.

غير أن تناول العلماء لهذين النداءين بالتفسير، لا يوحي باختصاص بعض الأحكام المتعلِّقة بهما بالنبي صلى الله عليه وسلم، بل إن بعض الأحكام قد حصل فيها الإشتراك، سواء فُهِم الاشتراك من نفس الخطاب، أو من باب الإقتداء والتأسي، وفيما يأتي بيان ذلك:

أ ـــ القيام بواجب النذارة:

---

[1] ـ الإحكام في أصول الأحكام للآمدي: 381/2.

[2] ـ شرح الكوكب المنير، لابن النجار: 222/3.

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتشمير عن ساق العزم، وتخويف أهل مكة، وتحذيرهم العذاب إن لم يسلموا، فقيل له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ ﴾ المدثر: ١ – ٢، وبهذا النداء حصل الإرسال كما حصل بقوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ العلق: ١: النبوة، ولا جرم أن هذا التكليف خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم، إذ هو المقصود بالنبوة والرسالة.[1]

ب ــ التكبير:

قال تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾ المدثر: ٣، ليس يقتصر التكبير هنا على تكبير الصلاة فقط، حتى وإن وردت الرواية بأن هناك من سأل النبي صلى الله عليه وسلم: كيف ندخل في الصلاة؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾، لأنه مع فرض صحة الرواية،[2] فقد جاء اللفظ عاما.. وبالتالي يدخل كل ما من شأنه أن يحقق معنى يمكن للجملة الإنشائية أن تستهدفه.

إن هذا الفهم يدفعنا إلى الاعتقاد بأن الخطاب ليس خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم، بل يشمل الأمة كذلك:

1 ــ فالمسلم مطالب بأن يكبر الله، وأن يقدسه ويترهه بخلع الأنداد والأصنام دونه، ولا يتخذ وليا غيره، ولا يعبد ولا يرى لغيره فعلا إلا له، ولا نعمة إلا منه.

2 ــ وقد صار هذا اللفظ بعرف الشرع في تكبير العبادات كلها، أذانا: فهو في أوله وفي آخره، وصلاة: فهو للانتقال فيها من فعل لآخر، وذكرا كذلك: فعن عمارة بن صياد عن سعيد بن المسيب رضي الله عنه، أنه سمعه يقول في الباقيات الصالحات، إنها قول العبد: الله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله.[3] وكأن المؤمن يكبر في هذه العبادات كلها مستحضرا أمر الله تعالى له: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ ﴾.

---

[1] ــ أنظر: تفسير القرطبي: 357/21. ابن كثير: 177/14.

[2] ــ أنظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي جلال الدين، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي: 64/15، مركز هجر للبحوث والدراسات –القاهرة- ط1، سنة 2003م، وقد نسبه لابن مردويه. المحرر الوجيز، مصدر سابق: 392/5.

[3] ــ الموطأ، كتاب القرآن، باب ما جاء في ذكر الله تبارك وتعالى، رقم: 492.

3 ــ وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الإطلاق في مواردها، منها قوله : (تحريمها التكبير وتحليلها التسليم)[1] ، والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه، ومن موارده كذلك أوقات الإهلال بالذبائح لله تخليصا له من الشرك، وإعلانا باسمه في النسك، وإفرادا لما شرع لأمره بالسفك.[2]

جـــ ــ تطهير الثياب:

اختلف العلماء في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ المدثر: ٤،على قولين اثنين:

أحدهما: القول بالمجاز، وفيه عدة اختيارات: الأول القلب، والثاني النفس، والثالث الجسم، والرابع الأهل، والخامس العمل،[3] وقد تشمل الآية جميع ذلك.[4]

والثاني: أنه أراد الثياب الملبوسة على الظاهر. والذي يقول بأنها الثياب المجازية أكثر، وليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز:[5]

أولا: طهارة القلب:

يقصد بطهارة القلب، العمل على إخلاصه لله، وتخليصه من كل الآفات التي تحول بينه وبين طاعة الله سبحانه وتعالى، فإنه ليست هنالك من قيمة في يوم الحساب إلا قيمة الإخلاص، إخلاص القلب كله لله، وتجرده من كل شائبة، ومن كل مرض، ومن كل غرض، وصفائه من الشهوات والانحرافات، وخلوه من التعلق بغير الله، فهذه سلامته التي تجعل له قيمة ووزنا: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ - ٨٩؛ ولا ينفع شيء من هذه القيم الزائلة الباطلة، التي يتكالب عليها المتكالبون في الأرض؛ وهي لا تزن شيئا في الميزان الأخير![6]

---

[1] ــ رواه الترمذي في سننه: 151/1، برقم: 238، وصححه الألباني محمد ناصر الدين في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: 9/2، المكتب الإسلامي –بيروت- ط2، سنة 1985م.

[2] ــ أنظر: أحكام القرآن لابن العربي: 339/4.

[3] ــ أنظر: تفسير القرطبي،: 359/21.

[4] ــ أنظر: تفسير ابن كثير: 177/14.

[5] ــ أنظر: أحكام القرآن لابن العربي: 340/4.

[6] ــ أنظر: في ظلال القرآن: 2604/19-2605.

ولصفاء القلب ونقائه أمارات تظهر على حال صاحبه، منها أنه إن لم يكن له بد من إغضاب الناس، أو إغضاب الله عز وجل، ولم يكن له مندوحة عن منافرة الخلق، أو منافرة الحق، فإنه يغضب الناس وينافرهم، ولا يغضب ربه، ولا ينافر الحق.

ومنها أنه إذا وعظ أهل الجهل والمعاصي والرذائل، فإنه يعظ ببشر وتبسم ولين وكأنه مشير برأي، ومخبر عن غير الموعوظ بما يستفتح من الموعوظ، ولا يعظ بالجفاء والاكفهرار والاستعلاء، فإن لم يتقبل منه فإنه ينتقل إلى الموعظة بالتحشيم وفي الخلاء، فإن لم يقبل منه ففي حضرة من يستحي منه الموعوظ، كل ذلك بدافع الحب الذي في قلبه لإخوانه، ومن أجل كسب قلب الموعوظ، وتأسيا بنبيه صلى الله عليه وسلم، فإنه كان صلى الله عليه وسلم لا يواجه بالموعظة، ولكن كان يقول: ما بال أقوام يفعلون كذا، وقد أثنى عليه الصلاة والسلام على الرفق، وأمر بالتيسير، ونهى عن التنفير، وكان يتخول بالموعظة خوف الملل، ممتثلا في كل ذلك، عظة الله تعالى له: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩. [1]

ومنها أنه يمقت الانتصار لنفسه على حساب الحق، فإذا ورد عليه خطاب بلسان، أو هجم على كلام في كتاب، فإنه لا يقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المغالبة، قبل أن يتبين بطلانه ببرهان قاطع، وأيضا فإنه لا يقبل عليه إقبال المصدق به، المستحسن إياه، قبل علمه بصحته ببرهان قاطع، فيظلم في كلا الوجهين نفسه، ويبعد عن إدراك الحقيقة.

ولكن يقبل عليه إقبال سالم القلب عن التراع عنه، والتروع إليه، إقبال من يريد حظ نفسه في فهم ما سمع ورأى، فالتزيد به علما، وقبوله إن كان حسنا، أو رده إن كان خطأ، وقد ضمن إن فعل ذلك الأجر الجزيل، والحمد الكثير، والفضل العميم.[2]

ومنها نبذه للمراء في الدين، والخصومات في المسائل، التي لا غاية منها سوى الظهور على الخصم، وبيان غزارة العلم والتفوق...

---

[1] ـ الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم أبو محمد علي الأندلسي الظاهري، باب الأخلاق والعادات: ص16، دار البعث –قسنطينة– ط1، 1982م.

[2] ـ المصدر نفسه، باب حضور مجالس العلم: ص26.

وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا، فظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك، وهذا جهل محض، وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر وعمر وعلي ومعاذ وابن مسعود وزيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين كيف كانوا، كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة، والصحابة أعلم منهم، وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين والتابعون أعلم منهم، فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق، ويميز به بينه وبين الباطل، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد.

لهذا أنكر أئمة السلف، الجدال والخصام والمراء في مسائل الحلال والحرام، لأنه لم يكن طريقة أئمة الإسلام: وإنما أحدث ذلك بعدهم، كما أحدثه فقهاء العراقين في مسائل الخلاف بين الشافعية والحنفية، وصنفوا كتب الخلاف ووسعوا البحث والجدال فيها، وكل ذلك محدث لا أصل له، وصار ذلك علمهم حتى شغلهم عن العلم النافع.

قال بعض السلف: إذا أراد الله بعبد شرا، أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل.

وقال مالك: أدركت أهل هذه البلدة – المدينة – وإنهم ليكرهون هذا الإكثار الذي فيه الناس اليوم – يريد المسائل –، وكان يعيب كثرة الكلام والفتيا، ويقول: المراء والجدال في العلم يذهبان بنور العلم، وكان يقول أيضا: المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغن.[1]

إن كثرة الجدال في مسائل العلم، لا يدل على سعة العلم، ودقة الفهم على الإطلاق.. ، وإنما يدل على أن حظ النفس يصول ويجول، وما سكت من سكت من سلف الأمة عن كثرة الخصام والجدال جهلا ولا عجزا، ولكن سكتوا عن علم وخشية لله.

ثانيا: طهارة النفس:

ومنه قول امرئ القيس:

أفاطم مَهلا بعض هَذا التَدَلُّل وَإن كُنت قَد أزْمَعْت هَجْري فأجْمِلي

وَإن تَكُ قَد ساءتك مني خَليقَةٌ فَسُلّي ثِيَابي مِن ثيابـــك تَنْسُـــــلِ[2]

---

[1] _ فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب الحنبلي، باب: معنى العلم، ص5، http://www.alwarraq.com.

[2] _ البيت لامرئ القيس، سبق تخريجه.

لذلك هناك من ذهب من العلماء، كابن عباس، إلى أن المقصود من قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾ المدثر: ٤، أي ونفسك طهرها من الرذائل:[1] كالطمع، والعجب، وغيرها.

فالطمع مثلا، أصل لكل ذل، ولكل هم، وهو سوء خلق ذميم، لأنه مركب من صفات أربع هي أصول الرذائل ومنبعها: الذل، والشح، والجور، والجهل.

فلولا الطمع ما ذل أحد لأحد، ولولاه ما أمسك امرؤ عن الإنفاق، وهو سبب انتشار المظالم، وتفشي الجور..، والطمع لا يكون إلا عن جهل بحقيقة الحرص وآفاته.

وضد الطمع؛ نزاهة النفس، وهذه صفة فاضلة مركبة من النجدة والجود والعدل والفهم، لأن نزيه النفس علم أن الطمع مهلك فتركه، وكانت فيه نجدة أنتجت له عزة نفسه فتنزه، وكانت فيه طبيعة سخاوة نفس فلم يهتم لما فاته، وكانت فيه طبيعة عدل حببت إليه القناعة وقلة الطمع.[2]

وأما العجب فهو أصل يتفرع عنه التيه والزهور والكبر والنخوة والتعالي، فمن معجب بعلمه فيكفهر ويتعالى على الناس، ومن معجب بعمله فيرتفع، ومن معجب برأيه فيزهو على غيره، ومن معجب بنسبه فيتيه، ومن معجب بجاهه وعلو حاله فيتكبر ويتنخى، ويدفعه ذلك إلى الاستخفاف بالناس، واحتقارهم بالكلام وفي المعاملة، حتى إذا زاد عجبه بنفسه، وضعف تمييزه وعقله، ترقى إلى الاستطالة على الناس بالأذى بالأيدي، والتحكم والظلم والطغيان، واقتضاء الطاعة لنفسه، والخضوع لها إن أمكنه ذلك، فإن لم يقدر على ذلك امتدح نفسه بلسانه، واقتصر على ذم الناس والاستهزاء بهم.[3]

ثالثا: طهارة الجسم:

ومما جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب قول ليلى، وذكرت إبلا:

رَمَوْهَا بِأَثْيَابٍ خِفَافٍ فَلاَ تَرَى لَهَا شَبَهًا إِلاَّ النَّعَامَ المَنَفَّرَا [4]

---

[1] _ أنظر: تفسير القرطبي: 360/21

[2] _ أنظر: الأخلاق والسير ، باب المحبة وأنواعها: ص13.

[3] _ المصدر نفسه، باب أدواء الأخلاق الفاسدة ومداواتها: ص20.

[4] _ البيت لليلى الأخيلية، وهي تصف إبلا، أنظر: لسان العرب، لابن منظور: 243/1.

أي: ركبوها فرموها بأنفسهم.[1]

ومن اختار هذا القول، أراد أن يكون تأويل الآية: وبدنك فطهره من النجاسات، والمعاصي الظاهرة.

فالإنسان لم يخلق للأرض وإن خلق منها، وإنما خلق للسماء وللملإ الأعلى، وآخر كلمة قالها النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم الرفيق الأعلى)[2]، و إنما ينتهي إلى هذا، بصفاء روحه و استنارة عقله ، وما البدن الترابي إلا آلة لهما لاستكمال قوتهما ، و مظهر لتلك الاستنارة و ذلك الصفاء .

فمن العدل الواجب على الإنسان أن يعطي البدن حقه من الاعتناء ، وكما يغذي روحه بما ينير عقلها من العلوم و المعارف ، وما يزكيها من الأخلاق والآداب، وما يقويها من صالح العمل؛ كذلك عليه أن يعتني بجسمه كامل الاعتناء،[3] فيغذيه بما ينميه وما يصلحه وما يقويه من الطاهر الطيب، ويحفظه من كل ما يفسده أو ينهكه أو يؤذيه من الأوساخ والنجاسات، والقرآن الكريم قد ذكر في آيات كثيرة تلك المصلحات وحث عليها، وذكر المفسدات وحذر منها، وفي ما يلي بعض ذلك:

ـــ أناط الشرع الحكيم الكثير من العبادات بتطهير البدن وتنظيفه، بل إن الطهارة نفسها هي في نظر الشرع عبادة يثاب المسلم عليها، قال تعالى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ ﴾ الأنفال: ١١، وقال تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢، وقال تعالى: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ التوبة: ١٠٨، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ

---

[1] ـ أنظر: تفسير القرطبي: 361/21.

[2] ـ الموطأ، كتاب الجنائز، باب جامع الجنائز، رقم: 565. البخاري، كتاب المغازي، باب آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وسلم، رقم4463. مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة رضي الله عنها، رقم:87.

[3] ـ أنظر: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس عبد الحميد، ص141، دار البعث –قسنطينة- ط1، سنة 1983م.

مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ المائدة: ٦، وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الواقعة: ٧٧ - ٧٩، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ ﴾ النساء: ٤٣.

ـــ حرم الله تعالى على المسلم كل ما من شأنه أن يلحق الأذى ببدنه، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ ﴾ المائدة: ٣.

ـــ أمر الله تعالى المسلم أن يأكل من حلال ما كسبت يداه، ليصون بدنه، ويتقوى على عمل الصالحات، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ البقرة: ١٧٢.

رابعا: طهارة الأهل:

ومن ذهب إلى القول بأن المقصود بالثياب هم الأهل، قال: تأويل الآية وأهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب، والعرب تسمى الأهل ثوبا ولباسا وإزارا، قال الله تعالى: ﴿ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ ﴾ البقرة: ١٨٧.

والشرع الحنيف قد خصص مساحة هامة تتحدث عن رعاية الأهل وحفظ حقوقهم، مما يوحي بعظم هذه المسؤولية، وثقلها على كاهل المكلف:

فعن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال: حدثني أبي أنه شهد حجة الوداع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فذكر في الحديث قصة فقال ألا واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم، أي أسيرات[1].

وقال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ النساء: ١٩، أي: طيبوا أقوالكم لهن، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي

[1] ـــ رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها: 315/2، برقم: 1173، وقال حديث حسن صحيح.

﴿ عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨، وعن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)،[1] وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطف بهم، ويوسعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودد إليها بذلك، ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان ، ثم تنصرف كل واحدة إلى مترلها .

وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل مترله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم خلقا).[2]

كما أن المسلم مأمور بأن يأمر أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته، بطاعة الله تعالى ونهيهم عن شرع الله، وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب المنهي عنه:

قال الله تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ طه: ١٣٢، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ التحريم: ٦، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (كلكم راع ومسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل في أهله راع وهو مسئول عن رعيته..).[3]

---

[1] ـ الترمذي، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم: 369/5، برقم: 3985، وقال حديث حسن صحيح.

[2] ـ الترمذي، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها: 315/2، برقم: 1172، وقال حديث حسن صحيح.

[3] ـ البخاري، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب العبد راع في مال سيده، ولا يعمل إلا بإذنه ، رقم:2409

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كخ كخ ليطرحها ثم قال أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة)،[1] وقوله: كخ كخ، يقال : بإسكان الخاء، ويقال: بكسرها مع التنوين، وهي كلمة زجر للصبي عن المستقذرات، وكان الحسن رضي الله عنه صبيا.[2]

وعن أبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: كنت غلاما في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)، فما زالت تلك طعمتي بعد.[3] ومعنى تطيش، أي: تدور في نواحي الصحفة.[4]

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع).[5]

خامسا: طهارة العمل:

ومن ذهب إلى أن المقصود بالثياب هاهنا العمل قال: تأويل الآية وعملك فأصلح، كما قاله مجاهد وابن زيد.

وروى منصور عن أبي رزين قال: يقول وعملك فأصلح، قال: وإذا كان الرجل خبيث العمل، قالوا إن فلانا خبيث الثياب، وإذا كان حسن العمل، قالوا إن فلانا طاهر الثياب.

---

[1] ـ البخاري،كتاب الزكاة، باب يذكر في الصدقة للنبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 1491. ومسلم كتاب الزكاة، باب تحريم الزكاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله، رقم: 1069.

[2] ـ رياض الصالحين، النووي أبو زكريا يحي بن شرف، ت: جماعة من العلماء، ص303، المكتب الإسلامي –بيروت- ط1، سنة 1996م.

[3] ـ متفق عليه: البخاري، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، رقم: 5376. ومسلم، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، رقم: 2022.

[4] ـ رياض الصالحين: ص166.

[5] ـ أبو داود، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة: 133/1، برقم: 495، وحسنه الألباني في المشكاة: مشكاة المصابيح، التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب، ت: الألباني محمد ناصر الدين، ج1، ص126، رقم: 572، المكتب الإسلامي –بيروت- ط3، سنة 1985م.

وقد روي نحوه عن السدي.[1]

وصلاح العمل يكون بأمرين اثنين: أن يكون خالصا لله تعالى، وأن يكون موافقا للشريعة، فإذا انخرم أحد الشرطين، كان العمل فاسدا غير صالح:

أ ــ إخلاص العمل لله تعالى:

إنه متى اختل ميزان الإخلاص والتجرد في النفس اختلت سائر الموازين والقيم، والذين لا يخلصون سريرتهم لله، يتعذر أن يشعروا بفساد أعمالهم، لأن ميزان الخير والشر والصلاح والفساد في نفوسهم يتأرجح مع الأهواء الذاتية، ولا يثوب إلى قاعدة ربانية.

لذلك توالت النصوص الشرعية للتذكير بهذه القيمة في كل مرة، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٥، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٦٢ ﴾ الأنعام: ١٦٢، وقال تعالى: ﴿ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١ ﴾ الحج: ٣١، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٨ ﴾ القصص: ٨٨، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ الزمر: ٢ – ٣، وقال تعالى أيضا: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ۝١١ ﴾ الزمر: ١١.

فالإخلاص إذن شرط عام في قبول جميع أنواع الطاعات، وإذا كان العمل غير مخلص لله؛ فإنه لا يقبل، وبالتالي لا يؤثر في أي أثر، ولا يكفر أي ذنب، ولا يوجب أي ثواب، لذا قدم الإخلاص على النبوة والرسالة في قوله تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ ﴾ مريم: ٥١، وليس ذلك إلا لشرفه وفضله.

وحقيقة الإخلاص: تصفية العمل عن ملاحظة الخلق، وتحديد الإرادة بالعمل لله وحده دون شيء آخر سواه، وبهذا المعنى وحده تتحقق نجاة الإنسان من سوء الذنوب، وسوء الدنيا بوجه عام، كما قال

[1] ــ تفسير القرطبي: 359/21.

تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوسف: ٢٤، فالإخلاص كما هو واضح، كان سببا في صرف السوء والفحشاء عن سيدنا يوسف عليه السلام.[1]

ب ــ موافقة العمل للشريعة:

لقوله صلى الله عليه وسلم: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)،[2] فقد قال أهل العربية: (الرد) هنا بمعنى المردود، ومعناه: فهو باطل غير معتد به، وكونه ردا أبلغ من كونه باطلا؛ إذ الباطل قد يقال لما لا تقع فيه منفعة أو لما منفعته قليلة جدا، وقد يقال لما ينتفع به ثم يبطل نفعه، وأما المردود فهو الذي لم يجعله شيئا و لم يترتب عليه مقصوده أصلا.

وهذا الحديث صريح في رد كل البدع والمخترعات، و ما ليس موافقا لما جاء به أبو القاسم صلى الله عليه وسلم حتى وإن استحضر الإخلاص، سواء أحدثها فاعلها أو سبق إليها، لما جاء في الرواية الثانية: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)،[3] فإنه قد يحتج به بعض المعاندين، إذا فعل البدعة فيقول: ما أحدثت شيئا؛ وإنما عملت ما سبقت إليه، فيحتج عليه بهذه الرواية، لذلك ينبغي العناية بحفظ هذا الحديث، وإشاعة الاستدلال به، واستعماله في إحداث المنكرات.[4]

فأما تفريع الأصول التي لا تخرج عن السنة، فلا يتناولها هذا الرد؛ ككتابة القرآن العزيز في المصاحف، وكالمذاهب التي هي عن حسن نظر الفقهاء المجتهدين الذين يردون الفروع إلى الأصول، والتي هي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكالكتب الموضوعة في النحو، والحساب، والفرائض، وغير ذلك من العلوم، مما مرجعه ومبناه على أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوامره، فإن ذلك لا يدخل في هذا الحديث.[5]

---

[1] ــ أنظر: مكفرات الذنوب وموجبات الجنة، الشيباني ابن الديبع، هذبه وزاد عليه عبد القادر أحمد عطا، باب احذر نفسك أن تحبط عملك، ص15، دار بوسلامة –تونس– ط1، سنة 1983م.

[2] ــ متفق عليه: البخاري، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، رقم: 2697. مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم: 1718.

[3] ــ مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم: 1718.

[4] ــ أنظر: شرح النووي على مسلم، النووي أبو زكريا يحي بن شرف، ج12، ص14، مكتبة الصفا –القاهرة– ط1، سنة 2003م.

[5] ــ أنظر: شرح الأربعين النووية، العيد بن دقيق، ص78، دار ابن حزم –بيروت– ط1، سنة 2001م.

سادسا: طهارة الثياب الملبوسة على الظاهر:

وأما من حمل لفظ الثياب في الآية على الظاهر، فإنه قال أن المعنى: وثيابك فطهرها من النجاسات، وإذا حملت على الثياب المعلومة الظاهرة فهي تتناول معنيين:

أحدهما: تقصير الأذيال، فإنها إذا أرسلت تدنست.

والمعنى الثاني: غسلها من النجاسة؛ وهو ظاهر منها صحيح فيها[1]، فيسن المبادرة لإزالتها ولا يجب ذلك عند عدم قصد عبادة يشترط لها طهارة الثوب من النجاسة، وأما عند إرادة الصلاة أو غيرها فقد اختلفت الطرق في نقل المذهب في حكم إزالة النجاسة عن الثوب، فذكر ابن عرفة في ذلك أربع طرق:[2]

الأولى: لابن القصار، ولابن أبي زيد في الرسالة، وللقاضي عبد الوهاب في التلقين أنها واجبة بلا خلاف، وما وقع في المذهب من الخلاف في إعادة المصلي بها، فعلى الخلاف في شرطيتها، وبه قال الشافعي.[3]

وقد تبع ابن عرفة ابن الحاجب في عزو الطريق الأولى للرسالة، وليس كذلك؛ لأنه ذكر فيها قولين بالوجوب والسنية، فقال: وطهارة البقعة للصلاة واجبة، وكذلك طهارة الثوب فقيل: إن ذلك فيهما واجب وجوب الفرائض، وقيل: وجوب السنن المؤكدة.

الثانية: للجلاب والقاضي عبد الوهاب في شرح الرسالة والبيان والأجوبة أنها سنة بلا خلاف، والخلاف في الإعادة مبني على الخلاف في الإعادة لترك السنن عمدا.

الثالثة: للمعونة، وفيها روايتان بالوجوب والسنية.

الرابعة: للخمي فيها ثلاثة أقوال الوجوب، والسنية، والثالث: الوجوب مع الذكر والقدرة، وهو المشهور، وقد زاد ابن رشد قولا آخر هو الاستحباب، وبه قال أبو حنيفة.[4]

واقتصر خليل بن اسحق في مختصره على القولين المشهرين في المذهب، وهما السنية، والوجوب مع الذكر والقدرة، فقال: هل إزالة النجاسة عن ثوب مصل، ولو طرف عمامته وبدنه ومكانه، لا طرف

---

[1] _ أنظر: أحكام القرآن لابن العربي: 341/4.

[2] _ أنظر: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: 133/1.

[3] _ أنظر: المجموع للنووي: 234/1.

[4] _ أنظر: مواهب الجليل: 133/1.

حصيره، سنة أو واجبة إن ذكر وقدر وإلا أعاد الظهرين للاصفرار؟ خلاف.[1]

د ــ هجران الرجز:

قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ ﴾ المدثر: ٥، الرجز هو الأصنام، وكذا قال مجاهد، وعكرمة، وقتادة، والزهري، وابن زيد: أنها الأوثان.[2]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا: والمأثم فاهجر، أي: فاترك، وكذا روى المغيرة عن ابراهيم النخعي، وقيل الرجز: العذاب، على تقدير حذف المضاف، والمعنى: العمل المؤدي إلى العذاب، وأصل الرجز العذاب، قال تعالى: ﴿ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ۝٥٩ ﴾ البقرة: ٥٩، وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ۝١٣٤ ﴾ الأعراف: ١٣٤، فسميت الأوثان رجزا لأنها تؤدي إلى العذاب.[3]

وعلى كل تقدير، فلا يلزم تلبسه صلى الله عليه وسلم بشيء من ذلك، وهو كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١ ﴾ الأحزاب: ١، غير أن أمته صلى الله عليه وسلم مطالبة بهجر كل ذلك، والهجر: ترك المخالطة وعدم الاقتراب من الشيء، والهجر هنا كناية عن ترك التلبس بالأحوال الخاصة بأنواع الرجز لكل نوع بما يناسبه في عرف الناس.[4]

هــ – ولا تمنن تستكثر:

هذا نهي خص به النبي صلى الله عليه وسلم.[5]

---

[1] ــ مختصر خليل، المالكي خليل بن اسحق: ص11، دار الفكر –بيروت- ط1، سنة 1999م.

[2] ــ تفسير ابن كثير: 178/14.

[3] ــ تفسير القرطبي: 356/21، الكشاف: 235/6.

[4] ــ التحرير والتنوير: 298/29.

[5] ــ تفسير ابن كثير: 32/11.

والمن أصله الإنعام والفضل، يقال من عليه منا، ثم أطلق على عد الإنعام على المنعم عليه، وهو إذا ذكر بعد الصدقة والعطاء تعين للمعنى الثاني.[1]

ومعنى الآية كما قاله ابن عباس: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها، وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وابراهيم النخعي والضحاك وقتادة والسدي، وغيرهم وهو الذي استظهره ابن كثير.[2]

وهذا النهي الوارد في الآية، يقتضي الأمر بالصدقة والإكثار منها بطريق الكناية، فكأنه قال: وتصدق وأكثر من الصدقة ولا تمنن، أي لا تعد ما أعطيته كثيرا فتمسك عن الازدياد فيه، أو تتطرق إليك ندامة على ما أعطيت.

والسين والتاء في قوله : ﴿ تَسْتَكْثِرُ ﴾ للعد، أي بعد ما أعطيته كثيرا، وهذا من بديع التأكيد لحصول المأمور به جعلت الصدقة كالحاصلة، أي لأنها من خلقه صلى الله عليه وسلم إذ كان أجود الناس، وقد عرف بذلك من قبل رسالته لأن الله هيأه لمكارم الأخلاق، فقد قالت له خديجة في حديث بدء الوحي: (إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم).[3]

ففي هذه الآية إيماء إلى التصدق، وهذا النهي يفيد تعميم كل استكثار كيفما كان ما يعطيه من الكثرة، وللأسبقين من المفسرين تفسيرات لمعنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ المدثر: ٦، ليس شيء منها بمناسب، وقد أنهاها القرطبي إلى أحد عشر.[4]

و – ولربك فاصبر:

الصبر: ثبات النفس وتحملها المشاق والآلام ونحوها، ومصدر الصبر وما يشتق منه يتضمن معنى التحمل للشيء الشاق.

---

[1] _ التحرير والتنوير: 42/3.

[2] _ ابن كثير: 178/14.

[3] _ متفق عليه: البخاري، رقم: 3. مسلم، رقم: 160، سبق تخريجه.

[4] _ التحرير والتنوير: 299/29.

ويعدى فعل الصبر إلى اسم الذي يتحمله الصابر بحرف (على)، يقال : صبر على الأذى، ويتضمن معنى الخضوع للشيء الشاق فيعدى إلى اسم ما يتحمله الصابر باللام، ومناسبة المقام ترجح إحدى التعديتين، فلا يقال : اصبر على الله، ويقال : اصبر على حكم الله، أو لحكم الله.[1]

ومعنى الآية: لسيدك ومالكك فاصبر على أداء فرائضه وعبادته، وقال مجاهد: على ما أوذيت، وقال ابن زيد: حملت أمرا عظيما، محاربة العرب والعجم، فاصبر عليه لله، وقيل: فاصبر تحت موارد القضاء لأجل الله تعالى، وقيل: فاصبر على البلوى، لأنه يمتحن أولياءه وأصفياءه، وقيل: على أوامره ونواهيه، وقيل: على فراق الأهل والأوطان.[2]

والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل، وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه،[3] ويراد كذلك تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم على تحمل ما يلقاه من أذى المشركين وعلى مشاق الدعوة؛ لأنه أحد ما يتناوله العام.

فهذه إذن ست وصايا، أوصى الله بها رسوله صلى الله عليه وسلم في مبدإ رسالته وهي من جوامع القرآن، أراد الله بها تزكية رسوله صلى الله عليه وسلم وجعلها قدوة لأمته.[4]

المطلب الثالث: الأحكام المستفادة مما وراء ندائه عليه السلام بالمزّمل:

أ – قيام الليل:

حد الليل: من غروب الشمس إلى طلوع الفجر،[5] وقيام الليل: لقب في اصطلاح القرآن والسنة للصلاة فيه ما عدا صلاتي المغرب والعشاء ورواتبهما.[6]

---

[1] _ التحرير والتنوير: 299/29.

[2] _ تفسير القرطبي: 369/21، ابن كثير: 178/14، الطبري: 417/23 وما بعدها.

[3] _ الكشاف:254/6.

[4] _ المصدر نفسه: 300/29.

[5] _ القرطبي: 317/21.

[6] _ التحرير والتنوير: 258/19.

ومعنى قوله تعالى: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤ ﴾ المزمل: ٢ – ٤ ، أي: أمرناك يا محمد صلى الله عليه وسلم أن تقوم نصف الليل، أو بزيادة قليلة، أو نقصان قليل، لا حرج عليك في ذلك،[1] فخيره الله تعالى بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، يقومون الليل نحو قيامهم شهر رمضان حتى خفف ذلك عنهم، قاله: عائشة، وابن عباس، وقتادة، وأبو عبد الرحمان السلمي، والحسن، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.[2]

واختلف العلماء حول حكم قيامه صلى الله عليه وسلم: هل كان فرضا وحتما، أو كان ندبا وحضا؟، والدلائل تقوي أن قيامه كان حتما وفرضا، وذلك أن الندب والحض لا يقع على بعض الليل دون بعض، لأن قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون وقت، وأيضا فقد جاء التوقيت بذلك عن عائشة وغيرها على ما يأتي.

واختلف أيضا: هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده، أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء، أو عليه وعلى أمته؟، ثلاثة أقوال:[3]

الأول: قول سعيد بن جبير، لتوجه الخطاب إليه خاصة.

الثاني: قول ابن عباس، قال: كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الأنبياء قبله.

الثالث: قول عائشة وابن عباس أيضا، أنه كان فرضا عليه وعلى أمته، وهو الصحيح، لما رواه مسلم من حديث سعيد بن هشام بن عامر رضي الله عنه أنه أراد أن يغزو في سبيل الله...الحديث، وفيه: فقلت لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، فقالت: ألست تقرأ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ ﴾ قلت: بلى!، قالت: فإن الله عز وجل افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام صلى الله عليه وسلم

---

[1] _ ابن كثير: 161/14.

[2] _ الطبري: 358/23 وما بعدها

[3] _ تفسير القرطبي: 317/21.

وأصحابه حولاً، وأمسك الله عز وجل خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء، حتى أنزل الله عز وجل في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوّعا بعد فريضة.[1]

وظاهر الحديث أن آخر سورة المزّمل: قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ المزمل: ٢٠ الآية، ناسخ لأولها، وهو مذهب أكثر المفسرين، وقول عائشة وابن عباس،[2] وقال أبو عبد الرحمن السلمي: لما نزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾، قاموا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم، ثم نزل قوله تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ المزمل: ٢٠،[3]وظاهر الحديث أيضا يوحي بأن فرض قيام الليل نسخ عنه صلى الله عليه وسلم، كما نسخ عن أمته، غير أن عامة الفقهاء يجعلون فرضية قيام الليل عليه صلى الله عليه وسلم من خصائصه، وأنه كان مفروضا عليه ذلك إلى أن قبضه الله تعالى.[4]

وقد صح عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل أنه لم يتجاوز إحدى عشرة ركعة فقط، ولكنه كان يقضي في هذه الركعات ثلثي الليل إلا قليلا، يرتل فيه القرآن ترتيلا.[5]

---

[1] ـ سبق تخريجه، مسلم، رقم: 746.

[2] ـ الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد، ت: سليمان بن إبراهيم اللاحم: 128/3، مؤسسة الرسالة –بيروت– ط1، سنة 1991م. تفسير القرطبي: 317/21.

[3] ـ الطبري: 362/23.

[4] ـ مختصر خليل، فصل خصائص النبي صلى الله عليه وسلم: ص108، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: 394/3، المجموع شرح المذهب للنووي: 142/16.

[5] ـ في ظلال القرآن: 3744/6.

ب – و رتل القرآن ترتيلا:

معناه: وبين القرآن إذا قرأته تبيينا، وترسل فيه ترسيلا، قاله: ابن عباس والحسن وعطاء مجاهد وقتادة،[1] و قال الضحاك: اقرأه حرفا حرفا،[2] وقال سعيد بن جبير: معناه فسره تفسيرا، يريد تفسير القراءة، حتى لا يسرع فيه فيمتزج بعضه ببعض.[3]

والترتيل هو التنضيد والتنسيق وحسن النظام، ومنه ثغر رتِل ورتْل – بكسر العين وفتحها – إذا كان حسن التنضيد، والترتيل في القراءة هو التأني فيها والتمهل وتبيين الحروف والحركات تشبيها بالثغر المرتل... وهو المطلوب في قراءة القرآن.[4]

وقد أمر الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ القرآن على تمهل، لأنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره.. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه،[5]قالت حفصة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها،[6]وعن قتادة رضي الله عنه قال: سئل أنس رضي الله عنه: كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: كانت مدا، ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١﴾ الفاتحة: ١، يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم،[7] ونعتت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قراءته، فإذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا.[8]

وليس هذا الأمر – في الحقيقة – خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم، بل يعم الأمة كذلك؛ فلا بد على القارئ أن يتلو القرآن حق تلاوته، صيانة له عن أن يجد اللحن والتغيير إليه سبيلا، على أن العلماء

---

[1] ـ أنظر: تفسير الطبري: 362/23 وما بعدها.

[2] ـ أنظر: تفسير القرطبي: 321/21.

[3] ـ أنظر: أحكام القرآن لابن العربي: 327/4.

[4] ـ أنظر: القرطبي: 323/21.

[5] ـ أنظر: ابن كثير: 161/14.

[6] ـ الموطأ، كتاب صلاة الجماعة، باب ما جاء في صلاة القاعد في النافلة، رقم: 308. مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جواز النافلة قائما وقاعدا، رقم: 733.

[7] ـ البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، رقم: 5046.

[8] ـ رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 3091، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في سننه، باب تزيين القرآن بالصوت، رقم: 1024. وقال الألباني في المشكاة: صحيح، باب صلاة الليل، 268/1.

قد اختلفوا في وجوب حسن الأداء في القرآن؛ فبعضهم ذهب إلى أن ذلك مقصور على ما يلزم المكلف قراءته في المفترضات، فإن تجويد اللفظ وتقويم الحروف وحسن الداء، واجب فيه فحسب.

وذهب الآخرون إلى أن ذلك واجب على كل من قرأ شيئا من القرآن كيفما كان، لا رخصة في تغيير اللفظ بالقرآن، وتعويجه واتخاذ اللحن سبيلا إليه، إلا عند الضرورة، قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر: ٢٨، والمذهب الثاني هو الصحيح.[1]

جـ – القرآن هو القول الثقيل:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ المزمل: ٥، أي: العمل به، قاله الحسن، وقال: إن الرجل لَيَهُذُّ السورة، ولكن العمل به ثقيل، وقال قتادة: ثقيل والله فرائضه وحدوده.

وقال ابن زيد: هو والله ثقيل مبارك، القرآن،كما ثقل في الدنيا ثقل في الموازين يوم القيامة.[2]

وقال آخرون: ثقيل وقت نزوله من عظمته،[3]كما قال زيد بن ثابت: أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي.[3]

واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معا، فقال: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به؛ ثقيل محمله، ثقيل العمل بحدوده وفرائضه.[4]

وعلى كل حال، فالقرآن في مبناه ليس ثقيلا، فهو ميسر للذكر: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧، ولكنه ثقيل وقت نزوله، وثقيل في ميزان الحق، وثقيل في أثره في القلب: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١، فأنزله الله على قلب أثبت من الجبل لكي يتلقاه..

وإن تلقي هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

---

[1] ـ أنظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد: 211/1-212، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع (دت).

[2] ـ أنظر: تفسير الطبري: 365/23.

[3] ـ أنظر: تفسير ابن كثير: 162/14.

[3] ـ البخاري، كتاب الصلاة، باب ما يذكر في الفخذ، رقم: ما بعد 370.

[4] ـ أنظر: تفسير الطبري: 366/23.

وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الاتصال بالملأ الأعلى وبروح الوجود وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذي تهيأ لرسول الله صلى الله عليه وسلم لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

وإن الاستقامة على هذا الأمر بلا تردد ولا ارتياب، ولا تلفت هنا أو هناك وراء الهواتف والجواذب والمعوقات، لثقيل، يحتاج إلى استعداد طويل.

غير أن قيام الليل والناس نيام، والانقطاع عن غبش الحياة اليومية وسفسافها؛ والاتصال بالله، وتلقي فيضه ونوره، والأنس بالوحدة معه والخلوة إليه، وترتيل القرآن والكون ساكن... إن هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل، والعبء الباهظ والجهد المرير الذي ينتظر الرسول وينتظر من يدعو بهذه الدعوة في كل جيل! وينير القلب في الطريق الشاق الطويل، ويعصمه من وسوسة الشيطان، ومن التيه في الظلمات الحافة بهذا الطريق المنير.[1]

د – إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا:

يعني: إن ساعات الليل، وكل ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل، واختلف أهل التأويل في ذلك:

فعن حاتم بن أبي صغيرة قال: قلت لعبد الله بن أبي مليكة: ألا تحدثني أي الليل ناشئة؟، قال: على الثبت سقطت، سألت عنها ابن عباس، فزعم أن الليل كله ناشئة، وسألت عنها ابن الزبير، فأخبرني بذلك، وكذا قال مجاهد، وأبي ميسرة، وابن أبي نجيح، وعكرمة، والضحاك، وغير واحد، وعن ابن عباس قال: بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ.[2]

وقال قوم: بل ذلك ما كان بعد العشاء، فأما ما كان قبل العشاء فليس بناشئة، قاله: أبو مجلز، وأبو الرجاء، وقتادة، وسالم، وأبو حازم، ومحمد بن المنكدر.[3]

وذهب الزمخشري مذهبا آخر، فقال: ﴿ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ ﴾ ، هي النفس الناشئة بالليل، التي تنشأ من مضجعها إلى العبادة، أي: تنهض وترتفع، من نشأت السحابة: إذا ارتفعت، ونشأ من مكانه ونشز: إذا

---

[1] _ أنظر: في ظلال القرآن: 3745/6.

[2] _ أنظر: تفسير الطبري: 366/23 وما بعدها.

[3] _ أنظر: تفسير ابن كثير: 163/14.

نهض.[1]

غير أن سياق الآية لا يدل على هذا الاختيار، إذ أن السياق يتحدث عن زمن يكون فيه العمل أشد ثباتا، و يكون فيه القول الذي هو تلاوة القرآن، أكثر تهيئة لتدبره وفهمه.

والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على تلاوة القرآن الكريم؛ ولهذا قال: ﴿ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ المزمل: ٦، أي: أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش.

وإن مغالبة هتاف النوم وجاذبية الفراش للقيام لله تعالى، والاشتغال بذكره، بعد كد نهار، لأجهد للبدن، وأجهد للنفس على حد السواء؛ ولكنها إعلان لسيطرة الروح، واستجابة لدعوة الله، وإيثار للأنس به، ومن ثم فإنها أقوم قيلا، لأن للذكر فيها حلاوته وللصلاة فيها خشوعها، وللمناجاة فيها شفافيتها، وإنها لتسكب في القلب أنسا وراحة، وشفافية ونورا، قد لا يجدها في صلاة النهار وذكره. والله الذي خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره، ويعلم ما يتسرب إليه وما يوقع عليه، وأي الأوقات يكون فيها أكثر تفتحا واستعدادا وتهيؤا، وأي الأسباب أعلق به وأشد تأثيرا فيه.

والله سبحانه وهو يعد عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ليتلقى القول الثقيل، وينهض بالعبء الجسيم، اختار له قيام الليل، لأن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا، ولأن له في النهار مشاغله ونشاطه الذي يستغرق كثيرا من الطاقة والالتفات:[2]

هـ – إن لك في النهار سبحا طويلا:

قال ابن عباس، وعكرمة، وعطاء بن أبي مسلم: يعني فراغا طويلا لنومك وراحتك، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك، وقال الزجاج: إن فاتك في الليل شئ فلك في النهار فراغ الاستدراك، كذا قال: أبو العالية، ومجاهد، وابن مالك، والضحاك، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وسفيان الثوري. وقال

[1] _ أنظر: الكشاف: 243/6.

[2] _ أنظر: في ظلال القرآن: 3746/6.

السدي: تطوعا كثيرا.[1]

والذي يبدو أن هذه الجملة وقعت موقع العلة لشيء مما في جملة السابقة لها: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ﴿٦﴾ ﴾ ، وذلك دائر: بين أن يكون تعليلا لاختيار الليل لفرض القيام عليه فيه، فيفيد تأكيدا للمحافظة على قيام الليل، لأن النهار لا يغني غناءه فيتحصل من المعنى: قم الليل لأن قيامه أشد وقعا وأرسخ قولا، لأن النهار زمن فيه شغل عظيم لا يترك لك خلوة بنفسك، وشغل النبي صلى الله عليه وسلم في النهار بالدعوة إلى الله وإبلاغ القرآن وتعليم الدين ومحاجة المشركين وافتقاد المؤمنين المستضعفين، فعبر عن جميع ذلك بالسبح الطويل.

وبين أن يكون تلطفا واعتذارا عن تكليفه بقيام الليل، وفيه إرشاد إلى أن النهار ظرف واسع لإيقاع ما عسى أن يكلفه قيام الليل من فتور بالنهار لينام بعض النهار وليقوم بمهامه فيه.

ويجوز أن يكون تعليلا لما تضمنه: ﴿ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ ﴾، أي: إن نقصت من نصف الليل شيئا، لا يفتك ثواب عمله، فإن لك في النهار متسعا للقيام والتلاوة، مثل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾ ﴾ الفرقان: ٦٢.

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي في النهار من أول البعثة قبل فرض الصلوات الخمس كما دل عليه قوله تعالى: ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾ العلق: ٩ – ١٠.

ويظهر أن يكون كل هذا مقصودا، لأنه مما تسمح به دلالة كلمة: ﴿ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ﴿٧﴾ ﴾ ، وهي من بليغ الإيجاز.[2]

و – واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا:

التبتل: هو الانقطاع إلى عبادة الله عز وجل، يقال: بتلت الشيء أي: قطعته، ومنه قولهم: طلقها بتة بتلة، وهذه صدقة بتة بتلة أي: بائنة منقطعة عن صاحبها، أي: قطع ملكه عنها بالكلية، ومنه كذلك

[1] _ أنظر: تفسير ابن كثير: 164/14.

[2] _ أنظر: التحرير والتنوير: 264/29.

مريم البتول، لانقطاعها إلى الله تعالى.[1]

غير أنه يَرِدُ عليه ورود النهي عن التبتّل في السنة المطهرة، فكيف يؤمر به النبي صلى الله عليه وسلم، وقد نهى هو عنه الناس؟

يقول ابن العربي: " إن المراد، انقطع عن الأوثان والأصنام وعن عبادة غير الله، وكذلك قال مجاهد معناه: أخلص له العبادة، ولم يقصد التبتل المنهي عنه، وبالتالي فالتبتل المأمور به في القرآن، غير التبتل المنهي عنه في السنة، لأن متعلق الأمر غير متعلق النهي، فلا يتناقضان، وإنما بعث ليبين للناس ما نزل إليهم، فالتبتل المأمور به: الانقطاع إلى الله بإخلاص العبادة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ البينة: ٥." [2]

ومعنى الآية: أكثر من ذكر ربك، وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك، وما تحتاج إليه من أمور دنياك، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ۝٨ ﴾ الشرح: ٧ – ٨، أي: إذا فرغت من مهامك، فانصب في طاعته وعبادته، لتكون فارغ البال.[3]

قال سيد قطب: " وذكر اسم الله، ليس هو مجرد ترديد هذا الاسم الكريم باللسان، على عدة المسبحة المئوية أو الألفية! إنما هو ذكر القلب الحاضر مع اللسان الذاكر؛ أو هو الصلاة ذاتها وقراءة القرآن فيها. والتبتل هو الانقطاع الكلي عما عدا الله، والاتجاه الكلي إليه بالعبادة والذكر، والخلوص من كل شاغل ومن كل خاطر، والحضور مع الله بكامل الحس والمشاعر.

ولما ذكر التبتل وهو الانقطاع عما عدا الله، ذكر بعده ما يفيد أنه ليس هناك إلا الله، يتجه إليه من يريد النجاة." [4]

---

[1] ـ أنظر: القرطبي: 333/21.

[2] ـ أحكام القرآن، لابن العربي: 332/4.

[3] ـ أنظر: ابن كثير: 167/14.

[4] ـ في ظلال القرآن: 3746/6.

ز – رب المشرق والمغرب، لا إله إلا هو، فاتخذه وكيلا:

الوكيل: هو الذي يوكل إليه الأمور، أي يفوض إلى تصرفه،[1] ورب المشرق والمغرب أي: هو رب جميع العالم، المالك المتصرف في المشارق والمغارب لا إله إلا هو.

والمعنى:كما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل، ﴿ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ۝٩ ﴾ المزمل: ٩،كما قال في الآية الأخرى: ﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِ ﴾ هود: ١٢٣، وكقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٥، وآيات كثيرة في هذا المعنى، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله، وتخصيصه بالتوكل عليه.[2]

ثم وجه الحق سبحانه وتعالى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم إلى الصبر الجميل على ما يلقاه من قومه من الاتهام والإعراض والصد والتعطيل، والمناسبة أن الصبر على الأذى يستعان عليه بالتوكل على الله:

حـ – الصبر على الأذى والهجر الجميل:

والهجر الجميل: هو الهجر في ذات الله،[3] وهو الذي يقتصر صاحبه على حقيقة الهجر، بأن يترك المخالطة فلا يقربها بجفاء آخر أو أذى،[4]كما قال عز وجل: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ ﴾ الأنعام: ٦٨.

والمعنى: اصبر يا محمد صلى الله عليه وسلم على ما يقوله المشركون من الأذى والسب والاستهزاء، ولا تجزع من قولهم، ولا تمتنع من دعائهم، واهجرهم هجرا جميلا، فلا تتعرض لهم، ولا تشتغل بمكافأتهم، فإن في ذلك ترك الدعاء إلى الله.[5]

وقد انتزع فخر الدين الرازي من هذه الآية مترعا خلقيا؛ بأن الله جمع ما يحتاج إليه الإنسان في مخالطة الناس في هاتين الكلمتين، وذلك لأن الإنسان إما أن يكون مخالطا للناس أو مجانبا عنهم فإن

---

[1] _ أنظر: التحرير والتنوير: 267/29.

[2] _ أنظر: ابن كثير: 168/14.

[3] _ أنظر: الطبري: 380/23.

[4] _ أنظر: التحرير والتنوير: 268/29.

[5] _ أنظر: القرطبي: 334/21.

خالطهم فلا بد له من المصابرة على إيذائهم وإيحاشهم، فإنه إن كان يطمع منهم في الخير والراحة لم يجد، فيقع في الغموم والأحزان، فثبت أن من أراد مخالطة مع الخلق فلا بد له من الصبر الكثير، فأما إن ترك المخالطة فذاك هو الهجر الجميل، فثبت أنه لا بد لكل إنسان من أحد هذين الأمرين، والهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم في الأفعال مع المدارة والإغضاء وترك المكافأة، ونظيره قوله تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَعِظۡهُمۡ ﴾ النساء: ٦٣، وقوله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٩، وقوله تعالى: ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ النجم: ٢٩.[1]

[1] _ أنظر: تفسير الرازي: 180/30.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث

نداء النبي ﷺ في القرآن الكريم بوصفي النبوة والرسالة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تعريف "الرسول" و "النبي" وبيان الفرق بينهما .

المبحث الثاني : نداؤه ﷺ بوصف النبوة .

المبحث الثالث : نداؤه ﷺ بوصف الرسالة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث: نداء النبي ﷺ في القرآن بوصفي النبوة والرسالة:

المبحث الأول: تعريف "الرسول" و"النبي" وبيان الفرق بينهما:

المطلب الأول: تعريف "الرسول" لغة واصطلاحا:

أولا: تعريف "الرسول" لغة:

يدور لفظ الرسول في اللغة على عدة معان منها:

التؤدة والتثبت، والتوقر وعدم العجلة، فيقال للرجل إذا تكلم، على رسلك: على هينتك، أي: أرود قليلا، كما تقول: رويدك، وجاء فلان على رسله: على تؤدته، وفي مشية هذه الدابة، استرسال: إذا لم يكن فيها سرعة، والرِسل بالكسر: الرفق والتؤدة، كالرِسلة

والترسُّل، تقول: ترسل فلان في أمره: إذا توقر وتمهل وتفهم، وفي منطقه: إذا ترفق من غير أن يرفع صوته شديدا.

والترسل والترسيل في القراءة: هو التحقيق بلا عجلة، ورسل قراءته: رتلها.[1]

ومن معانيه: " اللين والإرخاء، تقول: رجل رسل، أي: فيه لين واسترسال، وترسل في الركوب، إذا بسط رجليه على الدابة حتى يرخي ثيابه على رجليه يغشيهما، وترسل في القعود: تربع وأرخى ثيابه على رجليه حوله." [2]

ومن معاني الرسول أيضا: الإخلاء والتطليق والتسليط، تقول: أرسلت الطائر من يدي، إذا أطلقته وأرسلت الكلام إرسالا: أطلقته من غير تقييد، وأرسل الشيء: أطلقه وأهمله..

---

[1] ـ أنظر: جمهرة اللغة، أبو دريد أبو بكر محمد بن الحسن، ت: رمزي منير بعلبكي باب: ر س ل: 719/2، دار العلم للملايين –بيروت- ط1، سنة 1987م، القاموس المحيط، الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، باب: الرسل، 384/3، دار الكتاب العربي –بيروت- ط1، سنة 1983م.

[2] ـ لسان العرب، لابن منظور، باب: رسل، ج6، ص152.

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ مريم: ٨٣، قال الزجاج: في قوله "أرسلنا" وجهان:

أحدهما: أنا خلينا الشياطين وإياهم، فلم نعصمهم من القبول منهم.

والوجه الثاني، وهو المختار: أنهم أرسلوا عليهم، وقيضوا لهم بكفرهم،كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦، ومعنى الإرسال هنا: التسليط.

والفرق بين إرسال الله عز وجل أنبياءه، وإرساله الشياطين على أعدائه في قوله تعالى: ﴿ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ مريم: ٨٣ ؛ أن إرساله الأنبياء إنما هو وحيه إليهم، أن أنذروا عبادي، وإرساله الشياطين على الكافرين: تخليته وإياهم، كما تقول: كان لي طائر فأرسلته، أي: أخليته، وأطلقته.[1]

ومن معانيه كذلك: البعث والرسالة والتوجيه، تقول: أرسلت فلانا في رسالة: بعثته بها ليؤدها، فهو مرسل ورسول، والجمع: أرسل ورسل ورسلاء، وقال تعالى:﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٦، ولم يقل: رسل، لأن فعولا وفعيلا، يستوي فيهما المذكر والمؤنث، والجمع والواحد.

والرسول: هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه، أخذ من قول العرب: جاءت الإبل رسلا: أي متتابعة، قال ابن الأنباري في قول المؤذن: "أشهد أن محمدا رسول الله"، معنى أشهد: أبين وأعلم أن محمدا متابع الأخبار عن الله جل وعز.

والرسول: الرسالة، قال أبو إسحاق النحوي في قوله تعالى حكاية عن موسى وأخيه عليهما السلام: ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾، معناه: إنا رسالة رب العالمين، أي ذوا رسالة رب العالمين، أراد: ولا أرسلتهم برسالة.

---

[1] ـ أنظر: لسان العرب، لابن منظور: ص154. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي أحمد بن محمد المقري، باب: ر س ل، 308/1-309، دار القلم –بيروت– (دت).

قال صاحب التهذيب: وهذا قول الأخفش، وسمي الرسول رسولا، لأنه ذو رسول، أي ذو رسالة، والرسول اسم من أرسلت، وكذلك الرسالة.[1]

ثانيا: تعريف "الرسول" اصطلاحا:

يقول الأصوليون في تعريف الرسالة: هي أمر الله تعالى له صلى الله عليه وسلم بالتبليغ، فهو صلى الله عليه وسلم ينقل عن الحق للخلق في مقام الرسالة، ما وصل إليه عن الله تعالى. فهو في هذا المقام مبلغ وناقل عن الله تعالى، والرسالة تبليغ محض واتباع صرف[2].

وعليه؛ فالرسول عندهم: هو الناقل والمبلغ عن الحق للخلق ما وصل إليه عن الله تعالى.

غير أنه تجدر الإشارة إلى أن الأصوليين، ينطلقون في تعريفهم للرسالة والرسول من زاوية تحديدهم، وتصنيفهم لطبيعة تصرفات النبي صلى الله عليه وسلم، وهم يجعلون تصرفه صلى الله عليه وسلم كمبلغ قسيما لتصرفه صلى الله عليه وسلم في مقامات أخرى...، فهو الإمام الأعظم، والقاضي الأحكم، والمفتي الأعلم، وعالم العلماء، وجميع المناصب الدينية فوضها الله تعالى إليه في رسالته، وهو أعظم من كل من تولى منصبا منها في ذلك المنصب إلى يوم القيامة، فما من منصب ديني إلا وهو متصف به في أعلى رتبه.

غير أن غالب تصرفه صلى الله عليه وسلم هو بالتبليغ؛ لأن وصف الرسالة غالب عليه، ثم تقع تصرفاته صلى الله عليه وسلم على أحوال؛ منها ما يكون بالتبليغ والفتوى إجماعا، ومنها ما يجمع الناس على أنه بالقضاء، ومنها ما يجمع الناس على أنه بالإمامة،[3] ومنها ما ليس من باب تبليغ الرسالة، وإنما هو من باب ما تقتضيه الجبلة البشرية، كالأكل والشرب والقيام والقعود...

---

[1] ـ أنظر: القاموس المحيط: 384/3، مختار الصحاح، الرازي محمد بن أبي بكر، ت: لجنة من علماء العربية، باب: ر س ل، ص242، دار الفكر –بيروت– ط1، سنة 1981م، المصباح المنير: 308/1.

[2] ـ أنظر: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، القرافي شهاب الدين أبو العباس الصنهاجي، ت: أبو بكر عبد الرزاق، ص99-100، المكتب الثقافي – القاهرة– ط1، سنة 1989م. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لعلال الفاسي، ص110، دار الغرب الإسلامي –بيروت– ط4، سنة 1993م. حجة الله البالغة، للدهلوي شاه ولي الله بن عبد الرحيم: 240/1-241، دار التراث –القاهرة– ط1، سنة 1978م.

[3] ـ أنظر: أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي شهاب الدين أبو العباس الصنهاجي: 205/1-206، عالم الكتب – بيروت– (دت).

وهذه ليست من الملة وأصل الشريعة بحال، لأن الأفعال الجبلية لم تفعل لأجل التشريع والاستنان، بل لأن الطبع البشري يقتضيها.[1]

إذن، يلحظ بأن الأصوليين عندما يتحدثون عن تصرف النبي صلى الله عليه وسلم بوصف التبليغ؛ لا يفرقون بين كونه نبيا أو كونه رسولا، بل على أن كلا الوصفين يقتضي صفة البلاغ عن الله تعالى، وهذا كاف لجعلهما في مقام واحد، يعبر عنه بمقام الرسالة، أو التبليغ، حيث يكون قسيما لباقي الأحوال أو المقامات، التي تحدد طبيعة تصرف النبي صلى الله عليه وسلم.

لذا فإن هذا الطرح الراقي لطبيعة التصرف النبوي، والذي يحدد وظيفة كل من الرسول والنبي على أنهما مبلغين عن الله تعالى ما وصل إليهما عنه، لا يعطي تحديدا واضحا لمعنى الرسول، وهذا الأخير هو في الحقيقة ما نصبوا إليه.

لكن يبدو أن هناك تعريفا أكثر دقة ووضوحا، يذهب إليه فريق من العلماء، منهم، الزمخشري، والقرطبي، والطاهر بن عاشور وغيرهم ...، يمكن أن يكون تعريفا منتخبا يحدد معنى الرسول، لما يتضمنه من قيود مخصصة:

يقول ابن عاشور: "الرسول، هو الرجل المبعوث من الله تعالى إلى الناس بشريعة جديدة، وهو التحقيق."[2]

فهذا التعريف، قد تضمن قيدا جديدا ومهما، يمكن أن يكون فارقا في العملية التعريفية لكل من "الرسول" و"النبي"، و هو كون الرسول مبعوث بشرع مستقل.

---

[1] _ أنظر: نثر الورود على مراقي السعود: 364/1.

[2] _ التحرير والتنوير: 297/17، وانظر: الكشاف: 203/4، والقرطبي: 422/14.

المطلب الثاني: تعريف "النبي" لغة، واصطلاحا:

أولا: تعريف "النبي" لغة:

لا يكاد يخرج لفظ النبي عند أهل اللغة عن المعاني الآتية:

1 - الارتفاع والعلو:

فالنبي غير المهموز: ما نبا من الأرض فارتفع، والنبْوة والنُبوة والنباوة: ما ارتفع من الأرض،[1] فإن جعلت النبي مأخوذا منه؛ أي أنه شرف على سائر الخلق.

2 ــ الخبر:

قال الفارسي: لا يخلوا قولهم النبي من أن يكون مأخوذا من "النبأ" الذي هو الخبر، أو من النبوة التي هي الارتفاع، أو أن يكون مأخوذا منهما، فيحمل الأمر مرة على أنها ياء منقلبة عن الواو، ومرة على أنها همزة.

وإن لفلان نبأ، أي: خبرا، والفعل نبأته، وأنبأته، واستنبأته: استخبرته، والجميع: الأنباء، والنبي صلى الله عليه وسلم: من ينبئ الأنباء عن الله تعالى، أي: المخبر عنه.

قال الراغب بعبارة أكثر وضوحا: " النبأ، خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال في الأصل نبأ، حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، ويكون صادقا وحقه أن يتعرى عن الكذب، كالمتواتر وخبر الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولتضمنه معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا، ولتضمنه معنى العلم يقال: أنبأته كذا." [2]

3 - الطريق الواضح:

والنبيء: الطريق الواضح، الذي يأخذك إلى حيث تريد، ومنه: لا تصلوا على النبيء[3]، وأنشد القطامي:

---

[1] ــ أنظر: مختار الصحاح، مرجع سابق، باب: ن ب ا، ص644.

[2] ــ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص482، دار المعرفة –بيروت- ط1، سنة 1998م. وانظر: المخصص، ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي، باب: الخبر والحديث، 321/3، دار الفكر –بيروت- (دت)

[3] ــ أنظر: تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي أبو فيض السيد محب الدين، ت: علي شيري، باب: نبأ، 257/1، دار الفكر –بيروت- ط1، سنة1994م.

لَّا وَرَدْنَ نُبِيًّا وَاسْتَتَبَّ بِهَا مَسْحَنْفِرٌ كَخُطُوطِ النَّسجِ مُنْسَحِلُ [1]

و إذا جعلت النبي مأخوذا منه ، فهو الصراط المستقيم الهادي إلى الفلاح.

4 – الظهور والخروج:

قال أبو زيد: نبأت عن القوم، أنْبأ نبَأ ونبوءا: إذا طلعت عليهم، قال: ونبأت من أرض إلى أرض، إذا خرجت منها إلى أخرى، وهذا المعنى، أراده الأعرابي بقوله: "يا نبيء الله"، أي: يا من خرج من مكة إلى المدينة، وقد أنكره عليه صلى الله عليه وسلم،أي أنكر عليه الهمز، لأنه ليس من لغة قريش.[2]

5 – الفراق والجفوة:

تقول: نبا الشيء عني، ينبو، أي: تجافى وتباعد، ونبا عني فلان: فارقني، وبيني وبينه نبوة: أي جفوة، ونبا السهم عن الهدف: فارقه و لم يصبه.[3] فإذا جعلت النبي مأخوذا منه، فمن حيث أنه صلى الله عليه وسلم بالنبوة، قد فارق الكثير مما يعتري البشر، كالمعصية، واتصف بما لا قبل لهم به، كالمعجزة.

ثانيا: تعريف "النبي" اصطلاحا:

ضمن البقاعي رحمه الله تعالى،كتابه "نظم الدرر في تناسي الآي والسور"، عدة تعريفات للنبوة.. وهو أثناء تفسيره لكتاب الله تعالى، لا يكاد يذكر لفظ "النبي" في القرآن الكريم، إلا وأردفه بتعريف للنبوة يلائم السياق القرآني الذي ورد فيه اللفظ.

غير أن هذه التعريفات كلها، لا تكاد تخرج عن ثلاثة حدود جامعة:

1 – الحد الذي يركز على أن النبي هو من ألهمه الله من علم الغيب، يقول البقاعي: "النبوة: هي الوصف الدال على الرفعة، والإطلاع من جهة الله تعالى على ما لا يعلمه العباد من أسرار القلوب، وخفايا الغيوب"،[4] أو هي: "ورود غيب ظاهر – أي من الحق سبحانه وتعالى – بالوحي لخاص من الخلق، خفي عن العامة منهم".[5]

---

[1] _ البيت للقطامي، أنظر: لسان العرب: 301/15.

[2] _ أنظر: تاج العروس: 256/1.

[3] _ أنظر: مختار الصحاح: ص644.

[4] _ نظم الدرر في تناسب الآي والسور: 238/3-245-359.

[5] _ المصدر نفسه: 67/6.

2 – الحد الذي يركز على أن النبي هو من تلقى العلم عن الله تعالى، يقول البقاعي: "النبوة: هي الوصف الذي هو سبب التلقي عن الله تعالى لغرائب العلوم، ورغائب الحكم والفهوم... فهو إذن منبع المعرفة والحكمة".[1]

3 – الحد الذي يركز على أن النبي هو من أعطي العصمة والكمال، يقول البقاعي: "النبوة: هي الوصف الذي هو مبدأ القرب ومقصوده، ومنبع الكمال ومداره، وهو الذي يعلم بالعصمة، ويلائمه أشد الملاءمة؛ خلو البال وسرور القلب، وانشراح الصدر".[2]

لكن هذه الحدود الثلاثة، التي جمعت ما أورده البقاعي من تعاريف كثيرة للنبوة، غير كافية لتحديد معنى النبي بشكل واضح، وذلك لسبب يبدو بأنه وجيه...

فهذه الحدود لم تعرف النبي صلى الله عليه وسلم، إلا من جهة واحدة، من جهة تلقيه عن الله تعالى، سواء كانت طبيعة الشيء المتلقى أسرارا غيبية، أم علوما شرعية أو كونية، أم كرامة عصمة.

أما الجهة الأخرى وهي علاقة النبي بالخلق، أعني وظيفة النبي اتجاه الناس، فهي مغيبة تماما، ولا أثر لها، وإنه لا ينبغي لقسم بهذا الثقل في تعريف النبي أن يهمل.

هذا الذي يدفعني إلى توجيه النظر صوب تعريفين آخرين، مختلفين في بعض القيود طبعا، غير أنهما يشتركان في أنهما أشارا إلى علاقة النبي مع الله تعالى، وعلاقته مع الخلق المبعوث إليهم، على حد السواء، وهذان التعريفان هما:

أ – التعريف الأول: النبي هو الرسول، وهو الرجل المبعوث من الله تعالى إلى الناس بشريعة مستقلة أو سابقة. وأكثر من جنح إلى هذا التعريف هم المعتزلة.[3]

ب _ التعريف الثاني: النبي هو من أمره الله أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله.[4]

يكمن الفرق بين هذين التعريفين، كما هو واضح؛ في أن الأول منهما يرادف بين النبي والرسول، وبالتالي فكل رسول نبي، وكل نبي رسول بناء على هذا الحد، بينما يغاير التعريف الثاني بين المصطلحين،

---

[1] _ المصدر نفسه: 97/6، 23/8.

[2] _ المصدر نفسه: 43/8.

[3] _ أنظر: تفسير الرازي: 232/21.

[4] _ أنظر: الكشاف: 203/4، التحرير والتنوير: 297/17.

و يجعل لـــ"النبي" حدا مستقلا، وعلى الرغم من أن هذين التعريفين يعدان أكثر دقة من الحدود السابقة، إلا أنه يتوجب تحديد أيهما أرجح، وأيهما يمكن انتدابه ليحدد معنى "النبي"؟.

المطلب الثالث: في بيان الفرق بين "النبي" و"الرسول":

اختلف العلماء حول وجود الفرق بين الرسول والنبي على قولين اثنين؛ فذهب المعتزلة إلى انتفاء الفرق بين الرسول والنبي، بينما يرى الجمهور[1] أنهما اسمين لمعنيين مختلفين:

أ – الفريق الأول:

يرى المعتزلة ومن وافقهم، أن كل رسول نبي، وكل نبي رسول، ولا فرق بينهما، واحتجوا على صحة رأيهم بأدلة منها:[2]

1 – قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ الحج: ٥٢، فإن هذه الآية دالة على أن النبي قد يكون مرسلا، ومثلها قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ٩٤ ﴾ الأعراف: ٩٤

2 ــ أن الله تعالى خاطب محمدا صلى الله عليه وسلم مرة بالنبي ومرة بالرسول، فدل على أنه لا منافاة بين الأمرين.

3 ــ قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠ ﴾ الأحزاب: ٤٠، فالله تعالى قد نص في هذه الآية على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، وهو صلى الله عليه وسلم كذلك رسول، فقال: (خاتم النبيين) بدلا من (خاتم المرسلين) لأن كلاهما واحد.

---

[1] ــ أنظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض أبو الفضل اليحصبي: 250/1، دار الفكر –بيروت– (دت).

[2] ــ أنظر: تفسير الرازي: 50/23 وما بعدها.

4 – أن اشتقاق لفظ النبي إما من النبأ وهو الخبر، أو من قولهم نبأ إذا ارتفع، والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة.

هذه هي أدلة الفريق الأول، غير أنني أسجل بعض الملاحظات على هذه الأدلة:

1 – إن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ ﴾ الآية، دالة في الحقيقة على بطلان توافق المعنيين، لأنه عطف النبي على الرسول، وذلك يوجب المغايرة، وهو من باب عطف العام على الخاص.

وقولهم أن الآية دالة على أن النبي قد يكون مرسلا، صحيح، غير أنه قد لا يرسل بشريعة مستقلة، فيغاير الرسول من هذه الجهة.

2 – خطاب الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم مرة بالنبي ومرة بالرسول، لا يدل على أنه لا منافاة بين الأمرين، بل ذلك يرجع إلى نوع الخطاب، واقتضاء المقام، كما سيأتي معنا لاحقا.

3 – أن ينص الله تعالى على أن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ليس لهم فيه حجة على بطلان القول بالمغايرة بين الوصفين، بل إن هذا التنصيص يخدمه؛ فلأن يكون محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، فهو بالضرورة خاتم المرسلين، على أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا... ألا يرون أنه لو وصف صلى الله عليه وسلم بأنه خاتم المرسلين، لبقي باب النبوة في الخلق مفتوحا؟

4 – قولهم أن اشتقاق لفظ النبي من "النبأ" وهو الخبر، أو من "نبا" إذا ارتفع، وأن هذين المعنيين لا يحصلان إلا بقبول الرسالة فيه نظر، إذ أن النبي هو مخبر من الله تعالى على كل حال، وهو مع ذلك مرفوع القدر، عالي الشأن لاصطفاء الله تعالى له بالنبوة، وإن لم يرسل.

لكن مع هذا، فالفريق الثاني لا يخالفونهم في كون النبي مرسلا، فاشتراطهم الرسالة إذن، لا يلزم الفريق الثاني في شيء.

ب – الفريق الثاني:

يرى جمهور العلماء من المفسرين وغيرهم، أن "الرسول" و"النبي" اسمان لمتغايرين، وأن الرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسول، متحججين بالأدلة الآتية:

1 – ورود اللفظين في القرآن الكريم في مناسبة واحدة وفي أكثر من موطن، كقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ ﴾ الحج: ٥٢، وكقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ

﴿ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الأعراف: ١٥٧، دليل بين على تغاير الوصفين.

2 – عن أبي إدريس الخَوْلاني، عن أبي ذر قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: "مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا". قلت: يا رسول الله، كم الرسل منهم؟ قال: "ثلاثمائة وثلاثة عشر جَمّ غَفِير".[1] فهذا الحديث صريح، في أن للنبي معنى غير معنى الرسول.

3 – وما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر البراء بن عازب أن يقول عند مضجعه في دعاء علمه إياه: (آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت) فقال الرجل: "ورسولك الذي أرسلت"، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا ونبيك الذي أرسلت)،[2] فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: (ورسولك الذي أرسلت)؛ لأن فيه تكرير الرسالة، وهو معنى واحد، فيكون كالحشو الذي لا فائدة فيه، بخلاف قوله: (ونبيك الذي أرسلت) فإنهما لا تكرار فيهما.[3]

الرأي المختار:

يبدو أن أدلة الجمهور أشد متانة، وأسلم من التعقب، من أدلة المعتزلة ومن وافقهم وبالتالي، فإن الفرق موجود بين المصطلحين.. غير أنه لا يمكن أن يكون الفرق في أن "الرسول" هو من حُدِّث وأُرْسِل، و"النبي" هو من حُدِّث و لم يُرسَل، إذ لا يجوز أن يقال "نبي" حتى يكون مرسلا، والدليل على صحة هذا، قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الحج: ٥٢، فأوجب للنبي الرسالة، وأن معنى "نبي": أنبأ عن الله تعالى، ومعنى أنبأ عن الله تعالى: الإرسال بعينه.

---

[1] _ هو جزء من حديث أبي ذر الطويل، أخرجه أحمد في مسند أبي أمامة عنه به: 265/5، والطبراني في الكبير، برقم: 7871 ، وفيه علي بن يزيد الألهاني، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: "ومداره على علي بن يزيد، وهو ضعيف": 159/1. قال البخاري في التاريخ الكبير:"منكر الحديث":301/6. وأخرجه ابن حبان في صحيحه من غير طريق علي بن يزيد: 77/2، مؤسسة الرسالة –بيروت– ط2، (دت)، وكذا فيه إبراهيم بن هشام الغساني، قال أبو حاتم في الجرح و التعديل، 142/2: "كذاب"، وقال الذهبي في الميزان: "متروك وكذبه أبو زرعة". وصححه الألباني في "الصحيحة": 854/1، و"المشكاة": 246/3.

[2] _ صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على وضوء، رقم: 247.

[3] _ أنظر: تفسير القرطبي: 353/9.

ولكن يكمن الفرق بين "النبي" و"الرسول" في طبيعة الرسالة.. يقول البيضاوي: "الرسول من بعثه الله بشريعة مجددة يدعو الناس إليها، والنبي يعمه ومن بعثه لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا بين موسى وعيسى عليهم السلام. ولذلك شبه النبي صلى الله عليه وسلم علماء أمته بِهم، فالنبي أعم من الرسول..."[1]، وإليه ذهب الزمخشري، والنّسفي، والشوكاني.[2]

ويقول ابن عاشور: "فالرسول: هو الرجل المبعوث من الله إلى الناس بشريعة، والنبي: من أوحى الله إليه بإصلاح أمر قوم بحملهم على شريعة سابقة، أو بإرشادهم إلى ما هو مستقر في الشرائع كلها، فالنبي أعم من الرسول، وهو التحقيق."[3]

وهو الذي انحاز إليه محمد الأمين الشنقيطي في أضواء البيان حيث قال: "وآية الحج هذه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ ﴾ الحج: ٥٢، تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم، من أن النبي هو من أوحى إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحى إليه، وأمر بتبليغ ما أوحى إليه غير صحيح، لأن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الآية، يدل على أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير. واستظهر بعضهم أن النبي المرسل الذي هو غير الرسول، هو من أوحي إليه أن يدعو الناس إلى شريعة رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل الذين كانوا يرسلون ويؤمرون بالعمل بما في التوراة، كما بينه تعالى بقوله: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ ﴾ المائدة: ٤٤. "[4]

وبناء على ما ذُكر يمكن وضع التعريفين التاليين لكل من "الرسول" و"النبي"، والذين يحددان بوضوح الفرق بينهما:

---

[1] _ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، البيضاوي أبو الخير ناصر الدين عبد الله الشيرازي، ص447، دار الفكر –بيروت– ط1، سنة 1982م.

[2] _ أنظر: الكشاف: 203/4، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، النسفي أبو البركات عبد الله: 106/3، دار الفكر –بيروت_ (دت)، فتح القدير: 572/3.

[3] _ التحرير والتنوير: 297/17.

[4] _ أضواء البيان: 801/5-802.

– فالرسول: هو الرجل المبعوث من الله تعالى إلى الناس بشريعة مستقلة.

– والنبي: هو الرجل المبعوث من الله تعالى إلى الناس بشريعة سابقة.

كما يمكن انطلاقا مما سبق تحديد أهم مميزات كل من الرسول والنبي:

1 – وصف النبوة وصف دال على الإطلاع من جهة الله تعالى على أسرار الغيب، والحكم الخفية من وراء التشريعات الربانية.

2 – وهو وصف دال على العلو والإرتفاع، على أنه مشتق من النَّبْوَة التي هي المرتفع.

3 – وهو وصف إذا نودي به النبي صلى الله عليه وسلم، دل على أن الخطاب يعم الأمة، بخلاف وصف الرسالة الذي يدل على الخصوص، يقول ابن العربي: " إذا أراد الله الخطاب للمؤمنين لاطفه بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ ، فيكون اللفظ له والمعنى له ولأمته، وإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ ."[1]

4 – وصف الرسالة وصف دال على العصمة من القتل، على أن النبي غير معصوم من القتل، لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ ﴾ البقرة: ٦١، ففي هذه الآية الكريمة يخبرنا الحق سبحانه وتعالى أن اليهود قد قتلوا الأنبياء، بينما لم يذكر لنا القرآن أو السيرة أن أحدا من الرسل قتلته اليهود.[2]

[1] ـ أحكام القرآن لابن العربي: 270/4.

[2] ـ الأنبياء والرسل والفرق بينهم، سليم اسحق الحشيم، ص7، (دت).

المبحث الثاني: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة:

ورد نداؤه صلوات الله وسلامه عليه في القرآن، بوصف النبوة في اثني عشر موضعا، موزعة على ست سور هي: الأنفال والتوبة والأحزاب والممتحنة والطلاق والتحريم، وفق الترتيب النزولي.[1]

المطلب الأول: النداءات التي وردت في سور الأنفال والتوبة والأحزاب:

جمعت سور الأنفال والتوبة والأحزاب تسعة نداءات بوصف النبوة، ثلاثة منها في سورة الأنفال، وواحد في سورة التوبة، وخمسة في سورة الأحزاب:

الفرع الأول: النداءات التي وردت في سورة الأنفال:

وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنفال: ٦٤، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأنفال: ٦٥ - ٦٦، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنفال: ٧٠.

---

[1] ـ أنظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، باب معرفة أول ما نزل: 31/1، دار المعرفة – بيروت– (دت).

أولا:الموضوع العام لسورة الأنفال:

هي سورة مدنية بدرية في قول الجميع،[1] عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال؟، قال: نزلت في بدر.[2]

وفي رواية عن ابن عباس: إلا سبع آيات، من قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠، إلى آخر السبع آيات، وقال مقاتل: بل هي مدنية كلها غير آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾الآية، فإنها نزلت في قصة وقعت بمكة.

غير أنه يمكن أن تنزل الآية بالمدينة كذلك، كما أفاده أبو حيان.[3]

وسورة الأنفال خمس وسبعون آية 75، وتقع في الترتيب المصحفي في المرتبة الثامنة، بعد سورة الأعراف، وقبل سورة التوبة.

مناسبتها لسورة التوبة:

عن ابن عباس قال: قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما و لم تكتبوا بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتموها في السبع الطوال، ما حملكم على ذلك؟، فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشيء، دعا بعض من كان يكتب فيقول: (ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)، وتنزل عليه الآية فيقول: (ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا)، وكانت الأنفال من أوائل ما نزلت بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يبين لنا أنها

[1] ـ أنظر: تفسير ابن كثير: 5/7، القرطبي: 441/9.

[2] ـ البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ الأنفال: ١، رقم:4645.

[3] ـ أنظر: البحر المحيط: 452/4.

منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما و لم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم"، ووضعتها في السبع الطوال.[1]

لقد استشكل ابن عباس رضي الله عنه، كما هو واضح في الحديث، على عثمان رضي الله عنه أمرين اثنين:

- وضع الأنفال وبراءة في أثناء السبع الطوال، مفصولا بهما بين السادسة والسابعة.
- ووضع الأنفال وهي قصيرة مع السور الطويلة.

ثم يأتي جواب عثمان رضي الله عنه ليكون هو المناسبة بعينها بين السورتين، فقد أجاب رضي الله عنه أولا، بأنه لم يكن عنده في ذلك توقيف، بل استند إلى اجتهاد محض، وأنه قرن بين الأنفال وبراءة لكونها شبيهة بقصتها في اشتمال كل منهما على القتال، ونبذ العهود، وهذا وجه بين المناسبة جلي.

ويتمّ بيان مقصد عثمان رضي الله عنه في ذلك بأمور:

الأول: أنه جعل الأنفال قبل براءة مع قصرها، لكونها مشتملة على البسملة، فقدمها لتكون لفظة منها، وتكون براءة بخلوها منها كتتمتها وبقيتها، ولهذا قال جماعة من السلف: إن الأنفال وبراءة سورة واحدة، لا سورتان.

الثاني: صدر براءة تفصيل لإجمال قوله في الأنفال: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنفال: ٥٨، وآيات الأمر بالقتال متصلة بقوله هنا: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾ الأنفال: ٦٠، ولذا قال هنا في قصة المنافقين: ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ التوبة: ٤٦.

[1] ـ رواه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن الكريم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: 336/4، رقم:5058، وصححه الألباني في المشكاة: 502/1.

الثالث: ثم بين السورتين تناسب من وجه آخر، وهو: أنه سبحانه وتعالى في الأنفال تولى قسمة الغنائم، وجعلها خمسة أخماس، وفي براءة تولى قسمة الصدقات، وجعلها لثمانية أصناف.[1]

مقصود سورة الأنفال:

تكاد تعالج سورة الأنفال عبر توالي مشاهدها، موضوعا واحدا فقط، هو: غزوة بدر الكبرى، حتى أنها سميت بالبدرية، فتناولت السورة الغزوة بالتفصيل الكافي لتدارك الأخطاء التي وقع فيها المسلمون، واستخلاص العبر و الدروس التي هي عوامل النصر التي يحتاجها المسلمون في كل معركة تجمعهم بالباطل.

وإن الإنسان ليدهش حين يرى أهل بدر يتكلمون في الغنائم، وهم إما من المهاجرين السابقين الذين تركوا وراءهم كل شيء، وهاجروا إلى الله بعقيدتهم، لا يلوون على شيء من أعراض هذه الحياة الدنيا؛ وإما من الأنصار الذين آووا المهاجرين، وشاركوهم ديارهم وأموالهم، لا يبخلون بشيء من أعراض هذه الحياة الدنيا، أو كما قال فيهم ربهم : ﴿ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩ ..

غير أن تفسير هذه الظاهرة يكمن في الروايات نفسها:

لقد كانت الأنفال مرتبطة في الوقت ذاته بحسن البلاء في المعركة؛ وكانت بذلك شهادة على حسن البلاء؛ وكان الناس يومئذ حريصين على هذه الشهادة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الله سبحانه وتعالى في أول وقعة يشفي فيها صدورهم من المشركين! . . ولقد غطى هذا الحرص وغلب على أمر آخر نسيه من تكلموا في الأنفال حتى ذكرهم الله سبحانه به، وردهم إليه، ذلك هو ضرورة السماحة فيما بينهم في التعامل، والصلاح بين قلوبهم في المشاعر؛ حتى أحسوا ذلك في مثل ما قاله عبادة بن الصامت رضي الله عنه: (فينا، معشر أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا، فجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم..).[2]

---

[1] ـ أنظر: أسرار ترتيب القرآن، السيوطي جلال الدين، ت: عبد القادر أحمد عطا، ص10، دار بوسلامة -تونس- ط1، سنة 1983م.

[2] ـ رواه أحمد: 231/46، ورجاله ثقات، أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، مصدر سابق: 162/3.

ولقد أخذهم الله سبحانه وتعالى بالتّربية الرّبانية قولا وعملا، نزع أمر الأنفال كله منهم وردّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أنزل حكمه في قسمة الغنائم بجملتها، فلم يعد الأمر حقا لهم يتنازعون عليه؛ إنما أصبح فضلا من الله عليهم؛ يقسمه رسول الله بينهم كما علمه ربه، وإلى جانب الإجراء العملي التربوي كان التوجيه المستطرد الطويل، الذي بدأ بهذه الآيات، واستطرد فيما تلاها كذلك.[1]

وبالتالي فمقصود السورة هو: تربية المسلمين على عوامل النصر، ليخوضوا أي معركة مع الباطل بأفضلية ظاهرة.

ثانيا: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة في سورة الأنفال لمقصود السورة:

وصف النبوة وصف يدل على الرفعة وعلو القدر،[2] وجيء به هاهنا في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنفال: ٦٤، لملاءمة بديعة، وهي التنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم رفيع القدر عالي المقام، فلو اجتمعت جحافل الباطل كلها للنيل منه صلى الله عليه وسلم ما استطاعت لأن الله تكفل بحفظه وصيانة مقامه.

كما جيء به ثمة، وفي الآيتين التين بعدها، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأنفال: ٦٥ - ٦٦ ، وفي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنفال: ٧٠ ؛ لأن نداءه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة، يفهم منه أن ما تعلق به من أحكام لا يختص به صلى الله عليه وسلم وحده، بل

[1] _ أنظر: في ظلال القرآن: 1473/3.

[2] _ أنظر: نظم الدرر: 238/3.

يعم الأمة كذلك، وهذه الآيات تحدثت عن بعض عوامل النصر التي تحتاجها الأمة المسلمة في كل العصر:

1 – التوكل على الله واليقين الصادق بالنصر: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ ﴾

2 – الاعتماد على القلة المتميزة والمخلصة، لا على الكثرة الغوغائية: ﴿ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

3 – التحريض على الجهاد وبيان فضائله، ومنزلة الشهداء عند الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِ ﴾.

4 – التخلق بخلق الصبر لأن الله تعالى مع الصابرين: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

5 – والإحسان إلى أسرى الحرب: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ ﴾

وفي ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة في الآية الأخيرة، في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾الآية، مناسبة جد جليلة؛ وذلك أنني أشرت فيما سبق أن وصف النبوة هو وصف يدل على الإطلاع من جهة الله تعالى على ما لا يعلمه العباد من أسرار القلوب، وخفايا الغيوب،[1] والآية الكريمة تتحدث عن أسرار النفوس، وطوايا القلوب: ﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾الآية.

وإن ما روي في سبب نزول هذه الآية، وكيف أن النبي صلى الله عليه وسلم اطلع من جهة الله تعالى على بعض شأن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ممن أسر، ليزيد من

[1] ـ نظم الدرر: 67/6، 43/8.

جلال المناسبة وقوتها؛ فعن الزهري، عن جماعة سماهم قالوا[1]: بعثت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أسراهم، ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا، وقال العباس: يا رسول الله، قد كنت مسلما!، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الله أعلم بإسلامك، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك فقد كان علينا، فافتد نفسك وابني أخيك: نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وعقيل بن أبي طالب بن عبد المطلب، وحليفك عتبة بن عمرو أخي بني الحارث بن فهر)، قال: ما ذاك عندي يا رسول الله! قال: (فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل؟، فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال الذي دفنته لبني: الفضل، وعبد الله، وقثم). قال: والله يا رسول الله، إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني: عشرين أوقية من مال كان معي فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك)، ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه، وأنزل الله عز وجل فيه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾

ثالثا: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم في السورة بوصف النبوة، لواقع التنزيل:

نزل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤ ﴾، بالبيداء في بدر، قبل ابتداء القتال، في قول النقاش والكلبي،[2]فيكون نزولها متقدما على أول السورة، ثم جعلت في هذا الموضع.

فلماذا نزلت هذه الآية والتي بعدها – على أن السياق يجمعها بها على معنى متكامل – في هذا الوقت بالذّات، ولماذا كان نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة؟

---

[1] ـ رواه الحاكم في مستدركه، باب ذكر إسلام العباس رضي الله عنه: 324/3، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم و لم يخرجاه.

[2] ـ أنظر: التحرير والتنوير: 66/10، القرطبي: 68/10.

لقد خرَجتْ قريش إلى بدر على الصّعب والذّلول في تسعمائة وخمسين مقاتلا، معهم مائتا فرس يقودونها، ومعهم القيان يضربن بالدفوف، ويغنين بهجاء المسلمين، هذا ما كان من أمر هؤلاء في نفيرهم من مكة ومسيرهم إلى بدر.

وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد خرج في زهاء الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، وما كان معه إلا فرسان: فرس للزبير على الميمنة، وفرس للمقداد بن الأسود على الميسرة، وكان معهم سبعون بعيرا يعتقبونها.[1]

فلما تراءى الجمعان، علم المسلمون أن عدوهم أقوى عدة، وأعتى جيشا، فهل سيكون النصر حليفهم؟

إنه غيب الله الذي أراد سبحانه وتعالى أن يطلع عليه نبيه صلى الله عليه وسلم والمسلمين، ليعلموا أن الله كفاهم، ويتيقنوا بالنصر على أعداء العقيدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾، ويقف الفكر ليستعرض القوة التي لا راد لها، ولا معقب عليها، قوة الله القوي العزيز، وأمامها تلك القوة الضئيلة العاجزة الهزيلة، التي تتصدى لكتائب الله، فإذا الفرق شاسع، والبون بعيد، وإذا هي معركة مضمونة العاقبة، معروفة النهاية، مقررة المصير، فتحملهم هذه الآيات على الثبات، ويغشاهم الأمن والسكينة..

وليس هناك بالتالي، وصف مؤهل لإقحامه في مسألة الغيب وأسراره غير وصف النبوة.

[1] _ أنظر: البداية والنهاية، ابن كثير أبو الفداء، ج3، ص267-268، دار الآثار –القاهرة- ط1، سنة 1999م.

الفرع الثاني: النّداء الذي ورد في سورة التوبة:

وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ التوبة: ٧٣ .

أولا: الموضوع العام لسورة التوبة:

سورة براءة سورة مدنية باتفاق،[1] وهي من أواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: آخر سورة نزلت كاملة براءة.[2]

والحديث يدل على أن السورة نزلت جملة واحدة، وهذا خلاف ما ذهب إليه بعض المفسرين كابن كثير وصاحب الظلال.[3]

وهي مائة وتسعة وعشرون آية 129، وتقع في الترتيب المصحفي في المرتبة التاسعة، عقب سورة الأنفال، وقبل سورة يونس:

فأما مناسبتها لسورة الأنفال، فقد سبق ذكره، ويلاحظ بأنه لا تفصل بينهما البسملة، وإنما لا يبسمل في أولها لأن الصحابة لم يكتبوها في أولها في المصحف الإمام، والاقتداء في ذلك بأمير المؤمنين عثمان بن عفان، رضي الله عنه وأرضاه.[4]

وأما مناسبتها لسورة يونس فلأمور:

1 – إنّه ليس في القرآن بعد الأعراف أنسب ليونس طولا منها، فلذلك وضعت براءة هنا لمناسبة الطول، وذلك كاف في المناسبة.[5]

2 – لّما تضمّنت سورة براءة قوله تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ التوبة: ٤٠، وقوله تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ التوبة: ٤٣، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

[1] _ أنظر: القرطبي: 93/10.

[2] _ البخاري، كتاب المغازي، باب حج أبي بكر بالناس في سنة تسع، رقم: 4363.

[3] _ أنظر: ابن كثير: 136/7، في ظلال القرآن: 3/ 1586.

[4] _ أنظر: ابن كثير: ص135.

[5] _ أنظر: أسرار ترتيب القرآن: ص10.

مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٦١﴾ ﴾ التوبة: ٦١، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ التوبة: ١٢٨ – ١٢٩، إلى ما تخلل أثناء آي هذه السورة الكريمة مما شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتخصيصه بمزايا السبق والقرب والاختصاص والملاطفة في الخطاب ووصفه بالرأفة والرحمة، وكذلك ما انطوت هي والأنفال عليه؛ من قهره أعداءه، وتأييده ونصره عليهم، وظهور دينه وعلو دعوته وإعلاء كلمته، إلى غير هذا من نعم الله سبحانه عليه، وكان ذلك كله مظنة لتعجب المرتاب وتوقف الشاك، ومثيرا لتحرك ساكن الحسد من العدو العظيم، فقال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ يونس: ٢.[1]

مقصود سورة التوبة:

تحدثت السورة إجمالا، عن إنهاء العهود التي كانت قائمة بين المسلمين والمشركين حتى ذلك الحين، سواء كان هذا الإنهاء بعد أربعة أشهر لمن كانت عهودهم مطلقة، أو الناكثين لعهودهم؛ أو كان بعد انتهاء الأجل لمن كانت لهم عهود مقيدة، و لم ينقصوا المسلمين شيئا و لم يظاهروا عليهم أحدا..

فعلى كل حال كانت النتيجة الأخيرة هي إنهاء العهود مع المشركين في الجزيرة العربية؛ وإنهاء مبدأ التعاقد أصلا مع المشركين بعد ذلك، بالبراءة المطلقة من المشركين، وباستنكار أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله.

وكان قد تبين من الواقع العملي مرحلة بعد مرحلة، وتجربة بعد تجربة، من خلال أحداث السيرة النبوية ووقائعها، أنه لا يمكن التعايش بين منهجين للحياة بينهما هذا الاختلاف الجذري العميق، البعيد المدى، الشامل لكل جزئية من جزئيات الاعتقاد والتصور، والخلق والسلوك، والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإنساني، وهو الاختلاف الذي لا بد أن ينشأ من اختلاف الاعتقاد والتصور..

[1] ـ أنظر: نظم الدرر: 412/3.

منهجين للحياة أحدهما يقوم على عبودية العباد لله وحده بلا شريك؛ والآخر يقوم على عبودية البشر للبشر، وللآلهة المدعاة، وللأرباب المتفرقة.

لذلك طالما وقع بينهما التصادم في كل خطوة من خطوات الحياة؛ لأن كل خطوة من خطوات الحياة في أحد المنهجين لا بد أن تكون مختلفة عن الأخرى، ومتصادمة معها تماما، في مثل هذين المنهجين وفي مثل هذين النظامين.

فكان لزاما بالتالي أن يترل الوحي ليحدد العلاقات بين المعسكر الإسلامي في الجزيرة وسائر معسكرات المشركين، وكذلك بينه وبين معسكرات أهل الكتاب، وهو الذي نزلت من أجله سورة براءة التي كان قد جاء موعدها، وتمهدت لها الأرض، وتهيأت لها الأحوال، وأصبحت هي الخطوة الطبيعية في أوانها المحتوم.[1]

ثانيا: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة لمقصود السورة:

إن العهد الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، كان قد انعقد على صور مختلفة: فكان بينه وبين أهل مكة ومن ظاهرهم عهد الحديبية: أن لا يصد أحد عن البيت إذا جاء، وأن لا يخاف أحد في الشهر الحرام، وقد كان معظم قبائل العرب داخلا في عقد قريش الواقع في الحديبية؛ لأن قريشا كانوا يومئذ زعماء جميع العرب، ولذلك كان من شروط الصلح يومئذ: أن من أحب أن يدخل في عهد محمد دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، وكان من شروط الصلح وضع الحرب عن الناس سنين يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض، فالذين عاهدوا المسلمين من المشركين معروفون عند الناس يوم نزول الآية.

وقد كان بين المسلمين وبعض قبائل المشركين عهود أيضا؛ كما أشارت إليه سورة النساء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ النساء: ٩٠. [2]

وكان في المجتمع المسلم – ولعل بعض هؤلاء كان من كرام المسلمين وخيارهم أيضا ! – من يخشى الكساد الذي يتوقعه من تعطل الصلات التجارية والاقتصادية في أنحاء الجزيرة بسبب إنهاء العهود،

[1] _ أنظر: في ظلال القرآن: 1586/3.

[2] _ أنظر: التحرير والتنوير: 104-105/10.

وإعلان القتال العام على المشركين كافة فيها؛ وتأثير ذلك في موسم الحج، وبخاصة بعد إعلان ألا يحج بعد العام مشرك، وألا يعمر المشركون مساجد الله.

غير أن الله سبحانه وتعالى كان يريد أن تقوم آصرة التجمّع على العقيدة وحدها، وأن تكون العقيدة أرجح في ميزان القلوب المؤمنة من كل ما عداها: سواء من القرابات والصداقات؛ أم من المنافع والمصالح، كما أنه سبحانه وتعالى كان يريد أن يعلمهم أنه هو الرزاق وحده، وأن هذه الأسباب الظاهرة للرزق ليست هي الأسباب الوحيدة التي يملك أن يسخرها لهم بقدرته،[1] وإنما هناك أسباب أخرى قد تغيب عنهم، وقد تكون خفية لا تخطر على بال، ولكن الله الرزاق يعلمها، وييسرها لعباده كيفما شاء، لذلك نادى نبيه صلى الله عليه وسلم هاهنا، والخطاب له وتدخل أمته فيه من بعده، بوصف النبوة الدال على الاطلاع من جهة الله تعالى على كنه الغيب، بأن يثبتوا على المنهج الرباني الذي يحدد علاقتهم مع المشركين وأهل الكتاب، وأن يستمروا في جهاد أعداء الدين باليد واللسان والقلب والاكفهرار في الوجه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ التوبة: ٧٣، ولا يلتفتوا إلى احتمال انقطاع الأسباب الظاهرة لاستجلاب الرزق.

الفرع الثالث: النّداءات التي وردت في سورة الأحزاب:

وهي قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ الأحزاب: ١ - ٣، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٨ - ٢٩، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا

[1] ـ أنظر: في ظلال القرآن: 1594/3.

﴿٤٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥ - ٤٨، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٠، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٩.

أولا: الموضوع العام لسورة الأحزاب:

هي سورة مدنية في قول الجميع،[1] وهي ثلاث وسبعون آية، تقع في الترتيب المصحفي في المرتبة الثالثة والثلاثين 33، عقب سورة السجدة، وقبل سورة سبأ.

فأما وجه مناسبتها لما قبلها: " فلتشابه مطلع هذه، ومقطع تلك، فإن سورة السجدة ختمت بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن الكافرين وانتظار عذابهم، ومطلع سورة الأحزاب أمره صلى الله عليه وسلم بتقوى الله وعدم طاعة الكافرين والمنافقين، فصارت كالتتمة لما ختمت به تلك، حتى كأنهما سورة واحدة." [2]

وأما وجه مناسبتها لما بعدها، فهو أنها لما ختمت بقوله تعالى: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٣، افتتحت سورة سبأ بأن له ما في السموات وما في الأرض، وهذا الوصف لائق بذلك الحكم، فإن الملك العام والقدرة التامة، يقتضيان ذلك.

[1] _ أنظر: القرطبي: 48/17، ابن كثير: 111/11.

[2] _ أسرار ترتيب القرآن: ص16.

كما أن خاتمة سورة الأحزاب: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، وفاصلة الآية الثانية من مطلع سبأ: ﴿ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ سبأ: ٢.

مقصود سورة الأحزاب:

افتتاح السورة بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم وندائه بوصفه، مؤذن بأن الأهم من سوق هذه السورة يتعلق بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم،[1] وهذا ما نوهت به آيات السورة في كل مرة:

ـ ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ ﴾ الأحزاب: ٦.

ـ ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٧.

ـ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١.

ـ ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٢.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٨.

ـ ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٠.

ـ ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٢.

[1] ـ أنظر: التحرير والتنوير: 249/21.

ـ ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٦.

ـ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ الأحزاب: ٣٧.

ـ ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٨.

ـ ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴿٥٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٠.

ـ ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٢.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ الأحزاب: ٥٣.

ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦.

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٩.

ـ ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧١.

غير أن الظاهر من هذه الآيات، ومن سورة الأحزاب كلها، يدل على أنها لم تنزل من أجل أمور تخص النبي صلى الله عليه وسلم فحسب، بل إن معظمها يعم الأمة كذلك، وتتناول قطاعا حقيقيا ومعتبرا من حياة المسلمين، في فترة تمتد من بعد غزوة بدر الكبرى، إلى ما قبل صلح الحديبية، وتصور هذه الفترة من حياة المسلمين في المدينة تصويرا واقعيا ومباشرا:

تصور الأحداث التي كانت تقسو على المسلمين حتى إنها لتبلغ أحيانا بهم درجة الفتنة، فتنة كفتنة الذهب، التي تفصل بين الجوهر الأصيل والزبد الزائف؛ وتكشف عن حقائق النفوس ومعادنها، فلا تعود خليطا مجهول القيم.

وكان القرآن الكريم في كل حين، يتنزل في إبان الابتلاء أوبعد انقضائه، ليلقي الأضواء على منحنياته وزواياه، فتنكشف المواقف والمشاعر، والنوايا والضمائر، ثم يخاطب القلوب وهي مكشوفة في النور، عارية من كل رداء وستار؛ ويلمس فيها مواضع التأثر والاستجابة؛ ويربيها يوما بعد يوم، وحادثا بعد حادث؛ ويرتب تأثراتها واستجاباتها وفق منهجه الذي يريد.

و لم يترك الحق سبحانه وتعالى المسلمين لهذا القرآن، يتنزل عليهم بالأوامر والنواهي، وبالتشريعات والتوجيهات جملة واحدة؛ وإنما أخذهم الله بالتجارب والابتلاءات، والفتن والامتحانات كذلك.

فقد علم الله أن هذه الخليقة البشرية لا تصاغ صياغة سليمة، ولا تنضج نضجا صحيحا، ولا تصح وتستقيم على منهج؛ إلا بذاك النوع من التربية التجريبية الواقعية، التي تحفر في القلوب، وتنقش في الأعصاب؛ وتأخذ من النفوس وتعطي في معترك الحياة ومصطرع الأحداث، أما القرآن فيتنزل ليكشف لهذه النفوس عن حقيقة ما يقع ودلالته؛ وليوجه تلك القلوب وهي منصهرة بنار الفتنة، ساخنة بحرارة الابتلاء، قابلة للطرق، مطاوعة للصياغة![1]

وسورة الأحزاب ضربت أروع الأمثال في تلك المعالجة الربانية، التي تقوم على الابتلاء بالأحداث والتوجيه القرآني في آن واحد، لأجل أن يعتز المسلمون بدينهم، ويعززوا الثقة بربهم ومليكهم، ويخلصوا التصديق لنبيهم صلوات الله وسلامه عليه، وهذا هو عين مقصود سورة الأحزاب.

ثانيا: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة لمقصود سورة الأحزاب:

سبق وأن أشرنا إلى أن وصف النبوة متى نودي به النبي صلى الله عليه وسلم، علم أن الخطاب غير مقصور عليه صلى الله عليه وسلم، وإنما تدخل فيه الأمة من بعده، وسورة الأحزاب كما بيناه عند الحديث عن مقصودها، ما نزلت لتخص النبي صلى الله عليه وسلم وحده بالتوجيه، بل قصدت تربية

[1] ـ أنظر: في ظلال القرآن: 21/2831-2832.

المجتمع المسلم ككل وفي كل عصر على قيمة هي من أنفس القيم؛ تعزيز الثقة في الله تعالى، فكان الوصف الأنسب لهكذا نداء، في هذا المقام، هو وصف النبوة.

ولعل اشتمال سورة الأحزاب على ذكر غزوة الأحزاب، والتي اشتق اسمها منها، لخير دافع إلى الإيمان بهذا الزعم؛ فلقد كانت حادثة مليئة بالزعازع والفتن، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾ قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ۞ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿١٩﴾ يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢٠﴾ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن

صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٩ – ٢٧،

ونحن هنا لسنا بصدد سرد تفاصيل ووقائع وأحداث الغزوة كما تناولها البشر، بل نكتفي بالنص القرآني البديع، الذي يغفل أسماء الأشخاص، وأعيان الذوات، ليصور نماذج البشر وأنماط الطباع، ويغفل تفصيلات الحوادث وجزئيات الوقائع، ليصور القيم الثابتة والسنن الباقية، هذه التي لا تنتهي بانتهاء الحادث، ولا تنقطع بذهاب الأشخاص، ولا تنقضي بانقضاء الملابسات، ومن ثم تبقى قاعدة ومثلا لكل جيل ولكل قبيل...

إن النص القرآني معد للعمل لا في وسط أولئك الذين عاصروا الحادث وشاهدوه فحسب؛ ولكن للعمل أيضا في كل وسط بعد ذلك وفي كل تاريخ.

ولا يفهم النصوص القرآنية حق الفهم إلا من يواجه مثل الظروف التي واجهتها أول مرة، هنا تتفتح النصوص عن رصيدها المذخور، وتتفتح القلوب لإدراك مضامينها الكاملة، وهنا تتحول تلك النصوص من كلمات وسطور إلى قوى وطاقات، وتنتفض الأحداث والوقائع المصورة فيها، تنتفض خلائق حية، موحية، دافعة، دافقة، تعمل في واقع الحياة، وتدفع بها إلى حركة حقيقية، في عالم الواقع وعالم الضمير على حد السواء.[1]

ثالثا: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة في سورة الأحزاب لواقع التنزيل:

1 ــ بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ الأحزاب: ١ – ٣.

تجدر الإشارة أولا، إلى أن هناك من تكلف في توجيه الخطاب الوارد في الآية، فزعم أن المراد أمته صلى الله عليه وسلم دونه، لأنه كان تقيا، وحاشاه من طاعة الكفار.[2]

وإن كان هذا التوجيه مقبولا، غير أنه لا ضرورة إليه، والخطاب واضح في اتجاهه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ابتداء؛ لذا تحدث الرازي فخر الدين في هذا الخطاب بفهم دقيق، فقال:

---

[1] ــ أنظر: في ظلال القرآن: 2836/21.

[2] ــ الإتقان في علوم القرآن، في وجوه مخاطباته: 44/2.

" الأمر بالشيء لا يكون إلا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به، إذ لا يصلح أن يقال للجالس اجلس وللساكت اسكت، والنبي عليه السلام كان متقيا، فما الوجه فيه ؟، نقول فيه وجهان:

أحدهما فيه قولان:

الأول: منقول، وهو أنّه أمرٌ بالمداومة، فإنه يصحّ أن يقول القائل للجالس اجلس ههنا إلى أن أجيئك، ويقول القائل للسّاكت قد أصبت فاسكت تسلم، أي دم على ما أنت عليه.

والثاني: وهو معقول لطيف، وهو أن الملك يتقي منه عباده على ثلاثة أوجه: بعضهم يخاف من عقابه، وبعضهم يخاف من قطع ثوابه، وثالث يخاف من احتجابه: فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالتقوى بالمعنى الأول ولا بالمعنى الثاني، وأما الثالث فالمخلص لا يأمنه ما دام في الدنيا، وكيف والأمور الدنيوية شاغلة، والآدمي في الدنيا تارة مع الله، وأخرى مقبل على ما لابد منه وإن كان معه الله، وإلى هذا إشارة بقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ الكهف: ١١٠، يعني يرفع الحجاب عني وقت الوحي، ثم أعود إليكم كأني منكم، فالأمر بالتقوى يوجب استدامة الحضور.

الوجه الثاني: هو أن النبي عليه الصلاة والسلام كل لحظة كان يزداد علمه ومرتبته حتى كان حاله فيما مضى بالنسبة إلى ما هو فيه تاركا للأفضل." [1]

والأمر للنبي بتقوى الله توطئة للنهي عن اتباع الكافرين والمنافقين ليحصل من الجملتين قصر تقواه على التعلق بالله دون غيره، فإن معنى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ﴾ مرادف لمعنى: لا تتق الكافرين والمنافقين، فإن الطاعة تقوى؛ فصار مجموع الجملتين مفيدا لمعنى: يأيها النبي لا تتق إلا الله، فعدل عن صيغة القصر وهي أشهر في الكلام البليغ وأوجز إلى ذكر جملتي أمر ونهي لقصد النص على أنه قصر إضافي أريد به أن لا يطيع الكافرين والمنافقين لأنه لو اقتصر على أن يقال: لا تتق إلا الله لما أصاخت إليه الأسماع إصاخة خاصة، فسلك مسلك الإطناب لهذا. [2]

وأما عن سبب نزول هذه الآية، فقد ذكر الماوردي في تفسيره، [3] أنها نزلت في أبي سفيان وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور السلمي، قدموا المدينة بعد قتال أحد، فنزلوا على عبد الله بن أبي، وقد أعطاهم

---

[1] _ تفسير الرازي: 190/25.

[2] _ أنظر: التحرير والتنوير: 250/21.

[3] _ أنظر: تفسير الماوردي (النكت والعيون)، الماوردي أبو الحسن علي بن حبيب، ت: خضر محمد خضر: 301/3، مطابع مقهوي –الكويت– ط1، سنة 1982م.

النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلّموه، فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب: ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات، وقل إن لها شفاعة ومنفعة لمن عبدها وندعك وربك، فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ائذن لنا يا رسول الله في قتلهم، فقال: إني قد أعطيتهم الأمان، فقال عمر: اخرجوا في لعنة الله وغضبه، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجهم من المدينة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

غير أنّ هذا الخبر لا سند له، و لم يعرج عليه أهل النقد مثل الطبري وابن كثير.[1]

وبالتالي فإنه لا يمكن الاعتماد على سبب نزول الآية للكشف عن وجه المناسبة بين ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة، وبين الجوّ المحتفّ الذي نزلت فيه..؛ غير أنه يمكن التطرق إلى المناسبة بالاستعانة بمعنى الآية الذي أفاده المفسرون:

سبقت الإشارة إلى أن وصف النبوة مشتق إما من النبوة وهي الارتفاع والعلو، أو من النبأ وهو الخبر، والاطلاع على علم ما ورد عليه صلى الله عليه وسلم من الغيب على حقيقته وكماله،[2]فأمّا الاشتقاق الأول فيناسب شطر الآية الأول، وأما الاشتقاق الثاني فيناسب شطر الآية الثاني:

فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ أي: زد في التقوى، يا أعلى الخلائق، وترقى في مراتبها بمقدار الوصف الدال على العلو والارتفاع، ﴿ وَلَا تُطِعِ ﴾ ، الذين يقولون لك: اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك، ﴿ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾ ، الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالا، فلا تقبل منهم رأيا، ولا تستشرهم مستنصحا بهم، فإنهم لك أعداء، ﴿ عَلِيمًا ﴾ ، ذو علم بما تضمره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطوون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه: ﴿ حَكِيمًا ﴾، فإذا قال الله تعالى شيئا، وقال جميع الكافرين والمنافقين – مع أنهم أقارب النبي عليه الصلاة والسلام – شيئا آخر، ورأوا المصلحة فيه وذكروا وجها معقولا، فاتباعهم لا يكون إلا مصلحة..

[1] _ أنظر: التحرير والتنوير: 252/21.

[2] _ أنظر: نظم الدرر: 67/6.

فقال الله تعالى إنه حكيم ولا تكون المصلحة إلا في قول الحكيم، فإذا أمرك الله بشيء فاتبعه ولو منعك أهل العالم عنه.[1]

وليس يناسب هذا التوجيه الرباني غير الوصف الدال على الاطلاع من جهة الله تعالى على أسرار الغيوب وخفايا النفوس، وأين تكمن المصلحة وأين لا تكمن، وهو وصف النبوة، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ أي: من قرآن وسنة:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾، فلا تخفى عليه خافية:﴿ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ ، في جميع أمورك وأحوالك ،﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾، لمن توكل عليه وأناب إليه.[2]

2 ــ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩ ﴾ الأحزاب: ٢٨ – ٢٩.

هذا أول نداء – حسب الترتيب المصحفي – ينادى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة، ولا تكون الأمة داخلة معه في الخطاب؛ بل جاء النّداء خاصا به صلى الله عليه وسلم مقصورا عليه، حتى إن الفقهاء جعلوا آية التخيير هذه من خصائصه صلى الله عليه وسلم.[3]

والعادة أن وصف النبوة يفهم منه اشتراك الأمة مع نبيها صلى الله عليه وسلم في الخطاب، وبالتالي فالوصف لم يوظف هاهنا للتنبيه على أن مضمون الخطاب يعم الأمة؛ وإن كان الدرس الكبير الذي يتضمنه الخطاب، مكشوف للأجيال المسلمة كلها، تستفيد منه على امتداد ما أراد الله لها أن تعيش..

غير أن اختيار وصف النبوة لهذا الخطاب يستهدف غرضا آخر:

روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه سبب نزول هذه الآية فقال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم

---

[1] ــ أنظر: تفسير الرازي: 192/25.

[2] ــ أنظر: تفسير ابن كثير: 112/11.

[3] ــ أنظر: مواهب الجليل لشرح مختصر خليل: 400/3، المجموع شرح المذهب: 142/16.

أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا، قال فقال: لأقولن شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: هن حولي كما ترى يسألنني النفقة، فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها،كلاهما يقول: تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده، فقلن: والله لا نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده، ثم اعتزلهن شهرا أو تسعا وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩ ﴾ الأحزاب: ٢٨ - ٢٩، قال فبدأ بعائشة فقال: يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيري أبويك، قالت: وما هو يا رسول الله ؟، فتلا عليها الآية، قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي، بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، قال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن بعثني معلما ميسرا.[1]

يقول سيد قطب:" يصور لنا هذا الحادث، حقيقة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين عاشوا معه واتصلوا به، وأجمل ما في هذه الحقيقة، أن تلك الحياة كانت حياة إنسان، وحياة ناس من البشر؛ لم يتجردوا من بشريتهم ومشاعرهم وسماتهم الإنسانية، مع كل تلك العظمة الفريدة البالغة التي ارتفعوا إليها؛ ومع كل هذا الخلوص لله والتجرد مما عداه؛ فالمشاعر الإنسانية والعواطف البشرية لم تمت في تلك النفوس، ولكنها ارتفعت وصفت من الأوشاب، ثم بقيت لها طبيعتها البشرية الحلوة، لتصور لنا مشهدا من الحياة البيتية للنبي صلى الله عليه وسلم ونسائه رضي الله عنهن، وهنّ أزواج يراجعن زوجهن في أمر النفقة! فيؤذيه هذا، ولكنه لا يقبل من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أن يضربا عائشة وحفصة على هذه المراجعة."[2]، فالمسألة إذن مسألة ارتفاع نفوس، وعلوّ قيم، والنبي صلى الله عليه وسلم فخم عند ربه جلّ ذكره، وإنّه لعالي المقدار عنده، وبالتالي لا يُتصوَّر فيمن يكون لصيقا به صلى الله عليه وسلم إلا أن يكون عالي الجناب، نبيل المقصد، رفيع الخلال...

[1] _ صحيح مسلم، كتاب الطلاق، باب أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بالنية، رقم: 1475.

[2] _ في ظلال القرآن: 22/2855-2856.

لأجل هذا نودي النبي صلى الله عليه وسلم بالوصف الدّال على العلوّ والارتفاع، وأُمِرَ أن يخيِّر أزواجه بين متاع الدنيا وزينتها، وبين الله ورسوله والدار الآخرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾ ﴾.

وليس المهم أن يكون عنده صلى الله عليه وسلم من المتاع أو لا يكون، ولكن المهم هو اختيار الله ورسوله والدار الآخرة كلية، أو اختيار الزينة والمتاع. سواء كانت خزائن الأرض كلها تحت أيديهن أم كانت بيوتهن خاوية من الزاد، وقد اخترن الله ورسوله والدار الآخرة اختيارا مطلقا لا إكراه فيه ولا كبت ولا ضغط، وكن حيث تؤهلهن مكانتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي ذلك الأفق العالي الكريم اللائق ببيت الرسول العظيم؛ ففرح قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم – كما تذكر الروايات – بارتفاع قلوب أزواجه إلى هذا الأفق السّامي الوضيء.[1]

3 ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥ – ٤٨.

هذه الآية فيها تأنيس للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، وتكريم لجميعهم،[2] وقال ابن عباس: لّما نزلت هذه الآية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا، فبعثهما إلى اليمن، وقال: (اذهبا فبشرا ولا تنفرا، ويسّرا ولا تعسّرا، فإنّه قد أُنْزِل عليَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[3] والمعنى: يا محمّد: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾ في الدّنيا بأحوال الآخرة من الجنّة والنّار

---

[1] ـ في ظلال القرآن: 2856/22.

[2] ـ تفسير القرطبي: 171/17.

[3] ـ رواه الطبراني في الكبير برقم:11841، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: 92/7: رواه الطبراني وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العزرمي، وهو ضعيف اهـ. و الذي أخرجه البخاري برقم:3038، ومسلم برقم: 1733، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه ومعاذا إلى اليمن، فقال: (يسرا ولا تعسرا...) الحديث، وليس فيه ذكر الآية.

والميزان والصراط، وشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا بالطاعة والمعصية والصلاح والفساد: ﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ الناس بالجنة إن هم صدقوك، وعملوا بما جئتهم به من عند ربك: ﴿ وَنَذِيرًا ﴾ من النار أن يدخلوها، فيعذبوا بها إن هم كذبوك، وخالفوا ما جئتهم به من عند الله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ توحيد الله تعالى، وإفراد الألوهية له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان: ﴿ بِإِذْنِهِۦ ﴾ بتسهيله سبحانه لأن دعاء المشرك إلى التوحيد صعب جدا: ﴿ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ هاديا من ظلم الضلالة: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾ قيل هي أرجى آية في كتاب الله تعالى، لأن الحق عز وجل قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يبشر المؤمنين بأن لهم عنده فضلا كبيرا، وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِي رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الشورى: ٢٢.[1]

هذا بالنسبة إلى المعنى العام للآية؛ أما فيما يخص تحديد المناسبة بين ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة في هذه الآية وبين الجو الخاص الذي نزلت فيه، فإن ذلك يصعب الكشف عنه لتعذر العثور على سبب واحد لنزول الآية الكريمة...

غير أنه عند الوقوف على التشابه الحاصل بين مضمون هذا النّداء وبين مضمون النّداء الأول، من حيث تناولهما معا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالإعراض عن السماع لنصح الكافرين والمنافقين، وبالتوكل على الله وحده، والاكتفاء به وكيلا... إلى غير ذلك، عند الوقوف على هذا التشابه، سوف لا يكون هناك مانع من أن نتحدث في هذا النّداء بنفس المناسبة الحاصلة في النّداء الأول.

على أنه مسلك يُستأنَس به فحسب، و إلا فإنّ لكل نداء نودي به النبي صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة مناسبة مستقلة للواقع الذي نزل فيه.

[1] ـ أنظر: تفسير الطبري: 125/19-126، القرطبي: 172/17، تفسير الرازي: 217/25، البحر المحيط: 230/7.

4 ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٠.

انتظمت هذه الآية ضروب النكاح الذي أباحه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم، فمنها قوله: ﴿ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ ، يعني: من تزوج منهن بمهر مسمى وأعطاهن، ومنها: ما ملكت اليمين بقوله: ﴿ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾ ، مثل ريحانة وصفية وجويرية ثم أعتقهما وتزوجهما، وذلك مما أفاء الله عليه من الغنيمة، وذكر تعالى بعد ذلك ما أحل له من أقاربه فقال: ﴿ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ ﴾ ، ثم ذكر ما أحل له من النساء بغير مهر فقال: ﴿ وَٱمۡرَأَةً مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴾ ، وأخبر أنه مخصوص بذلك دون أمته، وأنه وأمته سواء فيمن تقدم ذكرهن.[1]

وأما ما روي في سبب نزول هذه الآية من أن أم هانئ رضي الله عنها قالت: خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني، ثم أنزل الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴾الآية[2]، فإنه ضعيف جدا، ولم يأت هذا الحديث من طريق صحيح يحتج في مواضعه بها.[3]

وعلى كل حال؛ فالمقام مقام تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم وتكريم له، لتخصيصه في هذا الباب – أعني باب النكاح – بخصائص مقصورة عليه دون غيره، مع ما تلتحفه هذه الخصائص من حكم

---

[1] ـ أنظر: أحكام القرآن، الجصاص أبو بكر أحمد الرازي: 365/3، دار الفكر –بيروت– (دت).

[2] ـ رواه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة الأحزاب: 33/5-34، رقم: 3266، وقال: حديث حسن، وقال فيه الألباني: هو ضعيف الإسناد جدا، أنظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي، الألباني محمد ناصر الدين: 214/7.

[3] ـ أنظر: أحكام القرآن لابن العربي: 588/3.

ولطائف كانت تبدو مجهولة بادئ الأمر، ثم بدا فيما بعد أن لكل زواج تزوجه النبي صلى الله عليه وسلم حكمته، وتعلقه بالظروف الخاصة والعامة المحيطة به صلى الله عليه وسلم، وبسير الدعوة.

ووصف النبوة وصف دال على الرفعة المناسبة للتشريف والتكريم، ودال على الاطلاع بالله تعالى على أسرار الغيب المناسب للإشارة إلى الحكم والمقاصد غير الظاهرة.

5 ـ قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ الأحزاب: ٥٩.

يقول تعالى آمرًا رسوله صلى الله عليه وسلّم تسليما، بوصف النبوة الدّال على الرفعة والعلوّ، أن يأمر النساء المؤمنات – خاصة أزواجه وبناته لشرفهن – بأن يدنين عليهن من جلابيبهن، ليتميزن عن سمات نساء الجاهلية وسمات الإماء، اللاتي يمشين حاسرات، أو بقناع مفرد، يعترضهن الرجال، فيتكشفن ويكلمنهن؛ فإذا تجلببت وتسترت كان ذلك حجابا بينها وبين المتعرض بالكلام والإذاية.

والجلباب هو: الرداء فوق الخمار، قاله ابن مسعود، وعبيدة، وقتادة، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، وعطاء الخراساني، وغير واحد.[1]

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾ أي: لما سلف في أيام الجاهلية حيث لم يكن عندهن علم بذلك.[2]

وفي ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة الدّال على الاطلاع بالله تعالى على الحكم المخفية والأسرار الغيبية؛ مناسبة واضحة للواقع المعاش الذي نزلت فيه الآية، ولكل عصر يستشهد فيه بهذه الآية على وجوب ارتداء الحجاب:

إذ قد يتصور أن في إلزام المكلفة بارتداء الحجاب وستر بدنها؛ تضييق لحريتها، وانتقاص من حقها، هذا هو الظاهر، غير أن الحقيقة هي عكس ذلك تماما...

فالحرية للمرأة تتحقق عندما تشعر بأنها تستطيع الذهاب والرواح حيثما شاءت، ومتى شاءت، دون أن تتعرض لأدنى مضايقة أو تحرش، وهذا الذي يوفره الحجاب، وحقها الكامل يكمن في تملكها القدرة

[1] ـ أنظر: ابن كثير: 242/11، أحكام القرآن لابن العربي: 625/3.

[2] ـ أنظر: ابن كثير: ص243.

على حماية محاسنها ومفاتنها من سهام الصاعد والنازل، والشريف والوضيع، وإظهارها لمن تضع فيه الثقة، وتعلم منه الأمان.. من أحل الله له النظر إلى ذلك.

وفي سبب نزول هذه الآية بيان شاف لهذه الحكمة الجليلة، فعن أبي مالك قال: كانت نساء المؤمنين يخرجن بالليل إلى حاجاتهن وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن، فنزلت هذه الآية .

وقال السدى كانت المدينة ضيقة المنازل، وكان النساء إذا كان الليل خرجوا، فقضين الحاجة وكان فساق المدينة يخرجون، فإذا رأوا المرأة عليها قناع قالوا هذه حرة فتركوها، وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا هذه أمة، فكانوا يراودونها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[1]

المطلب الثاني: النّداءات التي وردت في سورتي الممتحنة والطلاق:

جمعت سورتي الممتحنة والطلاق نداءين اثنين نودي فيهما النبي صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة، أحدهما في سورة الممتحنة، والآخر في سورة الطلاق:

الفرع الأول: النّداء الذي ورد في سورة الممتحنة:

وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١٢.

أولا: الموضوع العام لسورة الممتحنة:

كان سبب نزول صدر هذه السورة، ما رواه البخاري من حديث علي رضي الله تعالى عنه قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد، والزبير بن العوام، وكلنا فارس، وقال: انطلقوا حتى

[1] ـ أسباب النزول للواحدي: 130/1.

تَأْتُوا روضة خَاخْ[1]، فإن بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب – ابن أبي بلتعة – إلى المشركين: فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا: الكتاب ؟ فقالت: ما معي كتاب، فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا، فقلنا: ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم! لتخرجن الكتاب أو لنجردنّك، فلمّا رأت الجدّ أهْوَتْ إلى حُجْزَتِها وهي محتجزة بكساء فأخرجته.

فانطلقنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: يا رسول الله، قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنق هذا المنافق، فقال: (ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْتَ ؟)، قال: والله ما بي إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله، أردت أن تكون لي عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلي ومالي، وليس أحد من أصحابك إلا له هنالك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله. فقال: (صدق، لا تقولوا له إلا خيرا)، فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين، فدعني فلأضرب عنق هذا المنافق، فقال: (أليس من أهل بدر ؟) فقال: (لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو: قد غفرت لكم)، فأنزل الله السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ ... إلى قوله تعالى ... فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ الممتحنة: ١. [2]

وسورة الممتحنة سورة مدنية، وعدد آياتها ثلاثة عشر13 آية، وتقع في الترتيب المصحفي في المرتبة الستين60، عقب سورة الحشر، وقبل سورة الصف:

فأما مناسبتها لسورة الحشر فلوجوه:

1 _ لما كان التأديب عقب الإنعام جديرا بالقبول، وكان قد أجرى سبحانه سنته الإلهية بذلك، وكانت سورة الحشر مذكرة بالنعمة في فتح بني النضير ومعلمة بأنه لا ولي إلا الله ، ولذلك ختمها بصفتي العزة والحكمة بعد أن افتتحها بهما، وثبت أن من حكمة حشر الخلق، وأن أولياء الله هم المفلحون، وأن أعداءه هم الخاسرون، وكان الحب في الله والبغض في الله أفضل الأعمال وأوثق عرى

---

[1] – موضع بين مكة والمدينة، بقرب المدينة، وذكر الواقدي أنها بالقرب من ذي الحليفة على بريد من المدينة. أنظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي: 383/12، مكتبة دار السلام –الرياض– ط3، سنة 2000م.

[2] – صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 4274، مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم وقصة حاطب بن أبي بلتعة، رقم:2494.

الإيمان، ولذلك ذم سبحانه من والى أعداءه وناصرهم، وسماهم مع التكلم بكلمة الإسلام منافقين، أنتج ذلك قطعا وجوب البراءة من أعدائه والإقبال على خدمته وولائه، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ الممتحنة: ١. [1]

2 ـ ولما كانت سورة الحشر في المعاهدين من أهل الكتاب، عقبت بسورة الممتحنة، لاشتمالها على ذكر المعاهدين من المشركين، لأنها نزلت في صلح الحديبية.

3 ـ ولما ذكر في الحشر موالاة المنافقين بعضهم بعضا، ثم موالاة الذين من أهل الكتاب، افتتحت سورة الممتحنة بنهي المؤمنين عن اتخاذ الكفار أولياء، لئلا يشابهوا المنافقين في ذلك، وكرر ذلك وبسطه، إلى أن ختم به، فكانت في غاية الاتصال، ولذلك فصل بها بين الحشر والصف، مع تآخيهما في الافتتاح بـــ: (سبح).[2]

وأما مناسبتها لسورة الصف فإنه:

1 ـ لما ختمت الممتحنة بالأمر بتنزيهه سبحانه وتعالى عن تولي من يخالف أمره بالتولي عنهم والبراءة منهم اتباعا لأهل الصافات المتجردين عن كل ما سوى الله لا سيما عمن كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، افتتحت الصف بما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ﴾ الصف: ١، أي: أوقع التنزيه الأعظم للملك الأعظم الذي له ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ من جميع الأشياء التي لا يغفل من أفلاكها ونجومها وغير ذلك من جواهرها وأعراضها في طلوعها وأفولها وسيرها في ذهابها ورجوعها وإنشاء السحاب وإنزال المياه وغير ذلك ،﴿ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ من نزول المياه وإخراج النبات من النجم والشجر وإنضاج الحبوب والثمار – وغير ذلك من الأمور الصغار والكبار ، ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾.[3]

2 ـ و لما تم في سورة الممتحنة ذكر الجهاد في سبيل الله، وقع بسطه في سورة الصف أبلغ بسط.[4]

---

[1] ـ نظم الدرر: 547/7.

[2] ـ أسرار ترتيب القرآن: ص18.

[3] ـ نظم الدرر: 570/7.

[4] ـ أسرار ترتيب القرآن: ص18.

مقصود سورة الممتحنة:

يمكن تقسيم سورة الممتحنة إلى ثلاثة محاور أساسية:

1 ـ المحور الأول: من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ الممتحنة: ١ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ الممتحنة: ٦.

يبدأ هذا المحور بذلك النّداء الودود الموحى من الله تعالى للذين آمنوا به، يدعوهم باسم الإيمان الذي ينسبهم إليه، ويأمرهم بأن لا يتخذوا المشركين والكفار، الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين، أولياء وأصدقاء وأخلاء، بل قد شرع الله عداوتهم ومصارمتهم، لأنهم أخرجوا الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بين أظهرهم، كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده؛ ولهذا قال: ﴿ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾ أي: لم يكن لكم عندهم ذنب إلا إيمانكم بالله رب العالمين.

ثم أمرهم الحق سبحانه وتعالى بأن يكون لهم ائتمام واقتداء وطريقة حسنة: ﴿ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤، من أصحابه، إذ تبرؤوا من قومهم الكفار، وعادوهم وأنكروهم وقطعوا محبتهم، فلهم في ذلك أسوة وتسلية: ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾؛ فإنه لا يجوز الاستغفار للمشركين.[1]

2 ـ المحور الثاني: من قوله تعالى: ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ الممتحنة: ٧، إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الممتحنة: ٩.

أراد الحق سبحانه وتعالى في هذا المحور أن يحذر المؤمنين من أن يحملهم النهي السابق عن موالاة أعداء الله تعالى وأعدائهم على إغفال عدالة هذا الدين...

فالإسلام دين سلام وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله إخوة متعارفين متحابين، وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا؛ إلا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله، فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك!

[1] ـ أنظر: ابن كثير: 514/13.

وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة، انتظارا لليوم الذي يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع، ولا ييأس الإسلام من هذا اليوم الذي تستقيم فيه النفوس، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم.

لأجل هذا وقعت في الآية الأولى من هذا المحور الإشارة إلى هذا الرجاء الذي لا يغلب عليه اليأس؛ في معرض التخفيف على نفوس بعض المهاجرين، وتغذية قلوبهم المتعبة بمشقة المقاطعة والحرب للأهل والعشيرة : ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗ ﴾، وهذا الرجاء من الله تعالى، معناه القطع بتحققه، والمؤمنون الذين سمعوه لا بد أنهم قد أيقنوا به، ولقد وقع بعد أن فتحت مكة، فأسلمت قريش، ووقف الجميع تحت لواء واحد، وطويت الثارات والمواجد، وعاد الجميع إخوة مؤتلفي القلوب.[1]

3 ـ المحور الثالث: من قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ الممتحنة: ١٠، إلى آخر السورة.

لا خلاف في أن هذه الآيات إلى آخر السورة نزلت عقب صلح الحديبية، ومناسبة ورود هذه الآية بعد ما قبلها، أن النهي عن موالاة المشركين يتطرق إلى ما بين المسلمين والمشركين، من عقود النكاح والمصاهرة، فقد يكون المسلم زوجا لمشركة، وتكون المسلمة زوجا لمشرك، فتحدث في ذلك حوادث لا يستغني المسلمون عن معرفة حكم الشريعة في مثلها.[2]

وقد حدث عقب الصلح الذي انعقد بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين في الحديبية سنة ست(6) مجيء أبي جندل بن سهيل بن عمرو يَرسُف في الحديد وكان مسلما، وكان موثقا في القيود عند أبيه بمكة، فانفلت وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الحديبية، وكان من شروط الصلح: أن من أتى محمدا صلى الله عليه وسلم من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد صلى الله عليه وسلم لم يردوه عليه، فرده النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، هاجرت نسوة من المؤمنين إليه صلى الله عليه وسلم هاربات من مكة، فجاء أزواجهن إلى المدينة وطلبوهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : إن طينة الكتاب الذي بيننا وبينك لم تجف بعد، فنزلت هذه الآيات، وأُمِر النبي صلى الله عيه وسلم بامتحانهن بآية المبايعة، فإن

[1] ـ أنظر: في ظلال القرآن: 3544/28.

[2] ـ أنظر: التحرير والتنوير: 154/28.

علمهن مؤمنات، فلا يرجعهن إلى الكفار، فأبى النبي صلى الله عليه وسلم أن يردهن إليهم، وبقين بالمدينة.[1]

ثم إن أهل العلم اختلفوا: هل كان النهي في شأن المؤمنات المهاجرات أن يرجعوهن إلى الكفار نسخا لما تضمنته شروط الصلح الذي كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، أو كان الصلح غير مصرح فيه بإرجاع النساء، لأن الصيغة صيغة جمع المذكر، فاعتبر مجملا وكان النهي الذي في هذه الآية بيانا لذلك المجمل؟

والراجح الثاني، لأن الركون إلى الاحتمال الأول فيه من زعزعة سمعة الإسلام ما فيه، فالمشركون لا يفقهون مسألة النسخ، وإنما يفهمون تصرف النبي صلى الله عليه وسلم، لو كان نص شرط الصلح صريحا، على أنه نقض للميثاق، وخيانة للعهد.

ولأن الذي في سيرة ابن إسحاق من رواية ابن هشام خلي من التصريح، و لم يتطرق فيه إلى مسألة النسخ على الإطلاق، ولذلك كان لفظ الصلح محتملا لإرادة الرجال لأن الضمائر التي اشتمل عليها ضمائر تذكير.[2]

ثم ختمت السورة كما بدأت بالنهي عن موالاة أعداء الله، ممن غضب عليهم الله، سواء من المشركين أو من اليهود، ليتم التميز والانفراد والمفاصلة من جميع الوشائج والروابط غير رابطة العقيدة، وغير وشيجة الإيمان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ الممتحنة: ١٣.

هكذا تتآلف المحاور الثلاثة لسورة الممتحنة فيما بينها وتتضافر، مؤسِّسةً وِحدةً موضوعيةً متكاملةً، وتتكاتف لاستهداف غرض أساسي وجوهري، هو عين مقصود السورة، والذي هو نهي المؤمنين عن موالاة أعداء الله تعالى.

---

[1] _ صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم:2732،2731.

[2] _ أنظر: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ابن هشام أبو محمد عبد الملك، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد: 3/ 366، دار الفكر (دت).

ثانيا: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم في سورة الممتحنة بوصف النبوة لمقصود السورة:

وصف النبوة وصف يفهم منه دخول الأمة عامة في الخطاب، كما أنه وصف دال على الرفعة والعلو... فهل هناك تناسب بين هذا الوصف الحامل لهذه الدلالات، وبين مقصود السورة المذكور آنفا؟

1 ـ إن هذه السورة تعد حلقة في سلسلة التربية الإيمانية، والتنظيم الاجتماعي، والدولة في المجتمع المدني، وهي تستهدف مع غيرها من السور، مما جاء في مثل موضوعها؛ إقامة عالم رباني خالص في ضمير المسلم.

عالم محوره الإيمان بالله وحده، ويشد المسلمين إلى هذا المحور وحده، بعروة واحدة لا انفصام لها؛ ويبرئ نفوسهم من كل عصبية أخرى، عصبية للقوم أو للجنس أو للأرض أو للعشيرة أو للقرابة، ليجعل في مكانها جميعا عقدة واحدة، هي عقدة الإيمان بالله، والوقوف تحت راية الله، في حزب الله.

إن العالم الذي يريده الإسلام عالم رباني وإنساني: رباني بمعنى أنه يستمد كل مقوماته من توجيه الله وحكمه، ويتجه إلى الله بكل شعوره وعمله، وإنساني بمعنى أنه يشمل الجنس الإنساني كله في رحاب العقيدة، وتذوب فيه فواصل الجنس والوطن واللغة والنسب، وسائر ما يميز إنسانا عن إنسان، عدا عقيدة الإيمان.[1]

فالمسألة إذن مسألة بناء مجتمع، وتحديد لمعالم دولة، وليس هناك وصف يلائم هذا المقصد كوصف النبوة الذي يفهم منه العموم.

2 ـ كما أن النهي عن موالاة أعداء الله تعالى وأعداء المؤمنين، فيه رفع لسلطة الإيمان، وتمييز لجماعة المؤمنين عمن يريدون الكيد والمكر لهذا الدين: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ التوبة: ٧١، وهذا الذي يناسبه وصف النبوة الدال على العلو والارتفاع.

ثالثا: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة في هذه السورة لواقع التنزيل:

كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه..، وجاءت المؤمنات مهاجرات، وكانت أم

[1] ـ في ظلال القرآن: 3537/28.

كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى سول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ الممتحنة: ١٠، قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ إلى قوله تعالى: وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١٢، قالت: فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قد بايعتك)، كلاما يكلمها به، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، وما بايعهن إلا بقوله.[1]

ومعنى الآية: إذا جاءك النساء يبايعنك على الإسلام، فطالبهن وشارطهن بهذه الأشياء:

ترك الشرك، وترك السرقة والزنا وقتل الأولاد والافتراء في إلحاق النسب، وألا يعصينك في معروف؛ فلا يخالفنك فيما تأمرهن به، ويدخل في ذلك ترك النياحة، وشق الجيوب ونتف الشعر عند المصيبة وتخميش الوجوه، والتبرج وإظهار الزينة... وغير ذلك مما هو من شعائر الدين في الجملة.[2]

ولما كانت هذه التشريعات الواردة في الآية الكريمة، لا تخصه وإنما تعم المؤمنين؛ جاء الخطاب مشتملا على ما يفيد ذلك، وهو وصف النبوة الذي يفهم منه العموم، قال ابن العربي: " إذا أراد الله أن يكون اللفظ للنبي صلى الله عليه وسلم، والخطاب له وللمؤمنين، لاطفه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾، وإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعا له، قال :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾."[3]

الفرع الثاني: النّداء الوارد في سورة الطلاق:

وهو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن

---

[1] ـ صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة، رقم:2712،2711.

[2] ـ أنظر: تفسير الماوردي، مصدر سابق: 4/228-229.

[3] ـ أحكام القرآن لابن العربي: 4/270.

يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ الطلاق: ١ – ٣.

أولا: الموضوع العام لسورة الطلاق:

سميت هذه السورة الكريمة بسورة الطلاق؛ حيث دارت معظم آيات السورة حول أحكام الطلاق وما يترتب عليه وما يتعلق به.

كما سميت بسورة النساء الصغرى؛ لاشتمالها على بعض أحكام النساء، وإنصافها لهن، قال ابن مسعود رضي الله عنه :"...نزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى".[1]

وقال السيوطي في الإتقان: "سورة النساء الكبرى أو الطولى؛ تمييزا لها عن سورة النساء الصغرى أو القصرى"[2]، وفي هذا ما يدل على تكريم الإسلام للمرأة ورعايته لها.[3]

وسورة الطلاق مدنية في قول الجميع، وهي اثنتا عشرة آية(12)،[4] وتقع في الترتيب المصحفي في المرتبة الخامسة والستين(65)، عقب سورة التغابن، وقبل سورة التحريم.

فأما مناسبتها لسورة التغابن؛ فإنه لما تقدم قوله تعالى في التغابن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ التغابن: ١٤، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ التغابن: ١٥، والمؤمن قد يعرض له ما يضطره إلى فراق من نبه على فتنته وعظيم محنته؛ وردت هذه السورة منبهة على كيفية الحكم في هذا الافتراق، وموضحة أحكام

---

[1] ـ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ البقرة: ٢٣٤، رقم:4532.

[2] ـ الإتقان في علوم القرآن: 73/1.

[3] ـ التفسير الموضوعي لسورة الطلاق، الشرقاوي أحمد بن محمد، ص2، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط1، سنة 2007م.

[4] ـ أنظر: القرطبي: 26/21، المحرر الوجيز: 322/5، زاد المسير: 287/8.

الطلاق، وأن هذه العداوة وإن استحكمت ونار هذه الفتنة، إن اضطرمت لا توجب التبرؤ بالجملة وقطع المعروف: ﴿ لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ ﴾ الطلاق: ١.[1]

وأما اتصالها بسورة التحريم؛ فلاتحاد مرماهما وتقارب معناهما والتحام مقاصدهما، حتى عدتا سورتين متآخيتين كالأنفال وبراءة.[2]

وقد افتتحتا معا بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم، واشتملت سورة الطلاق على طلاق النساء، واشتملت الأخرى على تحريم الإيلاء، وبينهما من المناسبة مالا يخفى.

ولما كانت الأولى في خصام نساء الأمة، ذكر في الثانية خصومة نساء النبي صلى الله عليه وسلم، إعظاما لمنصبهن أن يذكرن مع سائر النسوة، فأفردن بسورة خاصة.[3]

مقصود السورة:

يبين الله سبحانه وتعالى في سورة الطلاق أحكام الطلاق، ويفصل فيها الحالات التي لم تفصل في سورة البقرة التي تضمنت بعض أحكام الطلاق، ويقرر فيها أحكام الحالات المتخلفة عن الطلاق من شؤون الأسرة:

فقد تضمنت هذه السورة بيان الوقت الذي يمكن أن يقع فيه الطلاق الذي يقبله الله، ويجري وفق سنته: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ ﴾ الطلاق: ١.

وحق المطلقة وواجبها في البقاء في بيتها، وهو بيت مطلقها فترة العدة، لا تَخرج ولا تُخرج إلا أن تأتي بفاحشة مبينة: ﴿ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ ﴾ الطلاق: ١.

وحقها بعد انقضاء العدة في الخروج لتفعل بنفسها ما تشاء، ما لم يكن الزوج قد راجعها وأمسكها في فترة العدة، لا ليضارها ويؤذيها بهذا الإمساك، ويعطلها عن الزواج، ولكن لتعود الحياة الزوجية بينهما بالمعروف: ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ ﴾ الطلاق: ٢، وهذا مع الإشهاد على الإمساك أو الفراق: ﴿ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ﴾ الطلاق: ٢.

---

[1] _ أنظر: نظم الدرر: 27/8.

[2] _ أنظر: نظم الدرر: 45/8-46.

[3] _ أنظر: أسرار ترتيب القرآن: ص19.

وفي سورة البقرة بين الحق تعالى مدة العدة للمطلقة ذات الحيض وهي ثلاثة قروء، بمعنى ثلاث حيضات أو ثلاثة أطهار من الحيضات على خلاف فقهي، وهنا بين هذه المدة بالنسبة للآيسة التي انقطع حيضها، وللصغيرة التي لم تحض: ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ ﴾ الطلاق: ٤.

وبين عدة الحامل: ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ ﴾ الطلاق: ٤.

ثم فصل حكم المسكن الذي تعتد فيه المعتدة، ونفقة الحمل حتى تضع: ﴿ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيۡهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمۡلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيۡهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ ﴾ الطلاق: ٦.

ثم حكم الرضاعة لولد المطلقة حين تضعه، وأجر الأم على الرضاعة في حالة الاتفاق بينها وبين أبيه على مصلحة الطفل بينهما، وفي حالة إرضاعه من أخرى: ﴿ فَإِنۡ أَرۡضَعۡنَ لَكُمۡ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأۡتَمِرُواْ بَيۡنَكُم بِمَعۡرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرۡتُمۡ فَسَتُرۡضِعُ لَهُۥٓ أُخۡرَىٰ ٦ ﴾ الطلاق: ٦.

ثم زاد حكم النفقة والأجر في جميع الحالات تفصيلا، فجعله تابعا لحالة الزوج وقدرته: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا ٧ ﴾ الطلاق: ٧.

وهكذا تتبعت النصوص سائر مسائل الطلاق، وما يتخلف عنها، بأحكام مفصلة دقيقة، ولم تدع شيئا من أنقاض الأسرة المفككة بالطلاق إلا أراحته في مكانه، وبينت حكمه، في رفق وفي دقة وفي وضوح.[1]

وبالتالي فمقصود السورة، والموضوع العام الذي تستهدفه هو: الطلاق وأحكامه وما يترتب عليه، مع تقرير هذه الأحكام، وتهيئة النفس لتقبلها والامتثال لها في كل مرة.[2]

---

[1] _ أنظر: في ظلال القرآن: 3594/28.

[2] _ أنظر: التفسير الموضوعي لسورة الطلاق، مرجع سابق، ص3.

ثانيا: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة في سورة الطلاق لمقصود السورة:

إن توجيه الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أسلوب من أساليب آيات التشريع المهتم به، فلا يقتضي ذلك تخصيص ما يذكر بعده بالنبي صلى الله عليه وسلم، لأن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يتولى تنفيذ الشريعة في أمته وتبيين أحوالها.

فإن كان التشريع الوارد يشمله ويشمل الأمة معه؛ جاء الخطاب مشتملا على ما يفيد العموم، و نودي صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة الدال على ذلك، و إن كان التشريع خاصا بالرسول صلى الله عليه وسلم جاء الخطاب بما يقتضي ذلك، كما سنراه لاحقا.[1]

وبما أن مسألة الطلاق وأحكامه المذكورة في هذه السورة عامة للمسلمين، فاستخدام وصف النبوة الدال على العموم أنسب وأليق، وضمير الجمع في قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ﴾وما بعده من الضمائر؛ مراد بها هو صلى الله عليه وسلم وأمته.

وقد تم توجيه الخطاب إليه صلى الله عليه وسلم، لأنه المبلغ للناس وإمام أمته وقدوتهم، والمنفذ لأحكام الله فيهم فيما بينهم من المعاملات، فالتقدير إذا طلقتم أيها المسلمون،[2] وكذلك للتنبيه على جلالة هذه الأحكام، وبذل الجهد في تفهيمها والعمل بها، فلذا أقبل على الأمة حين انتبهوا وألقوا أسماعهم.[3]

ثالثا: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة في هذه السورة لواقع التنزيل:

جاء في الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مُرْهُ فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء.)، قال ابن عمر:

---

[1] _ أنظر: المبحث الثالث من هذا الفصل.

[2] _ أنظر: التحرير والتنوير: 294/28.

[3] _ أنظر: نظم الدرر، مصدر سابق: 23/8.

وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ الطلاق: ١.[1]

يفيد هذا الحديث أن هناك وقتا معينا لإيقاع الطلاق؛ وأنه ليس للزوج أن يطلق حينما يشاء، إلا أن تكون امرأته في حالة طهر من حيض، و لم يقع بينهما في هذا الطهر وطء.

والحكمة في ذلك التوقيت هي: أولا، إرجاء إيقاع الطلاق فترة بعد اللحظة التي تتجه فيها النفس للطلاق، وقد تسكن الفورة إن كانت طارئة وتعود النفوس إلى الوئام، كما أن فيه تأكدا من الحمل أو عدمه قبل الطلاق، فقد يمسك عن الطلاق لو علم أن زوجه حامل.

وهذه أول محاولة لرأب الصدع في بناء الأسرة، ومحاولة دفع المعول عن ذلك البناء.[2]

ثم أمر الله تعالى المطلِق بأن لا يخرج مطلقته من بيته، وأمرها هي أن لا تخرج منه إلا أن ترتكب فاحشة ظاهرة، وهي الزنا في قول ابن مسعود وابن عباس والشعبي والحسن وزيد بن أسلم والضحاك وعكرمة وحماد والليث بن سعد وأبي يوسف، وفسرت كذلك بالبذاء على الجيران والأحماء أو على الزوج؛ بحيث أن بقاء أمثالهن في جوار أهل البيت يفضي إلى تكرر الخصام، فيكون إخراجها من ارتكاب أخف الضررين، ونسب هذا إلى أبي بن كعب،[3] وهذه محاولة أخرى للم شمل الأسرة، والجمع بين الزوجين؛ ذلك أن الحكمة من إبقاء المطلقة في بيت الزوج هي إتاحة الفرصة للرجعة، واستثارة عواطف المودة، وذكريات الحياة المشتركة، حيث تكون الزوجة بعيدة بحكم الطلاق قريبة من العين؛ فيفعل هذا في المشاعر فعله بين الاثنين!

ثم كما صدرت الآية بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة الدال على الاطلاع بالله تعالى على الحكم الخفية وراء التشريعات، وعلى الأمور الغيبية التي تعجز عقول البشر عن إدراكها والوصول إليها؛ ختمت بقوله تعالى: ﴿ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ۝١ ﴾ الطلاق: ١، أي: فمن ذا الذي يعلم غيب الله وقدره المخبوء وراء أمره بالعدة، وأمره ببقاء المطلقات في بيوتهن..؟

---

[1] ـ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب بدون ترجمة، رقم:4908، ومسلم، كتاب الطلاق، باب تحريم طلاق الحائض بغير رضاها..، رقم:1471.

[2] ـ أنظر: في ظلال القرآن: 3599/28.

[3] ـ أنظر: التحرير والتنوير: 301/28.

فقد يكون في ذلك الخير كله، وقد تتغير الأحوال وتتبدل إلى هناءة ورضى، فقدر الله دائم الحركة، دائم التغيير، ودائم الأحداث، والتسليم لأمر الله أولى، والرعاية له أوفق، وتقواه ومراقبته فيها الخير كله!

والنفس البشرية قد تستغرقها اللحظة الحاضرة، وما فيها من أوضاع وملابسات، وقد تغلق عليها منافذ المستقبل، فتعيش في سجن اللحظة الحاضرة، وتشعر أنها سرمد، وأنها باقية، وأن ما فيها من أوضاع وأحوال سيرافقها ويطاردها، وليست هذه هي الحقيقة.

فقدر الله دائما يعمل، ودائما يغير، ودائما ينشئ ما لا يجول في حسبان البشر من الأحوال والأوضاع، ففرج بعد ضيق، وعسر بعد يسر، وبسط بعد قبض، والله كل يوم هو في شأن، يبديه للخلق بعد أن كان عنهم في حجاب.

ويريد الله أن تستقر هذه الحقيقة في نفوس البشر، لتظل نفوسهم متحركة بالأمل، ندية بالرجاء، لا تغلق المنافذ ولا تعيش في سجن الحاضر، فاللحظة التالية قد تحمل ما ليس في الحسبان: ﴿ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ ﴾ الطلاق: ١.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: النّداءان اللذان وردا في سورة التحريم:

وهما قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٢ ﴾ التحريم: ١ - ٢، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٩ ﴾ التحريم: ٩.

الفرع الأول: الموضوع العام لسورة التحريم:

سورة التحريم مدنية في قول الجميع، وهي اثنتا عشرة آية(12)، وتسمى كذلك: "سورة النبي"،[1] وتقع في الترتيب المصحفي في المرتبة السادسة والستين(66)، عقب سورة الطلاق وقبل سورة الملك:

فأما مناسبتها لسورة الطلاق فقد سبق بيانه،[2] وأما مناسبتها لسورة الملك؛ فإنه لما كان قد أوقع في آخر سورة التحريم ما فيه أعظم عبرة لمن تذكر، وأعلى آية لمن استبصر، من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين قد بعثهما الله تعالى رحمة لعباده واجتهدا في دعاء الخلق، فحرم الاستنارة بنورهما والعياذ بهداهما من لم يكن أحد من جنسهما أقرب إليهما منه، ولا أكثر مشاهدة لما مدا به من الآيات وعظيم المعجزات، ومع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، ثم أعقبت هذه العظة بما جعل في طرف منها ونقيض من حالها، وهو ذكر امرأة فرعون التي لم يغرها مرتكب صاحبها وعظيم جرأته، مع شدة الوصلة واستمرار الألفة لما سبق لها في العلم القديم من السعادة وعظيم الرحمة، فقالت: ﴿ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ ﴾ التحريم: ١١، وحصل في هاتين القصتين، تقديم سبب رحمة، حرم التمسك به أولى الناس في ظاهر الأمر، وتقديم سبب امتحان، عصم منه أقرب الناس إلى التورط فيه، ثم أعقب ذلك بقصة عريت عن مثل هذين السببين وانفصلت في مقدماتها عن تينك القصتين، وهو ذكر مريم ابنة عمران، ليعلم العاقل حيث يضع

---

[1] _ أنظر: تفسير القرطبي: 67/21، الكشاف: 124/4.

[2] _ أنظر: ص 161.

الأسباب، وأن القلوب بيد العزيز الوهاب، لما كان أوقع ذلك كله في سورة التحريم؛ أعقب تعالى ذلك بقوله: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ﴾ الملك: ١.

وإذا كان الملك سبحانه وتعالى بيده الملك؛ فهو الذي يؤتي الملك والفضل من يشاء، وينزعه ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، كما صرحت به الآية الأخرى في آل عمران، فقد اتضح اتصال سورة الملك بما قبلها، ثم بنيت سورة الملك على التنبيه والاعتبار ببسط الدلائل ونصب البراهين حسبما يبسطه التفسير.[1]

مقصود السورة:

سورة التحريم تعرض في صدرها صفحة من الحياة البيتية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وصورة من الانفعالات والاستجابات الإنسانية بين بعض نسائه وبعض، وبينهن وبينه !، وانعكاس هذه الانفعالات والاستجابات في حياته صلى الله عليه وسلم وفي حياة الأمة المسلمة كذلك، ثم في التوجيهات العامة للأمة على ضوء ما وقع في بيوت رسول الله وبين أزواجه.[2]

ولما عرض الحق سبحانه مشهدا من الحياة البيتية للنبي صلى الله عليه وسلم، وأشار إلى اتصاف أزواجه بصفات كريمة، وكان اتصافهن بذلك الذي أداهن إلى السعادة العظمى، إنما هو بحسن تأديب أوليائهن لهن، وإكمال ذلك الأدب بحسن عشرته صلى الله عليه وسلم وتأدبهن بكريم أخلاقه؛ أثمر ذلك أمر الأمة بالتأسي به في هذه الأخلاق الكاملة والتأسي بأوليائهن في ذلك ليعرفن حق الله وحق الأزواج، فقال تعالى متبعا لهذه الموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب العشرة الطيبة بين الأزواج وبين أفراد الأسرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦ ﴾ التحريم: ٦.

ثم تجيء الجولة الثالثة والأخيرة من هذه السورة، وكأنها التكملة المباشرة للجولتين السابقتين، إذ تتحدث عن نساء كافرات في بيوت أنبياء وكيف كانت عشرتهن لأزواجهن الصالحين، ونساء مؤمنات في وسط كفار، وكيف كانت عشرتهن لأزواجهن الكفار: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا

---

[1] _ أنظر: نظم الدرر: 8/63-64، أسرار ترتيب القرآن: ص20.

[2] _ أنظر: في ظلال القرآن: 28/3610.

وَقِيلَ ٱدۡخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ التحريم: ١٠ – ١٢[1]

فالجولات الثلاثة تتكامل إذن فيما بينها لتستهدف موضوعا واحدا هو: العشرة الزوجية وكيفية الحفاظ عليها وتعزيز استدامتها، وهذا الموضوع هو عين مقصود السورة.

الفرع الثاني: مناسبة ندائه عليه السلام بوصف النبوة في سورة التحريم لمقصود السورة:

لا شك أن الموضوع الذي تستهدفه سورة التحريم – أعني العشرة الزوجية وكيفية الحفاظ عليها – هو موضوع حساس يفتقر إليه كل المجتمع المسلم؛ ويحتاج إلى إرشاد وتوجيه فيما يخصه.

فهو إذن لا يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وحده، وإن جاءت الآيات لتصف صورة من الحياة البيتية للنبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه رضي الله عنهن؛ وإنما صُوِّرت تلك المشاهد من معيشة النبي صلى الله عليه وسلم مع أزواجه، ليتأسى بها المسلمون، ويكون لهم في نبيهم صلى الله عليه وسلم وأزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهم أسوة وقدوة.

لذا فليس هناك وصف يلائم هذا السياق، كوصف النبوة الدال على أن الخطاب يعم الأمة، وعلى دفع دعوى الخصوص.

ثالثا: مناسبة ندائه صلى الله عليه و سلم بوصف النبوة في سورة التحريم لواقع التنزيل:

أ ــ بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ ﴾:

روي في سبب نزول هذه الآية، أن عُبَيد بن عمير قال: سمعت عائشة رضي الله عنها تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا، فتواصيت أنا

[1] ــ أنظر: المصدر نفسه: 3621/28.

وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير؛[1]أكلت مغافير ؟، فدخل على إحداهما النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ذلك له، فقال: (لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش، ولن أعود له). فنزلت: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ ﴾ ؟، إلى: ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ التحريم: ٤، لعائشة وحفصة، ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾ التحريم: ٣، لقوله: (بل شربت عسلا)، وقال إبراهيم بن موسى، عن هشام: (ولن أعود له، وقد حلفت، فلا تخبري بذلك أحدا). [2]

وقيل أنها نزلت في امرأة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فردها، وقيل إنها نزلت في أم إبراهيم مارية القبطية حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه.. قال ابن العربي: فأما القول الأول فضعيف في السند لعدم عدالة رواته، وضعيف في معناه لأن رد النبي صلي الله عليه وسلم للموهوبة ليس تحريما لها، لأن من رد ما وهب له لم يحرم عليه، إنما حقيقة التحريم بعد التحليل.

وأما ما روي من أنه صلى الله عليه وسلم حرم مارية القبطية على نفسه فهو أمثل في السند، وأقرب إلى المعنى، لكنه لم يدون في الصحيح، وروي مرسلا[3]، وبالتالي فإن حديث تحريم العسل الذي في الصحيح أصح وأرجح لأن يكون سببا لنزول الآية الكريمة.

و لم يختلف أهل العلم في أن التي أسر إليها النبي صلى الله عليه وسلم الحديث هي حفصة، وأن التي نبأتها حفصة هي عائشة[4]، وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنه قال: مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجا فخرجت معه، فلما رجع

---

[1] ـ المغافير بالغين المعجمة والفاء وبإثبات التحتانية بعد الفاء: جمع مُغفور بضم أوله، وهو صمغ حلو له رائحة كريهة. أنظر: فتح الباري: 468/9.

[2] ـ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١ ﴾ التحريم: ١، رقم: 4912، ومسلم، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفارة على من حرم امرأته و لم ينو الطلاق، رقم: 1474.

[3] ـ أنظر: أحكام القرآن لابن العربي: 239/4.

[4] ـ أنظر: التحرير والتنوير: 351/28.

ببعض الطريق قلت: يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله من أزواجه ؟، فقال: تلك حفصة وعائشة وساق القصة.[1]

وهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر حفصة بأنه حرم العسل على نفسه وأمرها بستره؛ ذهبت فأنبأت زميلتها عائشة المتآمرة معها، فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على الأمر، فعاد إليها وذكر لها بعض ما دار بينها وبين زميلتها دون استقصاء لجميعه، تمشيا مع أدبه الكريم، فقد لمس الموضوع لمسا مختصرا لتعرف أنه يعرف وكفى، فدهشت هي وسألته: ﴿ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا ﴾ ، ولعله دار في خلدها أن الأخرى هي التي نبأته !، و لكنه أجابها:﴿ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾، فالخبر من المصدر الذي يعلم القصة بأكملها، ومضمون كذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم كل ما دار وجرى، لا الطرف الذي حدثها به فحسب !، لأجل هذا لما نزلت الآية معقبة على ما حدث؛ صدرت بندائه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة الدال على الإطلاع بالله تعالى على الأمور الغيبية، والحوادث المخفية.

ب ـ بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ التحريم: ٩:

لم أعثر في كتب التفسير، ولا في الكتب المتخصصة في استقصاء أسباب نزول الآيات، سببا لنزول هذه الآية.. غير أن ارتباطها بما قبلها وما بعدها في هذه السورة وثيق جدا:

فإنه تعالى لما وصف في صدر السورة العشرة الطيبة التي كانت قائمة بين النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه، ثم أمر سائر المؤمنين بالتأسي بهذا البيت الراقي، والاقتداء بالحياة البيتية للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ التحريم: ٦؛ حذر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من أن يلتفتوا إلى إرجافات الكفار والمنافقين الذين لا يدعون أدنى ثغرة لأجل الطعن في النبي صلى الله عليه وسلم وحياته الزوجية، وأمرهم أن يدفعوا ذلك كله، وأن يجاهدوهم بكل أنواع الجهاد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ التوبة: ٧٣، مناديا النبي صلى الله عليه بوصف النبوة الدال على أن الخطاب لا يخصه هو فحسب، بل على الأمة

[1] ـ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا ﴾ التحريم: ٣، رقم:4914. ومسلم، كتاب الطلاق، باب في إيلاء واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ ﴾ التحريم: ٤، رقم:1479

الإسلامية كلها أن تتواصى بالإسلام، وتحتضن فكرته وأخلاقه وآدابه وتصوراته كلها، فتعيش بها فيما بينها وتبني أسرها على تعاليمه، وتعيش لها تحرسها وتحميها من كيد الكافرين والمنافقين، وتدعو إليها الناس في كل عصر ومصر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: نداؤه صلى الله عليه و سلم في القرآن بوصف الرسالة:

لقد وقع نداء النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بوصف الرسالة في موضعين اثنين فقط، وكلاهما في سورة المائدة. هذان النّداءان هما: قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾ المائدة: ٤١، وقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧.

المطلب الأول: الموضوع العام لسورة المائدة:

سورة المائدة سورة مدنية بإجماع، وعدد آياتها مائتان وعشرون آية(120)، وروي أنها نزلت منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية[1]، ومنها ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح، وتسمى بالعقود كذلك وبالمنقذة والمبعثرة،[2] وهي أول سورة ابتدأت بـــ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، وتكرر فيها هذا النّداء 16 مرة من أصل 88 مرة وردت في القرآن كله.

كما أنها تعد من أواخر ما أنزل من القرآن الكريم:

[1] _ أنظر: تفسير القرطبي: 243/7.

[2] _ أنظر: البحر المحيط: 427/3.

فعن عبد الله بن عمرو قال: آخر سورة أنزلت: سورة المائدة وسورة الفتح، ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب حسن. وقد روي عن ابن عباس أنه قال: آخر سورة أنزلت: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾ النصر: ١.[1]

وقد روى الحاكم في مستدركه، من طريق عبد الله بن وهب بإسناده نحو رواية الترمذي، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.[2]

وروى الحاكم أيضا: عن جبير بن نُفَيْر قال: حججت فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فقالت لي: يا جبير، تقرأ المائدة ؟، فقلت: نعم. فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم فيها من حرام فحرموه. ثم قال:صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.[3]

وتقع سورة المائدة في الترتيب المصحفي في المرتبة الخامسة(5)، عقب سورة النساء الكبرى، وقبل سورة الأنعام:

فأما مناسبتها لسورة النساء فإنها واضحة جلية، حتى إنهما لتعدان سورة واحدة من شدة التلاحم والترابط، وذلك أن سورة النساء اشتملت على عدة عقود صريحا وضمنا، فالصريح: عقود الأنكحة، وعقد الصداق، وعقد الحلف، في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ۝٣٣﴾ النساء: ٣٣، وعقد الأيمان في هذه الآية، وبعد ذلك عقد المعاهدة والأمان في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ﴾ النساء: ٩٠، وقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوۡمٍ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞ فَدِيَةٞ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ وَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مُّؤۡمِنَةٖ﴾ النساء: ٩٢، والضمني: عقد الوصية، والوديعة، والوكالة، والعارية، والإجارة، وغير ذلك من الداخل في عموم قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ النساء: ٥٨، فناسب كل ذلك أن يعقب بسورة مفتتحة بالأمر بالوفاء بالعقود، فكأنه قيل في المائدة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ

---

[1] ـ رواه الترمذي في سننه، كتاب التفسير، باب ومن سورة المائدة، برقم:3063.

[2] ـ رواه الحاكم في مستدركه، باب تفسير سورة المائدة، برقم: 3168.

[3] ـ المصدر نفسه، برقم: 3167.

﴿ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ ﴾ التي فرغ من ذكرها في السورة التي تمت آنفا، فكان ذلك غاية في التلاحم والتناسب والارتباط.

ووجه آخر في تقديم سورة النساء، وتأخير سورة المائدة، وهو: أن تلك أولها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ النساء: ١، وهو خطاب عام وقد وقع منها في مواضع، وهو أشبه بخطاب المكي، وتقديم العام وشبه المكي على الخاص المدني الذي في المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أنسب وأليق.

ثم إن هاتين السورتين: النساء والمائدة، في التقديم والاتحاد نظير البقرة وآل عمران؛ فتلكما في تقرير الأصول، من الوحدانية، والكتاب، والنبوة، وهاتان في تقرير الفروع الحكمية، وقد ختمت المائدة بصفة القدرة: ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠ ﴾ المائدة: ١٢٠، كما افتتحت النساء بذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ النساء: ١، وكما افتتحت سورة النساء ببدء الخلق؛ ختمت المائدة بالمنتهى من البعث والجزاء، فكأنما هما سورة واحدة اشتملت على الأحكام من المبتدأ إلى المنتهى.

ولما وقع في سورة النساء: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ ﴾ النساء: ١٠٥، وكانت نازلة في قصة سارق سرق درعا، فصل في سورة المائدة أحكام السراق والخائنين.

ولما ذكر في سورة النساء أنه أنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم الكتاب ليحكم بين الناس، ذكر في سورة المائدة آيات في الحكم بما أنزل الله حتى بين الكفار، وكرر قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ المائدة: ٤٤، ٤٥، ٤٧. [1]

وأما مناسبتها لسورة الأنعام فإنه:

لما ذكر في آخر المائدة: ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٢٠ ﴾، على سبيل الإجمال، افتتح هذه السورة بشرح ذلك وتفصيله، فبدأ بذكر: أنه خلق السموات والأرض، وضم إليه

[1] ـ أسرار ترتيب القرآن: ص7.

أنه جعل الظلمات والنور، وهو بعض ما تضمنه قوله: ﴿ وَمَا فِيهِنَّ ﴾ في آخر المائدة، وضمن قوله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الأنعام: ١، أن له ملك جميع المحامد، وهو من بسط: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ في آخر المائدة، فقد ذكر: أنه خلق النوع الإنساني، وقضى له أجلا مسمى، وجعل له أجلا آخر للبعث، وأنه منشئ القرون قرنا بعد قرن، ثم قال: ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ الأنعام: ١٢، فأثبت له ملك جميع المنظورات، ثم قال: ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٣، فأثبت له ملك جميع المظروفات لظرفي الزمان، ثم ذكر أنه خلق سائر الحيوان من الدواب والطير، ثم خلق النوم واليقظة، والموت والحياة، ثم أكثر في أثناء السورة من ذكر الخلق والإنشاء لما فيهن، من النجوم، وفلق الإصباح، وخلق الحب والنوى، وإنزال الماء، وإخراج النبات والثمار بأنواعها، وإنشاء جنات معروشات وغير معروشات، والأنعام، ومنها حمولة وفرشا، وكل ذلك تفصيل لملكه ما فيهن، وهذه مناسبة جليلة.

وكذلك لما ذكر في سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ المائدة: ٨٧ إلى آخره، فأخبر عن الكفار أنهم حرموا أشياء مما رزقهم الله افتراء عليه، وكان القصد بذلك تحذير المؤمنين أن يحرموا شيئا مما أحل الله، فيشابهوا بذلك الكفار في صنيعهم، وكان ذكر ذلك على سبيل الإيجاز، ساق هذه السورة لبيان ما حرمه الكفار في صنيعهم، فأتى به على الوجه الأبين والنمط الأكمل، ثم جادلهم فيه، وأقام الدلائل على بطلانه، وعارضهم وناقضهم، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه القصة فكانت هذه السورة شرحا لما تضمنته المائدة من ذلك على سبيل الإجمال، وتفصيلا وبسطا، وإتماما وإطنابا.[1]

مقصود السورة:

يقول ابن عاشور: "تصدير السورة بالأمر بالإيفاء بالعقود مؤذن بأنه سترد بعده أحكام وعقود كانت عقدت من الله على المؤمنين إجمالا وتفصيلا، ذكرهم بها لأن عليهم الإيفاء بما عاقدوا الله عليه،

[1] ـ أسرار ترتيب القرآن: ص8.

وهذا كما تفتتح الظهائر السلطانية بعبارة: هذا ظهير كريم، يُتقبل بالطاعة والامتثال، وذلك براعة استهلال."[1]

ثم تمضي السورة بعد هذا الافتتاح في بيان تلك العقود والأحكام:

فتأخذ في بيان الحلال والحرام من الذبائح والمطاعم والمشارب والمناكح، وفي بيان الكثير من الأحكام الشرعية والتعبدية، وفي بيان حقيقة العقيدة الصحيحة، وفي بيان حقيقة العبودية وحقيقة الألوهية، وفي بيان علاقات الأمة المؤمنة بشتى الأمم والملل والنحل، وفي بيان تكاليف الأمة المؤمنة في القيام لله تعالى والشهادة بالقسط والوصاية على البشرية بكتابها المهيمن على كل الكتب قبلها، والحكم فيها بما أنزل الله كله؛ والحذر من الفتنة عن بعض ما أنزل الله؛ والحذر من عدم العدل تأثرا بالمشاعر الشخصية والمودة والشنآن..[2] وهي في كل مرة تستخدم لفظ العقد أو الميثاق الذي هو من أوثق أنواع العهود: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧ ﴾ المائدة: ٧، ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗا ﴾ المائدة: ١٢، ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗ ﴾ المائدة: ١٣، ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَسَوۡفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١٤ ﴾ المائدة: ١٤، ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗا ﴾ المائدة: ٧٠، ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾ المائدة: ٨٩ ...

كل هذا يعطي كلمة: "العقود" معنى أوسع من المعنى الأول الذي يتبادر إلى الأذهان لأول وهلة، ويتضح منه أن مقصود سورة المائدة هو: إلزام المؤمنين بالوفاء بالعقود والمواثيق، وفي أولها عقد الإيمان بالله تعالى؛ ومعرفة حقيقة ألوهيته سبحانه، ومقتضى العبودية لألوهيته، هذا العقد الذي تنبثق منه، وتقوم عليه سائر العقود، وسائر الضوابط في الحياة.

[1] ـ التحرير والتنوير: 74/6.

[2] ـ أنظر: في ظلال القرآن: 835/2.

المطلب الثاني: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف الرسالة في سورة المائدة لمقصود السورة:

إن الله سبحانه وتعالى قد أخذ على رسله الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، العهد والميثاق في إقامة دين الله، وإبلاغ رسالته، والتعاون والتناصر والاتفاق،كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران: ٨١.[1]

وهذا الميثاق المجمل هنا بينته آيات كثيرة، وجماعها أن يقولوا الحق ويبلغوا ما أمروا به دون ملاينة للكافرين والمنافقين، ولا خشية منهم، ولا مجاراة للأهواء، ولا مشاطرة مع أهل الضلال في الإبقاء على بعض ضلالهم، وأن الله واثقهم ووعدهم على ذلك بالنصر والظهور.[2]

ولا شك أن مسؤولية الرسول أثقل وأعسر على أنه مبعوث بشريعة مستقلة وناسخة، من مسؤولية النبي على أنه مبعوث بشرع من قبله، إذ أن الرسول سوف يكلف الناس بأحكام لم يألفوها، ويحملهم على شريعة ناسخة لما روضت عليه نفوسهم، بخلاف النبي الذي وظيفته التذكير بأحكام سبق بيانها من كان قبله.

وعلى قدر حجم المسؤولية يكون وزن الميثاق وقدره.. لهذا لا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم، و هم الخمسة المذكورون نصا ، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٧، ولا خلاف كذلك أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو أفضلهم على الإطلاق...[3]

---

[1] _ أنظر: تفسير ابن كثير: 121/11.

[2] _ أنظر: التحرير والتنوير: 274/21.

[3] _ أنظر: تفسير ابن كثير: 30/9.

ولما كان مقصود سورة المائدة هو: إلزام المؤمنين بالوفاء بالعقود والمواثيق، وعلى رأسها عقد الإيمان بالله تعالى، نودي النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة بوصف الرسالة الدال على الميثاق الغليظ الذي أخذه الله تعالى منه صلى الله عليه وسلم من أجل تبليغ الشريعة الإسلامية الخاتمة، المستقلة والناسخة لكل الشرائع قبلها.

المطلب الثالث: مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف الرسالة في سورة المائدة لواقع التنزيل:

أولا: بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾ المائدة: ٤١.

روى البراء بن عازب رضي الله عنه سبب نزول هذه الآية فقال: مر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بيهودي محمما مجلودا، فدعاهم فقال: أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قالوا: نعم، قال: فدعا رجل من علمائهم فقال: أنشدك الله الذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام، هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟ قال: لا، ولولا أنك نشدتني لم أخبرك، نجد حد الزاني في كتابنا الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الوضيع أقمنا عليه الحد، فقلنا: تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فاجتمعنا على التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه)، فأمر به فرجم، فأنزل الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾ إلى قوله: ﴿ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ ﴾، يقولون ائتوا محمدا فإن أفتاكم بالتحميم والجلد فخذوا به، وإن أفتاكم بالرجم ﴿ فَٱحۡذَرُواْ ﴾ إلى قوله

تعالى: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ المائدة: ٤٤، و: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ المائدة: ٤٥، و: ﴿ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المائدة: ٤٧ ، قال في الكفار كلها.[1]

هكذا في هذه الرواية: (مرَّ على النَّبي صلّى الله عليه وسلّم).

وقد ساقها أبو داود من حديث أبي هريرة سياقة حسنة فقال: زنى رجل من اليهود وامرأة، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى هذا النبي، فإنه نبي بعث بالتخفيفات، فإن أفتى بفتيا دون الرجم قبلناها واحتججنا بها عند الله، وقلنا فتيا نبي من أنبيائك، قال: فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في أصحابه، فقالوا: يا أبا القاسم ما ترى في رجل وامرأة منهم زنيا؟، فلم يكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى بيت مدراسهم، فقام على الباب، فقال: (أنشدكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما تجدون في التوراة على من زنى إذا أحصن)، فقالوا: يحمم وجهه ويجبه ويجلد، – والتجبية أن يحمل الزانيان على حمار وتقابل أقفيتهما ويطاف بهما –، قال: وسكت شاب منهم – هو ابن صوريا –، فلما رآه النبي صلى الله عليه وسلم سكت أَلَظَّ – أي ألح – به النشدة، فقال: اللهم إذ نشدتنا، فإنا نجد في التوراة الرجم، وساق الحديث إلى أن قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فإني أحكم بما في التوراة) فأمر به فرجما.[2]

ولم يذكروا شيئا يدل على سبب الإشارة إلى ذكر المنافقين في صدر هذه الآية بقوله :﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ ﴾. ولعل المنافقين ممن يبطنون اليهودية كانوا مشاركين لليهود في هذه القضية، أو كانوا ينتظرون أن لا يوجد في التوراة حكم رجم الزاني فيتخذوا ذلك عذرا لإظهار ما أبطنوه من الكفر، بعلة تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم.[3]

---

[1] ـ صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا، رقم: 1699.

[2] ـ رواه أبو داود، كتاب الحدود، باب في رجم اليهوديين، برقم:4450

[3] ـ أنظر: التحرير والتنوير: 6/195-196.

ولا يهمنا في الحقيقة سبب التجاء اليهود إلى تحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أيًّاما كان السبب، فهذه الحادثة مؤذنة باختلال نظام الشريعة بين اليهود يومئذ، وضعف ثقتهم بعلومهم وتوراتهم المحرفة، ومؤذنة كذلك بزحف الشريعة الإسلامية على باقي الشرائع.

وهذا كاف بالنسبة إليَّ لكي أقول: أنه لما كان الأمر كذلك؛ نودي صلى الله عليه وسلم بوصف الرسالة الدال على أنه صلوات الله وسلامه عليه مبعوث إلى العالمين بشريعة مستقلة وخاتمة، وناسخة لكل الشرائع قبلها.

لذلك قال الحق سبحانه وتعالى فيما بعد: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ المائدة: ٤٨، يقول ابن عاشور حول هذه الآية: " لقد جالت الآيات المتقدمة جولة في ذكر إنزال التوراة والإنجيل، وآبت منها إلى المقصود وهو إنزال القرآن؛ فكان كرد العجز على الصدر لقوله تعالى:﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾، ليبين أن القرآن جاء ناسخا لما قبله، وأن مؤاخذة اليهود على ترك العمل بالتوراة والإنجيل مؤاخذة لهم بعملهم قبل مجيء الإسلام، وليعلمهم أنهم لا يطمعون من محمد صلى الله عليه وسلم بأن يحكم بينهم بغير ما شرعه الله في الإسلام، فوقع قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ ، إتماما لترتيب نزول الكتب السماوية، وتمهيدا لقوله تعالى:﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ ، ووقع قوله تعالى:﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾ ، موقع التخلص المقصود، فجاءت الآيات كلها منتظمة متناسقة على أبدع وجه".[1]

[1] ـ التحرير والتنوير: 6/220-221.

ثانيا: بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧ ﴾ المائدة: ٦٧.

يقول تعالى مخاطبا عبده ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بوصف الرسالة، وآمرا له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل صلوات الله وسلامه عليه ذلك، وقام به أتم القيام.

ففي البخاري من حديث مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾.[1] وله أيضا من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السُّوَائِيِّ قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن ؟، فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن، وما في هذه الصحيفة. قلت: وما في هذه الصحيفة ؟، قال: العقل، وفكاك الأسير، وألا يقتل مسلم بكافر.[2]

وقد شهدت له أمته صلى الله عليه وسلم ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفا، كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يومئذ: (وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟)، قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويقلبها إليهم ويقول: (اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات).[3]

وقد تعددت الروايات في سبب نزول هذه الآية، غير أنها تتفق كلها على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يجعل من الصحابة من يحرسه خوفا من كيد الكافرين والمنافقين واليهود، فأنزل الله تعالى عليه هذه الآية، فاستغنى النبي صلى الله عليه وسلم بعصمة الله تعالى له عن الحراسة.

---

[1] ـ صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ المائدة: ٦٧، رقم:4612.

[2] ـ صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير، رقم: 3047.

[3] ـ صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم: 1218.

قالت عائشة رضي الله عنها: سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فقلت: يا رسول الله ما شأنك؟، قال: ألا رجل صالح يحرسنا الليلة، فقالت: بينما نحن في ذلك سمعت صوت السلاح، فقال: من هذا؟، قال: سعد وحذيفة جئنا نحرسك، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعت غطيطه، ونزلت هذه الآية، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من قبة آدم وقال: (انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله).[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلا نظروا أعظم شجرة يرونها، فجعلوها للنبي صلى الله عليه وسلم فينزل تحتها وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجر. فبينما هو نازل تحت شجرة وقد علق السيف عليها، إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم، فأيقظه فقال: يا محمد! من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾.[2]

لكن، ما هي مناسبة ندائه صلى الله عليه وسلم بوصف الرسالة، للواقع الذي تصوره أسباب نزول هذه الآية؟

إنّ أسباب نزول هذه الآية تكشف حالة من الترقب والحذر كان يعيشها النبي صلى الله عليه وسلم في فترة كان اليهود فيها يقومون بمناوراتهم ومكائدهم اتجاه الإسلام والمسلمين؛ وكان المنافقون يأرزون إليهم كما تأرز الحية إلى الجحر!، وكان هؤلاء وهؤلاء يسارعون في الكفر مستغلين أدنى فرصة وأضعف سبب؛ وكان فعلهم هذا يحزن الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤذيه، ويشعره بأن حياته عرضة للغدر في أية لحظة؛ لذا كان يجعل من أصحابه من يحرسه، ويسهر على سلامته.

غير أن الحق سبحانه وتعالى أراد أن يطمئن نبيه صلى الله عليه وسلم، ويلقي عليه وشاح الأمن والسكينة، ويبشره بأن القوم لن يصلوا إليه ولو اجتمعوا له، وما عليه هو إلا البلاغ التام للشريعة

---

[1] ـ رواه البيهقي في سننه، كتاب السير، باب مبتدأ الفرض على النبي صلى الله عليه وسلم ثم على الناس وما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى قومه في تبليغ الرسالة على وجه الاختصار: 8/9.

[2] ـ أخرجه ابن حبان في صحيحه، برقم: 1739، وصححه الألباني في الصحيحة المختصرة: 644/5.

الإسلامية الخاتمة؛ فأنزل الله تعالى عليه: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾، مناديا إياه بوصف الرسالة الدال على العصمة من القتل، على أننا ذكرنا في الفرق بين الرسول والنبي؛ أن النبي غير معصوم من القتل لأنه غير مبعوث بشريعة جديدة، وإنّما يُذَكِّرُ بشرع من قبله، بينما الرسول معصوم من القتل لأنه مبعوث بشريعة مستقلة يجب حمل الناس عليها.

فنداؤه صلّى الله عليه وسلّم بوصف الرسالة، مُؤْذِنٌ له بأنّه مَكفِيٌّ من جهة الله تعالى، معصوم من القتل، وذلك براعة استهلال، ثمّ أكّد هذا الإشعار بقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾.

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـــــاتمة

الحمد لله حمدا يوافي ما تزايد من النعم، والشكر له على ما أولانا من الفضل والكرم، لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه، وبعد:

فهذه أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث:

1 ـ لأنّ النّداء يتمتّع بمزايا بلاغية هامة، فإنّ البليغ يلجأ أحيانا إليه من أجل تمرير أغراض بلاغية، قد يعسُرُ عليه الإفصاح عنها، أو يرى أن إيصالها للمخاطب بغير الإفصاح عنها؛ أشدُّ وطأةً في التأثير، وأوسع دلالةً في التعبير، فيوظف حينئذ الأسلوب الناقص في النداء – وذلك إما بحذف المنادى والإبقاء على حرف النداء، وإما بحذف حرف النداء "يا" والإبقاء على المنادى – أو يقوم بالتصرف في أدوات النداء، أو يلاحظ السياق فيختار الملائم ويعمل القرائن.

2 ـ تتمتّع الجملة الندائية في القرآن الكريم، باعتبارها بنية خطابية محاطة ببنى خطابية أخرى، بحرية تموقع واضحة، فقد استعملت في أول الكلام، وفي وسط الكلام، وفي آخره، ولا شك أن وراء كل استعمال؛ أغراضا ومعان بلاغية، سواء علمناها أم جهلناها، يريد الشارع الحكيم تمريرها بشكل متقن وسلس.

3 ـ يتعدّد النّداء في القرآن الكريم ، بتعدد الجمل الجوابية التي تعقبه؛ فكانت أمرا، وكانت نهيا، واستفهاما وتوكيدا وشرطا .. وغير ذلك، وسوف يحدث هذا التعدد في البنى النحوية التي تلي النّداء؛ تنوعا واضحا في وظائف النّداء. يخلُقُ ذلك التّنوع الوظيفيُّ؛ معان جديدة، وأغراضا بلاغية مقصودة، يريد الشارع الحكيم إيصالها للقارئ أو السامع.

4 ـ للمنادى في النحو العربي خمسة أقسام هي: المفرد العلم، والنكرة المقصودة، والنكرة غير المقصودة، والمضاف، والشبيه بالمضاف، وبالتالي فإن النّداء في القرآن الكريم ينقسم باعتبار أقسام المنادى إلى خمسة أنواع كذلك.

5 ـ لقد أحصيت 17 موضعا في القرآن الكريم، جاء فيها نداء الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: اثنان منها بوصف الرسالة، و13 موضعا بوصف النبوة، وواحد ب "يا أيها المدثر" ، وآخر ب "يا أيها المزمل".

6 ـ خص نداء النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بخاصيتين اثنتين، أولاهما: نداؤه صلى الله عليه وسلم بالوصف لا بالاسم؛ كرامة له وتشريفا، وربئا بمحله، وتنويها بفضله على سائر الرسل والأنبياء، وثانيهما: تقييد ندائه صلى الله عليه وسلم بـــ "يا أيها"؛ لاستقلالها بأوجه من التوكيد وأسباب من المبالغة وقع ذكرها في الرسالة.

6 ـ إن التنوع الذي شهده نداء النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم من جهة الوصف: مرة بوصف المدثر، ومرة بوصف المزمل، ومرة بوصف النبوة، ومرة بوصف الرسالة، لم يأت هكذا جزافا؛ وإنما تبين لي من خلال هذا البحث أن لكل وصف مناسبة شديدة بينه وبين مقصود السورة التي ورد فيها من جهة، وبينه وبين الحالة النفسية التي كانت تكتنف النبي صلى الله عليه وسلم – أو هو وأصحابه – وقت نزول النّداء الرباني من جهة أخرى، وهو ما سميته في البحث بواقع التنزيل.

وفي البحث تتبع لكل وصف نودي به النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم، وتتبع لكل نداء على حدا، وبيان مناسبته لمقصود السورة التي ورد فيها، وكذا مناسبته لواقع التنزيل.

7 ـ يمكن وضع التعريفين التاليين لكل من "الرسول" و"النبي"، والذين يحددان بوضوح الفرق بينهما:

فالرسول: هو الرجل المبعوث من الله تعالى إلى الناس بشريعة مستقلة.

والنبي: هو الرجل المبعوث من الله تعالى إلى الناس بشريعة سابقة.

كما يمكن انطلاقا مما سبق التطرق إليه في البحث، تحديد أهم مميزات كل من الرسول والنبي:

1 – فوصف النبوة وصف دال على الإطلاع من جهة الله تعالى على أسرار الغيب، والحكم الخفية من وراء التشريعات الربانية.

2 – وهو وصف دال على العلو والارتفاع، على أنه مشتق من النَّبْوَة التي هي المرتفع.

3 – وهو وصف إذا نودي به النبي صلى الله عليه وسلم، دل على أن الخطاب يعم الأمة، بخلاف وصف الرسالة الذي يدل على الخصوص.

4 – كما أن وصف الرسالة هو وصف دال على الميثاق الغليظ الذي أخذه الله تعالى منه صلى الله عليه وسلم من أجل تبليغ الشريعة الإسلامية الخاتمة، المستقلة والناسخة لكل الشرائع قبلها.

5 – وهو وصف دال كذلك على أنه صلى الله عليه معصوم من القتل.

أهم التوصيات

إن الإعتناء بالدراسات المتعلقة بخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم تعلقا مباشرا، لأمر جليل، يشرف به طالب العلم الشرف الكبير، والقرآن الكريم يضم قطاعا مهما من مسائل تتعلق بالرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، جديرة بأن تكون موضوعا لبحث أكاديمي متخصص، يصدر عنه الباحث بفوائد ونظم وأطر تنير حياة المسلم، كمعاملة النبي صلى الله عليه وسلم لأهله في القرآن الكريم، وعلاقة النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه في القرآن الكريم، ودراسة آيات العتاب دراسة موضوعية...إلى غير ذلك، لذا أود أن أوصي نفسي أولا وزملائي بصرف النظر إلى مثل هذه المواضيع التي تفيد نفعا للأمة الإسلامية، والله الموفق.

هذا وأسأل الله تعالى حسن القبول، وحسن الختام، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فهذا ملخص الرسالة المقدمة لنيل درجة الماجستير من كلية أصول الدين، قسم الكتاب والسنة، وهي بعنوان: **نداءات الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم**، وتتضمن الرسالة مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:

فأما المقدمة؛ فذكرت فيها أهمية الموضوع المختار للبحث وأسباب اختياري له، معرجا على إشكالية الموضوع، منتهيا بخطة البحث، والمنهج المتبع في إنجازه.

وأما الفصل الأول؛ فأردته فصلا تمهيديا، وجعلته تحت عنوان: النّداء وأنواعه في القرآن الكريم، وضمنته ثلاثة مباحث، تحت كل مبحث ثلاثة مطالب، هذه المباحث هي:

_ المبحث الأول: تعريف النّداء وذكر فوائده البلاغية.

_ المبحث الثاني: أنواع النّداء في القرآن الكريم.

_ المبحث الثالث: خصائص نداء النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم.

وأما الفصل الثاني؛ فخصصته لنداءات الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم التي جاءت بوصفي المدثر والمزمل، وجعلته تحت عنوان: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصفي المدثر والمزمل، كما ضمنته ثلاثة مباحث، تحت كل مبحث ثلاثة مطالب، هذه المباحث هي:

_ المبحث الأول: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف المدثر.

_ المبحث الثاني: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف المزمل.

_ المبحث الثالث: الأحكام المستفادة مما وراء النّداءين.

وأما الفصل الثالث؛ فخصصته لنداءات الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم بوصفي النبوة والرسالة، وجعلته تحت عنوان: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصفي النبوة والرسالة، وضمنته كذلك ثلاثة مباحث، تحت كل مبحث ثلاثة مطالب، هذه المباحث هي:

_ المبحث الأول: تعريف الرسول والنبي وبيان الفرق بينهما.

_ المبحث الثاني: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف النبوة.

_ المبحث الثالث: نداؤه صلى الله عليه وسلم بوصف الرسالة.

وأخيرا ختمت الرسالة بخاتمة، ذكرت فيها ما توصل إليه البحث، ومجمله ما يأتي:

1 _ يتمتع النّداء بمزايا بلاغية هامة، شأنه شأن سائر ضروب الإنشاء.

2 ـ تتمتّع الجملة النّدائية في القرآن الكريم، بحرية تموقع واضحة، فقد استعملت في أول الكلام، وفي وسط الكلام، وفي آخره، ولا شكّ أنّ وراء كل استعمال؛ أغراضا ومعان بلاغية، سواء علمناها أم جهلناها، يريد الشارع الحكيم تمريرها بشكل متقن وسلس.

3 ـ يتعدّد النّداء في القرآن الكريم ، بتعدّد الجمل الجوابية التي تعقبه؛ فكانت أمرا، وكانت نهيا، واستفهاما وتوكيدا وشرطا .. وغير ذلك.

4 ـ للمنادى في النحو العربي خمسة أقسام هي: المفرد العلم، والنكرة المقصودة، والنكرة غير المقصودة، والمضاف، والشبيه بالمضاف، وبالتالي فإن النّداء في القرآن الكريم ينقسم باعتبار أقسام المنادى إلى خمسة أنواع كذلك.

5 ـ لقد أحصيت 17 موضعا في القرآن الكريم، جاء فيها نداء الله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: اثنان منها بوصف الرسالة، و13 موضعا بوصف النبوة، وواحد ب "يا أيها المدثر" ، وآخر ب "يا أيها المزمل".

6 ـ خص نداء النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم بخاصيتين اثنتين، أولاهما: نداؤه صلى الله عليه وسلم بالوصف لا بالاسم؛ كرامة له وتشريفا، وربئا بمحله، وتنويها بفضله على سائر الرسل والأنبياء، وثانيهما: تقييد ندائه صلى الله عليه وسلم بـــ "يا أيها"؛ لاستقلالها بأوجه من التوكيد وأسباب من المبالغة وقع ذكرها في الرسالة.

7 ـ إن التنوع الذي شهده نداء النبي صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم من جهة الوصف: مرة بوصف المدثر، ومرة بوصف المزمل، ومرة بوصف النبوة، ومرة بوصف الرسالة، لم يأت هكذا جزافا؛ وإنما تبين لي من خلال هذا البحث أن لكل وصف مناسبة شديدة بينه وبين مقصود السورة التي ورد فيها من جهة، وبينه وبين الحالة النفسية التي كانت تكتنف النبي صلى الله عليه وسلم – أو هو وأصحابه – وقت نزول النّداء الرباني من جهة أخرى، وهو ما سميته في البحث بواقع التنزيل.

8 ـ يمكن وضع التعريفين التاليين لكل من "الرسول" و"النبي"، والذين يحددان بوضوح الفرق بينهما:

فالرّسول: هو الرجل المبعوث من الله تعالى إلى الناس بشريعة مستقلة.

والنّبي: هو الرجل المبعوث من الله تعالى إلى الناس بشريعة سابقة.

هذا وصلّى الله وسلّم وبارك على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

- قائمة المصادر والمراجع .
- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث والآثار .
- فهرس الأشعار .
- فهرس الموضوعات .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم).
2. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، باب معرفة أول ما نزل، دار المعرفة – بيروت– (دت).
3. أحكام القرآن، ابن العربي أبو بكر محمد بن عبد الله، مراجعة وتعليق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –بيروت– ط3، سنة 2003م.
4. أحكام القرآن، الجصاص أبو بكر أحمد الرازي، دار الفكر –بيروت– (دت).
5. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم أبو محمد علي الأندلسي الظاهري، ت: لجنة من العلماء، دار الجيل –بيروت– ط2، سنة1987م.
6. الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي أبو الحسن سيف الدين علي بن محمد، – دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1983م.
7. الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، القرافي شهاب الدين أبو العباس الصنهاجي، ت: أبو بكر عبد الرزاق، المكتب الثقافي – القاهرة– ط1، سنة 1989م.
8. الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم أبو محمد علي الأندلسي الظاهري، باب الأخلاق والعادات، دار البعث –قسنطينة– ط1، 1982م.
9. ارتشاف الضرب من لسان العرب، الأندلسي أبو حيان، تحقيق وشرح ودراسة رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي –القاهرة– ط1، سنة 1998م.
10. أساس البلاغة، الزمخشري أبو القاسم جار الله، ت: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة للطباعة والنشر.
11. أسرار ترتيب القرآن، السيوطي جلال الدين، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار بوسلامة –تونس– ط1، سنة 1983م.
12. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي محمد الأمين، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد –مكة المكرمة– ط1، سنة 1426هـ.

13. الاقتراح في بيان الاصطلاح، ابن دقيق العيد أبو الفتح محمد بن علي، ت: عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية –بيروت– ط1، سنة 1996م.
14. الألباني محمد ناصر الدين في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي – بيروت– ط2، سنة 1985م.
15. الأنبياء والرسل والفرق بينهم، سليم اسحق الحشيم، (دت).
16. أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي شهاب الدين أبو العباس الصنهاجي، عالم الكتب – بيروت– (دت).
17. البحر الزخار (مسند البزار)، البزار أبو بكر أحمد بن عمرو العتكي، ت: محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة– ط1، سنة 2003م.
18. البداية والنهاية، ابن كثير أبو الفداء، دار الآثار –القاهرة– ط1، سنة 1999م.
19. البرهان في علوم القرآن، الزركشي بدر الدين، ت: أبو الفضل محمد إبراهيم، دار المعرفة – بيروت– ط2.
20. البلاغة العربية: أسسها وعلومها وفنونها، الميداني عبد الرحمن حسن حبنكة، دار القلم –دمشق– ط1، سنة 1996م.
21. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي أبو فيض السيد محب الدين، ت: علي شيري، دار الفكر –بيروت– ط1، سنة1994م.
22. تحفة المودود بأحكام المولود، ابن القيم الجوزية أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر، دار الكتاب العربي –بيروت– ط2، سنة 1983م.
23. تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، ابن مالك، ت: محمد كامل بركات، (دت) –القاهرة– سنة 1967م.
24. التسهيل لتأويل التنزيل، العدوي أبو عبد الله مصطفى، تفسير جزء تبارك، مكتبة مكة –طنطا، مصر– ط1، سنة 2002م.
25. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، ت: جماعة من الأساتذة، مؤسسة قرطبة –الجيزة، مصر– ط1، سنة 2000م.
26. تفسير الألوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، الألوسي أبو الفضل شهاب الدين محمد، ضبط: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1994م.

27. تفسير البحر المحيط، الأندلسي أبو حيان محمد بن يوسف، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1993م.
28. تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، البيضاوي أبو الخير ناصر الدين عبد الله الشيرازي، دار الفكر –بيروت– ط1، سنة 1982م.
29. تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر –تونس– ط1، سنة 1984م. وتفسير الطبري: 339/6.
30. تفسير الرازي (التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب)، الرازي محمد فخر الدين، دار الفكر – بيروت– ط1، سنة 1981م.
31. تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر –الجيزة، مصر– ط1، سنة 2001م.
32. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة –بيروت– ط1، سنة 2006م.
33. تفسير الماوردي (النكت والعيون)، الماوردي أبو الحسن علي بن حبيب، ت: خضر محمد خضر، مطابع مقهوي –الكويت– ط1، سنة 1982م.
34. تفسير المراغي، المراغي أحمد مصطفى، مكتبة مصطفى البابي وأولاده –مصر– ط1، سنة 1946م.
35. التفسير الموضوعي لسورة الطلاق، الشرقاوي أحمد بن محمد، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط1، سنة 2007م.
36. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، النسفي أبو البركات عبد الله، دار الفكر – بيروت_ (دت).
37. تفسير فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني محمد بن علي بن محمد، ضبط وتصحيح: أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1994م.
38. تقريب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت– ط1، سنة 1993م.
39. جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، دار إحياء التراث العربي –بيروت– (دت).
40. جامع الدروس العربية، الغلاييني مصطفى، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 2000م.

41. جمهرة اللغة، أبو دريد أبو بكر محمد بن الحسن، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين – بيروت– ط1، سنة 1987م.
42. الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي الحسن بن القاسم، ت: فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1992م.
43. جواهر البلاغة في المعاني و البيان و البديع، الهاشمي أحمد، دار الفكر –بيروت– ط12، سنة 1987م.
44. حجة الله البالغة، للدهلوي شاه ولي الله بن عبد الرحيم، دار التراث –القاهرة– ط1، سنة 1978م.
45. الخصائص، ابن جني أبو الفتح عثمان، ت: محمد علي النجار، القاهرة، ط1، سنة 1956م.
46. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي أحمد بن يوسف، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم –دمشق– (دت).
47. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، السيوطي جلال الدين، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات –القاهرة– ط1، سنة 2003م.
48. دلائل النبوة، أبو نعيم الأصبهاني، دار النفائس –بيروت– (دت).
49. دلائل النبوة، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر –بيروت– ط2، سنة 1983م.
50. الرد على النحاة، القرطبي ابن مضاء، ت: شوقي ضيف، دار الفكر العربي–القاهرة– ط1، سنة 1947م.
51. رياض الصالحين، النووي أبو زكريا يحي بن شرف، ت: جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي – بيروت– ط1، سنة 1996م.
52. زاد المسير في علم التفسير، الجوزي أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن محمد، دار الفكر – بيروت– ط1، سنة 1987م.
53. الزهد، أحمد بن حنبل، ت: محمد جلال شرف، دار النهضة العربية –بيروت– ط1، سنة 1981م.
54. السلسة الصحيحة، الألباني محمد ناصر الدين، مكتبة المعارف –الرياض– (دت).
55. سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، ت: محي الدين عبد الحميد، دار الفكر –دمشق– (دت).

56. سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ابن هشام أبو محمد عبد الملك، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر (دت).
57. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، نشر محي الدين عبد الحميد –القاهرة– سنة 1961م.
58. شرح الأربعين النووية، العيد بن دقيق، دار ابن حزم –بيروت– ط1، سنة 2001م.
59. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني، ت: محي الدين عبد الحميد،دار الكتاب العربي – بيروت–ط1، سنة 1955
60. شرح التلخيص في علوم البلاغة، القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، شرح محمد هاشم دويدي، دار الجيل –بيروت– ط2، سنة 1982م.
61. شرح السيرافي على كتاب سيبويه، أبو سعيد السيرافي، ت: رمضان عبد التواب ومحمود فهمي حجازي ومحمد هاشم عبد الدايم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، سنة 1986م.
62. شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير، ابن النجار محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي، ت: محمد الزحيلي ونزيه حماد، مكتبة العبيكان –الرياض– ط1، سنة 1993م.
63. شرح المفصل، ابن يعيش موفق الدين، تقديم: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 2001م.
64. شرح المكودي على ألفية بن مالك، المكودي عبد الرحمن، دار الرحاب للطباعة والنشر والتوزيع –الجزائر– (دت).
65. شرح شذور الذهب، الأنصاري بن هشام، ت: محي الدين عبد الحميد، (دت) –القاهرة– سنة 1964م.
66. شرح قطر الندى وبل الصدى، لابن هشام عبد الله جمال الدين أبي محمد الأنصاري، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الثقافة –القاهرة– (دت).
67. شرح كافية ابن الحاجب، الأستراباذي رضي الدين محمد بن الحسن، ت: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب –القاهرة– ط1، سنة 2000م.
68. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض أبو الفضل اليحصبي، دار الفكر –بيروت– (دت).
69. صحيح ابن حبان، أبو حاتم بن حبان، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة –بيروت– ط2، (دت).

70. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار بن كثير –بيروت– ط3، (دت).
71. صحيح السيرة النبوية، الألباني محمد ناصر الدين، المكتبة الإسلامية –عمان، الأردن– ط1 (دت).
72. صحيح مسلم، مسلم بن حجاج، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت–، (دت).
73. الطراز، العلوي يحي بن حمزة، طبعة المقتطف –مصر– سنة 1914م.
74. علم المعاني، دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، بسيوني عبد الفتاح فيود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع –القاهرة– ط2، سنة 2004م.
75. علوم البلاغة: البيان و المعاني و البديع، المراغي مصطفى، دار الآفاق العربية –القاهرة– ط1، سنة 2000م.
76. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي، مكتبة دار السلام – الرياض– ط3، سنة 2000م.
77. فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب الحنبلي، باب: معنى العلم، .http://www.alwarraq.com
78. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق –بيروت– ط12، سنة 1986م
79. القاموس المحيط، الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، دار الكتاب العربي – بيروت– ط1، سنة 1983م.
80. كتاب الجرح والتعديل، الرازي أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم، دار الكتب العلمية – بيروت– ط1، سنة 1952م.
81. الكتاب، سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة– ط3، سنة 1988م.
82. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود، ت: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان –الرياض– ط1، سنة 1998م.
83. اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الدمشقي أبو حفص عمر بن علي، ت: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد عوض، دار الكتب العلمية –بيروت– ط1، سنة 1998م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

84. لسان العرب، لابن منظور أبو الفضل جمال الدين الإفريقي، دار المعارف –القاهرة-.
85. مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ابن باديس عبد الحميد، دار البعث –قسنطينة- ط1، سنة 1983م.
86. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر، مكتبة القدسي – القاهرة- (دت).
87. المجموع شرح المهذب، النووي أبو زكريا محيي الدين (دت).
88. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، المقدمة، دار الكتب العلمية –بيروت- ط1، سنة 2001م.
89. مختار الصحاح، الرازي فخر الدين، ضبط وشرح وتعليق مصطفى ديب البغا، دار الهدى – الجزائر- ط4، سنة 1990م.
90. مختار الصحاح، الرازي محمد بن أبي بكر، ت: لجنة من علماء العربية، دار الفكر –بيروت- ط1، سنة 1981م.
91. مختصر خليل، المالكي خليل بن اسحق، دار الفكر –بيروت- ط1، سنة 1999م.
92. المخصص، ابن سيده أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي، دار الفكر –بيروت- (دت)
93. المستدرك على الصحيحين، وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي –بيروت- (دت).
94. مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، دار إحياء التراث العربي –بيروت- (دت).
95. مشكاة المصابيح، التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب، ت: الألباني محمد ناصر الدين، المكتب الإسلامي –بيروت- ط3، سنة 1985م.
96. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، الفيومي أحمد بن محمد المقري، دار القلم – بيروت- (دت).
97. المعجم الأوسط، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت: طارق بن عوض الله، وعبد المحسن بن ابراهيم، دار الحرمين –القاهرة- (دت).
98. المعجم الكبير، الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت: حمدي عبد المجيد (دت)، ط1، سنة 1980م.
99. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، دار المعرفة –بيروت- ط1، سنة 1998م.

100. المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري جار الله، ت: علي بوملجم، دار ومكتبة الهلال -بيروت- ط1، سنة 1993م.
101. مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لعلال الفاسي، دار الغرب الإسلامي –بيروت- ط4، سنة 1993م.
102. المقتضب، المبرد محمد بن يزيد أبو العباس، ت: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب –بيروت- (دت).
103. مكفرات الذنوب وموجبات الجنة، الشيباني ابن الديبع، هذبه وزاد عليه عبد القادر أحمد عطا، باب احذر نفسك أن تحبط عملك، دار بوسلامة –تونس- ط1، سنة 1983م.
104. مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، الحطاب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن المغربي، دار الفكر –بيروت- ط3، سنة 1992م.
105. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الشعب –مصر-، (دت).
106. الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز وجل واختلاف العلماء في ذلك، النحاس أبو جعفر أحمد بن محمد، ت: سليمان بن إبراهيم اللاحم، مؤسسة الرسالة –بيروت- ط1، سنة 1991م.
107. نثر الورود على مراقي السعود، الشنقيطي محمد الأمين بن المختار، ت: محمد ولد حبيب الشنقيطي، دار ابن حزم –بيروت- ط1، سنة 2002م.
108. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف –مصر- ط3، (دت).
109. النّداء في القرآن الكريم، مبارك تريكي، إشراف: محمد الحباس، رسالة دكتوراه، جامعة ابن يوسف بن خدة.
110. النّداء في اللغة و القرآن، فارس أحمد محمد، دار الفكر اللبناني –بيروت- ط1، سنة 1989م. .
111. النشر في القراءات العشر، ابن الجزري شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع (دت).
112. نظم الدرر في تناسب الآي والسور، البقاعي برهان الدين أبو الحسن، دار الكتب العلمية – بيروت- ط1، سنة 1995م.
113. الواضح في علم العربية، الزبيدي، ت: أحمد علي السيد، (دت) –القاهرة- سنة 1971م.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآيـــــــة مع رقمها والسورة	الصفحة
● ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ الفاتحة: ٥	111،105،97
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١ ﴾ البقرة: ٢١	41،38
● ﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ البقرة: ٤٠	41،48،55
● ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ۝٥٩ ﴾ البقرة: ٥٩	100
● ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٦١ ﴾ البقرة: ٦١	125
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٤ ﴾ البقرة: ١٠٤	43
● ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ البقرة: ١٢٦	41
● ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٢٧ ﴾ البقرة: ١٢٧	41،18
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢ ﴾ البقرة: ١٧٢	94
● ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ البقرة: ١٨٧	94
● ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ	40

خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ البقرة: ١٩٧	
● ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ البقرة: ٢٠١	41
● ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٤	38
● ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٧	38
● ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٠٨	39،38
● ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٢	93
● ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾ البقرة: ٢٢٨	95
● ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ البقرة: ٢٦٠	27
● ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٢٨٦	42
● ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾ آل عمران: ٨	43

جمعية الأمير للعلوم الإسلامية

● ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ آل عمران: ٤٥	40
● ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ آل عمران: ٥٥	56
● ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ آل عمران: ٦٤	49
● ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ آل عمران: ٦٦	48
● ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران: ٨١	177
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٠	39
● ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ آل عمران: ١٤٤	56
● ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى	90

ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٥٩	174،32
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ النساء: ١	
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ النساء: ١٩	94
● ﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ﴾ النساء: ٣٣	173
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ النساء: ٤٣	94
● ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ النساء: ٥٨	173
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ النساء: ٥٩	48
● ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴾ النساء: ٦٣	112
● ﴿ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُۢنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ﴾ النساء: ٧٣	24
● ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ	173،136

صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾ النساء: ٩٠	
• ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ ﴾ النساء: ٩٢	173
• ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ النساء: ١٠٥	174
• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ ﴾ المائدة: ١	174،32
• ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ المائدة: ٣	94
• ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾ المائدة: ٦	94
• ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴾ المائدة: ٧	176
• ﴿ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴾ المائدة: ١٢	176
• ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾ المائدة: ١٣	176
• ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ ﴾ المائدة: ١٤	176
• ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ المائدة: ٤١	178،172،51،18

● ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَ ﴾المائدة:٤٤	179،174،124
● ﴿ وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ ﴾المائدة: ٤٥	179،174،124
● ﴿ وَلۡيَحۡكُمۡ أَهۡلُ ٱلۡإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ المائدة: ٤٧	174،124،179
● ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾المائدة: ٤٨	180
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ المائدة: ٥٤	46
● ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧	181،172،87 58،51،29
● ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ المائدة: ٧٠	176
● ﴿ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ المائدة: ٨١	57
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ المائدة: ٨٧	175

● ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾ المائدة: ٨٩	176
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿١٠١﴾ ﴾ المائدة: ١٠١	43
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ المائدة: ١٠٥	30
● ﴿ إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ المائدة: ١١٢	39
● ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المائدة: ١١٦	40
● ﴿ لِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا فِيهِنَّۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ المائدة: ١٢٠	171
● ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾ الأنعام: ١	175
● ﴿ قُل لِّمَن مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُل لِّلَّهِۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٢	175
● ﴿ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٣	175
● ﴿ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ	74

ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ الأنعام: ٢٧	
● ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ الأنعام: ٥٢	71
● ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنعام: ٦٨	111
● ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ الأنعام: ١٢٨	49
● ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ الأنعام: ١٦٢	79
● ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ الأعراف: ٧٩	40
● ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ٨٨	48
● ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ الأعراف: ٩٤	121
● ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٤	100
● ﴿ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا	45

تَنَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٢	27
● ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ الأعراف: ١٤٣	56،46
● ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٤	
● ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ الأعراف: ١٥٧	122
● ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ الأعراف: ١٩٩	112
● ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ الأنفال: ١١	93
● ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الأنفال: ٣٠	127
● ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ الأنفال: ٥٨	128
● ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ الأنفال: ٦٠	128
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ الأنفال: ٦٤	130،126،51
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ الأنفال: ٦٥	51

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأنفال: ٦٥ – ٦٦	130،126
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنفال: ٧٠	130،126،51
● ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ ﴾ التوبة: ٤٠	134
● ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ التوبة: ٤٣	134
● ﴿ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ التوبة: ٤٦	128
● ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ التوبة: ٦١	135
● ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ التوبة: ٦٢	57
● ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ التوبة:	158

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ التوبة: ٧٣	170،137،134 51
● ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ التوبة: ١٠٨	93
● ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ التوبة: ١٢٨	57
● ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ التوبة: ١٢٨ ــ ١٢٩	135
● ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ يونس: ٢	135
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ يونس: ٥٧	46،21
● ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ۚ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ هود: ٢٨	44
● ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ هود: ٤٤	49
● ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ	55

عِلۡمٞۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ هود: ٤٦	
● ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ وَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ هود: ٥٣	55
● ﴿ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ﴿٦٢﴾ ﴾ هود: ٦٢	55
● ﴿ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ﴿٧٢﴾ ﴾ هود: ٧٢	44
● ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾ ﴾ هود: ٧٦	55
● ﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٌ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ ﴾ هود: ٨١	55
● ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ ﴾ هود: ٨٧	55
● ﴿ وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ هود: ١٢٣	111
● ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ يوسف: ٤	40،28
● ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوسف: ٢٤	98
● ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف: ٢٩	55،27،20
● ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ	26

كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ يوسف: ٨٤	
● ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ يوسف: ١٠١	27
● ﴿ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾ الحجر: ٦	68
● ﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ الإسراء: ٧٩	86
● ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ الكهف: ٦	71
● ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠	144،69
● ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ﴾ مريم: ١	36
● ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾ مريم: ٧	56
● ﴿ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ ﴾ مريم: ١٢	56
● ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ ﴾ مريم: ٢٣	47
● ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ مريم: ٤١ – ٤٢	40
● ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ مريم: ٥١	97
● ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾ ﴾ مريم: ٨٣	115

● ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾ طه: ١٧	40
● ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ طه: ١٩ – ٢٠	40
● ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ ﴾ طه: ٩٠	45
● ﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ ﴾ طه: ٩٢ – ٩٣	56،45
● ﴿ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾ طه: ٩٤	43،42
● ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ طه: ١٣٢	95
● ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٩	49
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ الحج: ١	33،32
● ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾ الحج: ٣١	97
● ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِيٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِي ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ الحج: ٥٢	124،123،122 121
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ المؤمنون: ٥١ – ٥٢	53
● ﴿ لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ	54

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣	
● ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧	47
● ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الفرقان: ٢٧ – ٢٨	26
● ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الفرقان: ٣٠	57،29
● ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ الفرقان: ٦٢	109
● ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ الشعراء: ١	36
● ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الشعراء: ١٦	115
● ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ الشعراء: ٨٨ – ٨٩	89
● ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٤	76
● ﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ﴾ النمل: ١	36
● ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ النمل: ٢٥	27،24
● ﴿ طسٓمٓ ﴿١﴾ ﴾ القصص: ١	36
● ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾ القصص: ٢٦	42
● ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ القصص: ٨٨	97

جمعية الشيخ عبد القادر لعلوم الإسلامية

● ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾ لقمان: ١٣	29
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ ﴾ الأحزاب: ١	100،84،33
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ الأحزاب: ١ – ٣	143،137،52
● ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٦	139،57
● ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٧	177،139
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ﴾ الأحزاب: ٩ إلى قوله تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٧	143
● ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ الأحزاب: ٢١	139،95،58 57
● ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٢	139
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا	139

فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٨	
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩	147،146،137 52
● ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٠	39
● ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٢	139
● ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٦	140
● ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ الأحزاب: ٣٧	140،85
● ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٣٨	140
● ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠	140،121
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥	140
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا	148،138،52

﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٤٨﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٥ – ٤٨	
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٠	140،138،150 86،85،52
● ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٢	140
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ الأحزاب: ٥٣	140
● ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦	140،57
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٩	151،140،138 52
● ﴿ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ الأحزاب: ٧١	140
● ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٣﴾ ﴾ الأحزاب: ٧٣	138

● ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ سبأ: ٢	139
● ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ سبأ: ١٠	24
● ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ فاطر: ٨	82،71
● ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ يس: ٣	35
● ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يس: ٢٦	25
● ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ يس: ٣٠	50
● ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الصافات: ١٠٢	42،40
● ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الصافات: ١٠٤ ــ ١٠٥	55
● ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ ص: ٢٦	56
● ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ الزمر: ٢ ــ ٣	97

● ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ ﴾ الزمر: ١١	97
● ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزمر: ٢٨	106
● ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ الزمر: ٥٦	26
● ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ الزخرف: ٣٦	115
● ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ الزخرف: ٥١	45
● ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ الزخرف: ٨٨	29
● ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الشورى: ٢٢	149
● ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ الفتح: ٢٩	56
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ الحجرات: ١	33
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الحجرات: ٦	46
● ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾ ق: ١٦	28
● ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ النجم: ٢٩	112
● ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ القمر: ١٧	106
● ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ	94

جمعية الإمام عبد الله لعلوم الإسلامية

﴿ ٧٩ ﴾ الواقعة: ٧٧ – ٧٩	
● ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ الحشر: ٢	41
● ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحشر: ٩	129
● ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الحشر: ٢١	106
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِى سَبِيلِى وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ ﴾ الممتحنة: ١	155،154،153 33
● ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ الممتحنة: ٤	155
● ﴿ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِىُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ الممتحنة: ٦	155
● ﴿ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ الممتحنة: ٧	155
● ﴿ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِى ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الممتحنة: ٩	155
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ﴾ الممتحنة: ١٠	159،156
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا	152،52،159

يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾ الممتحنة: ١٢	
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ قَدۡ يَئِسُواْ مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلۡكُفَّارُ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ الممتحنة: ١٣	157
● ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١﴾ ﴾ الصف: ١	153
● ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ التغابن: ١	163،162،160 159،85،53 33
● ﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢﴾ ﴾ التغابن: ٢	160
● ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ التغابن: ١ – ٣	158
● ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ﴾ التغابن: ٤	160
● ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ وَّٱسۡتَغۡنَى ٱللَّهُۚ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿٦﴾ ﴾ التغابن: ٦	160
● ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ التغابن: ٧	160
● ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ	159،40

فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ﴾ التغابن: ١٠	
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ التغابن: ١٤	60
● ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ التغابن: ١٥	60
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ الطلاق: ١	164،161
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ﴾ الطلاق: ١ إلى قوله تعالى: ﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ الطلاق: ٣	160
● ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ الطلاق: ٢	161
● ﴿ وَٱلَّٰٓـِٔى يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔى لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ﴾ الطلاق: ٤	162
● ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ ﴾ الطلاق: ٦	162
● ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ الطلاق: ٧	162
● ﴿ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ﴾ الطلاق: ١٠	164،161
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ	53،33

﴿ ① ﴾ التحريم: ١	
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ① قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ② ﴾ التحريم: ١ – ٢	166
● ﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ﴾ التحريم: ٣	169
● ﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ ﴾ التحريم: ٤	169
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ⑥ ﴾ التحريم: ٦	170،167،95
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ⑦ ﴾ التحريم: ٧	44
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ⑨ ﴾ التحريم: ٩	170،166،53
● ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ⑪ ﴾ التحريم: ١١	166
● ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖ ﴾ التحريم: ١٠	168
● ﴿ وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ⑫ ﴾ التحريم: ١٢	168
● ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ① ﴾ الملك: ١	167
● ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ㉖ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ㉗ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ	78

جمعية الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ الجن: ٢٦ – ٢٨	87،84
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ المزمل: ١	
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ ﴾ المزمل: ١ – ٢	61،33
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ١ – ٤	82،79
● ﴿ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾ المزمل: ٢ – ٤	103
● ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ ﴾ المزمل: ٥	80،106
● ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ ﴾ المزمل: ٦	108
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ المزمل: ١ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل: ١٠	53
● ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾ المزمل: ٨ إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل: ١٠	79
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ ﴾ المزمل: ١ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ ﴾ المزمل: ١١	78
● ﴿ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ المزمل: ٩	111
● شُوَذَهُ ﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ ﴾ المزمل: ١٠	82،76،63،61
● ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ ﴾ المزمل: ١١	79،76،64
● ﴿ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ ﴾ المزمل: ١١ – ١٣	80
● ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ ﴾ المزمل: ١٤	80
● ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ	80

كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ المزمل: ١٧ – ١٩	
● ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ﴾ المزمل: ١٩	79
● ﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ﴾ المزمل: ٢٠	79، 80، 104، 64، 73
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ المدثر: ١	84، 87
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ ﴾ المدثر: ١ – ٢	33، 64، 77، 88
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ المدثر: ١ – ٣	67، 76
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ ﴾ المدثر: ١ إلى قوله تعالى: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ المدثر: ٧	53، 60
● ﴿ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ المدثر: ٢ – ٥	65
● ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ المدثر: ٣	88
● ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ المدثر: ٤	89، 92
● ﴿ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾ المدثر: ٥	100، 101، 87
● ﴿ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ ﴾ المدثر: ٦	
● ﴿ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾ المدثر: ٧	64
● ﴿ ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ ﴾ المدثر: ١١ إلى قوله تعالى: ﴿ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ المدثر: ٣٠	66
● ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ	66

جمعية المحافظة على القرآن الكريم للعلوم الإسلامية

﴿ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ المدثر: ٣١	
● ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ ﴾ عبس: ١ ــ ٤	71
● ﴿ كِرَامِۭ بَرَرَةِۭ ﴿١٦﴾ ﴾ عبس: ١٦	71 49
● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾ الانفطار: ٦	
● ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ ﴾ الفجر: ٢٧ ــ ٢٨	21
● ﴿ فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾ ﴾ الشرح: ٧ - ٨	110
● ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ العلق: ١	88،63،62
● ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ العلق: ١ ــ ٣	63
● ﴿ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ﴿٩﴾ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ ﴾ العلق: ٩ ــ ١٠	109
● ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ٥	110
● ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ ﴾ النصر: ١	173

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث والآثار

طـــــــرف الحـــــديث	الصفحة
❖ إن لي عند ربي عشرة أسماء...	35
❖ بذلك أمرت الرسل، ألا تأكل إلا طيبا...	53
❖ ما تقولون في هذا الرجل...	60
❖ سموا هذا الرجل اسما تصدر الناس عنه...	61
❖ جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت فنوديت...	67،62
❖ فبينما أنا أمشي، إذ سمعت صوتا من السماء...	62
❖ أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة...	63
❖ والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني...	64
❖ قم يا أبا تراب...	68
❖ إنما أنا أبشر وإنكم تختصمون لدي...	69
❖ إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون...	69
❖ إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم...	69
❖ أوما علمت ما شرطت عليه ربي...	70
❖ إنما أنا بشر أرضى بما يرضى به البشر...	70
❖ إنما أنا بشر وإني كنت جنبا...	70
❖ كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر...	71
❖ أنزلت عبس وتولى في عبد الله بن أم مكتوم...	71
❖ أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم...	73
❖ يا أيها الناس إن الله لا يمل حتى تملوا...	74
❖ اجتمعت قريش في دار الندوة فذكروا النبي صلى الله عليه وسلم...	74
❖ أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم...	76

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار...	77
❖ إن وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم...	77
❖ وأنا تدركني الصلاة وأنا جنب...	86
❖ والله إني لأرجوا أن أكون أخشاكم لله...	86
❖ كيف ندخل في الصلاة...	88
❖ أنه سمعه يقول في الباقيات الصالحات...	88
❖ تحريمها التكبير...	89
❖ اللهم الرفيق الأعلى...	93
❖ ألا واستوصوا بالنساء خيرا...	94
❖ خيركم خيركم لأهله...	95
❖ أكمل المؤمنين إيمانا...	95
❖ كلكم راع ومسؤول عن رعيته...	95
❖ كخ كخ ليطرحها...	96
❖ يا غلام سم الله...	96
❖ مروا أولادكم بالصلاة...	96
❖ من أحدث في أمرنا هذا...	98
❖ من عمل عملا ليس عليه أمرنا...	98
❖ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بالسورة...	105
❖ كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم...	105
❖ نعتت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قراءته...	105
❖ أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي...	106
❖ قلت يا رسول الله كم الأنبياء...	123
❖ لا ونبيك الذي أرسلت...	123
❖ ضعوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا...	127
❖ فينا معشر أصحاب بدر نزلت...	129
❖ الله أعلم بإسلامك...	132

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

❖ آخر سورة نزلت...	134
❖ إني قد أعطيتهم الأمان...	144
❖ هن حولي كما ترى يسألنني الصدقة...	147
❖ اذهبا فبشرا ولا تنفرا...	148
❖ خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه...	150
❖ انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ...	152
❖ لعل الله قد اطلع إلى أهل بدر...	153
❖ إن طينة الكتاب الذي بيننا وبينك لم تجف بعد...	156
❖ قد بايعتك...	158
❖ نزلت سورة النساء القصرى...	160
❖ مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر...	163
❖ لا بل شربت العسل...	168
❖ مكثت سنة وأنا أريد أن أسأل عمر عن آية...	169
❖ آخر سورة أنزلت...	173
❖ أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه...	173
❖ أهكذا تجدون حد الزاني...	178
❖ أنشدتكم بالله الذي أنزل التوراة على موسى...	179
❖ من حدثك أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد كتم شيئا مما انزل عليه فقد كذب...	181
❖ هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن...	181
❖ وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون...	181
❖ انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله...	182
❖ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل منزلا نظروا أعظم شجرة يرونها...	182

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	القائل	الصفحة
غراء بلهاء	تستمع	ابن الأعرابي	17
أفاطم مهلا	فأجملي	امرؤ القيس	20،91
حمّلت أمرا	عمرا	جرير	20
يا ذا المخوفانا	الأحلام	عبيد بن الأبرص	21
يا أبجر بن أبجر	جعت	لم أقف عليه	21
فيا راكبا	ألا تلاقيا	عبد يغوث الحارثي	22
قالت هريرة	يا رجل	الأعشى	23
فيا الغلامان	شرا	لم أقف على قائله	23
ألا يا اسلمي	الدهر	الأخطل	25
يا عجبا	المتحمّل	لم أقف عليه	26
أولئك آبائي	المجامع	الفرزدق	28
يا ربة البيت	والقربا	مرة بن كحلان	29
قد كان حقك	جرير	جرير	31
يا قلب	كلاما	لم أقف على قائله	31
يا لبكر	الفرار	المهلهل بن ربيعة	31
إن السفاهة طه	الملاعين	يزيد بن المهلهل	34
كأن أبنائي في أفانين	مزمّل	امرؤ القيس	81
إن تك قد ساءتك مني	تنسلِ	امرؤ القيس	91
رموها بأثواب خفاف	المنفرا	ليلى الأخليلية	92
لما وردن نبيا	منسحلِ	القطامي	119

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية